مؤسسة الكويت للتقدم العلمي
إدارة التأليف والترجمة والنشر



أرمينية
وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين

٣٣-٤٥٧هـ / ٦٥٣-١٠٦٤م



دكتور عبد الرحمن محمد العبد الغني
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الكويت



سلسلة الرسائل الجامعية
الطبعة الأولى ١٩٨٩م
الكويت



مؤسسة الكويت للتقدم العلمي
ادارة التاليف والترجمة والنشر

أرمينية، وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين

٦٥٣ - ١٠٦٤م/٣٣ - ٤٥٧هـ

الدكتور عبدالرحمن محمد العبد الغني
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الاداب ، جامعة الكويت



سلسلة الرسائل الجامعية
الطبعة الأولى ١٩٨٩ م
الكويت

بِسْــــم الله الرَّحْمَـن الرَّحيـــمْ

رَبِّ ٱشْرَحْ لِىْ صَدْرِي ، وَيَسّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً من لِسَاني يَفْقَهُوا قَوْلِــي

(سورة طه : الآيات ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨)

صَدَقَ الله العظَيمُ

ادارة التأليف والترجمة والنشر

ص . ب : ٢٥٢٦٣ الصفاة ـ الكويت
الكويت ـ 13113
هاتف : ٢٤٢٥٨٩٧



صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح
أمير دولة الكويت



سمو الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح
ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء

محتويات الكتاب

المقدمة

تكمن أهمية موضوع هذا الكتاب « أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين (٦٥٣ - ١٠٦٤م/ ٣٣ - ٤٥٧ هـ) » في انه يطرح على بساط البحث العلمي موضوعا قل أن سبرت أغواره دراسات سابقة باللغة العربية ، وألقت الضوء على غوامضه ، وناقشت مختلف جوانبه وزواياه ، من واقع أصوله ومصادره ، من أرمينية ، وسريانية ، وبيزنطية ، وعربية ، وغيرها .

هذا ، وإن كانت قد ظهرت بعض الدراسات في هذا الموضوع ، فهي في واقع الأمر ، تعبر في أغلب الأحيان عن وجهة نظر واحدة دون الالمام بمختلف وجهات النظر . وفضلا عن هذا وذاك ، فهي لم تعتمد على كل أصوله ومصادره ، بل اعتمد بعضها على شق أو أكثر دون الرجوع إلى مختلف الأصول الأخرى ، وخاصة العربية منها .

ومن المؤرخين الحديثين الذين تصدوا للكتابة في هذا الموضوع ج . لوران J. Laurent ، ور . جروسيه R. Grousset ، ون . أدونتز Adontz ، ولا تعدّ جهودهم كاملة ؛ لاهتمامهم بجانب واحد من جوانبه ، أو لمناقشتهم زاوية من زواياه . فنجد ج . لوران مثلا في كتابه المعنون : « أرمينية بين بيزنطة والاسلام منذ الفتح العربي حتى عام ٨٨٦م » .

"l'Armenie entre Byzanee et l'Islam depuis la conquete Arabe Jusquen 886".

قد توقف عند الربع الأخير من القرن التاسع الميلادي (الربع الأخير من القرن الثالث الهجري) ، وبالتحديد عند سنة ٨٨٦م/٢٧٣هـ ، أي عند قيام أول ملكية أرمينية أسسها أشوط بقراطوني ، وذلك بعد غياب أربعة قرون منذ سقوط الملكية الأرمينية الأرساكيدية . هذا - ولا يخفي أن أرمينية شهدت مرحلة من أهم مراحل تاريخها في عهد المملكة البقراطية .

أما ر . جروسيه Grousset فقد أولى جلّ اهتمامه ، في كتابه المعنون « تاريخ أرمينية منذ القدم حتى عام ١٠٧١م » .

"Histoire de l'Arménie des Origines a 1071".

للمصادر الأرمينية ، والبيزنطية دون المصادر العربية . هذا ، إضافة إلى أنه

قد مال في أغلب صفحات كتابه الضخم ، إلى جانب آراء المؤرخين الأرمن ، والبيزنطيين ضد المؤرخين العرب . ويتضح هذا في كثير من القضايا التي ناقشها في مصنفه ، ولم يقابلها بما ورد عنها في الأصول العربية التي أسهبت في بعض قضايا تاريخ أرمينية ، بحكم العلاقات السياسية الممتدة التي قامت بينها وبين الاسلام . فجاء عمله مبتورا .

وأما أدونتز Adontz ، فقد كتب عدة مقالات تناول فيها عددا من الموضوعات في التاريخ الأرمني دون أن يضع كتابا كاملا قائما بذاته يتناول الفترة موضوع البحث من كل نواحيها . كما كان منحازا إلى الأرمن . وهو وان كان منصفا في بعض ما كتب ، إلا ان قلمه قد أظهر أحيانا ما تبطنه نفسه دون قصد منه .

وهذا لا يعني أننا نغمط حق هؤلاء المؤرخين الأجانب . فيكفي أنهم وضعوا اللبنات الأولى في تاريخ الأرمن في هذه الفترة السحيقة ، وطبيعة العلاقات التي قامت بينهم وبين جيرانهم في العصر الوسيط .

على أية حال ، تتعرض هذه الدراسة لشعب من شعوب منطقة القوقاز اضطره موقعه الجغرافي ، وظروف بيئته الطبوغرافية ، وموارده الطبيعية ، أن يكون هدفا مستساغا لجيرانه الأقوياء على مر العصور . ولعل ما شجعنا على دراسته ، والخوض في غماره ، وقضاياه الشائكة والغامضة في كثير من جوانبه ، تلك العلاقات التي ربطت بين الأرمن ، وبين الفرس ، ومن بعدهم البيزنطيين من جانب ، وبينهم وبين العالم الاسلامي من جانب آخر . فتشابك تلك العلاقات ، وما أفرزته من جوانب سلبية أو إيجابية في تاريخ أرمينية - كل هذا دفعنا للاطلاع على تاريخ هذا الشعب ، وتوضيح دوره على مسرح الأحداث ، ومحاولة الكشف عن طبيعة العلاقات السياسية ، التي قامت بينه وبين جارتيه القويتين : الدولة البيزنطية ، والدولة الاسلامية ، وذلك إبّان الفترة الزمنية موضوع الدراسة ، تلك التي تبدأ في أواسط القرن السابع الميلادي . وعلى وجه التحديد سنة ٦٥٣م ، وتنتهي في أواسط القرن الحادى عشر الميلادي وبالتحديد سنة ١٠٦٤م ، أي فيما بين عامي ٣٣ و ٤٥٧هـ .

وقد بذلنا جهدنا لتقديم تلك الأحداث ، مع تشابكها ، وتعقدها ، وتداخلها في بعضها ، وغموض الكثير منها ، وندرة المصادر على اختلافها ، في بعض فترات الحدود الزمنية للبحث ، في قالب علمي بعيدا كل البعد عن التحيز والهوى . وكان هدفنا من بحثنا هذا سد الثغرات التي أغفلتها الجهود السابقة عند

تعرضها لتاريخ العلاقات الأرمينية البيزنطية والاسلامية ، واستيفاء الجوانب التي لم يتطرق إليها المؤرخون السابقون ، وتقديم دراسة علمية مستقلة قائمة بذاتها عن الموضوع ، تجمع بين العلم بأصوله ، ومصادره من أرمينية ، وبيزنطية ، وسريانية ، وعربية على حد سواء . هذا ، ولم يثن عزمنا أو يفت في عضدنا ما لاقينا من صعوبات في أثناء جمع المادة العلمية ، خاصة وأن المصادر العربية على كثرتها وتعددها لم تسعفنا ، ولم نجد فيها ما يشفى غليلنا عن أرمينية ، سوى شذرات قليلة متناثرة هنا وهناك ، وحتى هذه الشذرات لا تميط اللثام عما اكتنف بعض جوانب العلاقات بين الأرمن والمسلمين ، أو بينهم وبين البيزنطيين ، من غموض ، فضلا عن أن معظمها قد التزم الصمت المطبق حيال الكثير من الأحداث مما لا نجد له تبريرا أو تعليلا . لذا كان اعتمادنا على المصادر الأرمينية كبيرا ، وقد لا نجاوز الحقيقة اذا قلنا : انها غطت مساحة كبيرة من المادة العلمية المستخدمة في هذه الدراسة .

والجدير بالذكر ، أن ما كتب عن أرمينية باللغة العربية حديثا لا يعدو أن يكون اكثر من كتيبات قليلة تعد على أصابع اليدين بعضها يفقد الصفة العلمية . وحتى هذه لم تتناول الموضوع تناولا علميا رجعت فيه إلى أصوله ، ومصادره الأصيلة ، الأمر الذي زاد من صعوبة الموضوع بالنسبة لنا . لذا فقد اصبح لزاما علينا اللجوء إلى الأصول الأجنبية لاستيفاء مادتنا العلمية منها . هذا - ومن حسن الحظ أن المدرسة الفرنسية للتاريخ الوسيط قامت بجهد رائع في مجال ترجمة ونشر المصادر الأرمينية من لغتها الأم إلى اللغة الفرنسية الحديثة ، مما سهل علينا الاطلاع على تلك المصادر واستخدامها والافادة منها .

لذا ، قمنا بزيارة فرنسا حيث زرنا الكثير من الأرشيفات ، والمكتبات المشهورة فيها كالمكتبة الأهلية ، ودار الوثائق الفرنسية ، في باريس ، ومكتبة الدراسات البيزنطية التابعة لجامعة السوربون ، ومكتبة جامعة السوربون . كما قمنا بزيارة مكتبة نوبار المتخصصة في التاريخ الأرمني ، والتي كانت استفادتنا منها كبيرة وعظيمة ، حيث قام مشكورا المشرف على هذه المكتبة السيد أ . كارد اشيان A. Kardachian باطلاعنا على ما يخص بحثنا ويفيده من مصادر أرمينية ، ومراجع أجنبية متخصصة في التاريخ الأرمني ، الأمر الذي ذلل الكثير من الصعاب ، فله من الله خير الجزاء وعظيم الامتنان .

كما قمنا برحلة إلى المملكة المتحدة زرنا خلالها المتحف البريطاني في لندن ، ومكتبة بودليان في اكسفورد ، ومركز الدراسات البيزنطية التابع لجامعة بيرمنجهام ،

ومكتبة جامعة كيمبردج ، وغيرها من المكتبات الهامـة ، الأمر الذي أعاننا كثيرا على التصدي للقضايا والمسائل التي واجهتنا في أثناء كتابتنا لهذا البحث .

هذا ، وقد كان لموضوع الدراسة دخل في توجيه منهجها العلمي ، وتحديد معالمها وتخطيطها العام . فمن الملاحظ ان الموضوع يشغل فترة زمنية طويلة امتدت لأكثر من ٤٠٠ سنة . ولطول الفترة الزمنية ، وكثرة تشابك الأحداث التاريخية خلالها ، وتعدد القوى التي أدت دورها فوق مسرح الأحداث وهو مسرح ممتد فسيح ، فقد رأينا أن نبدأ البحث من بداية الفتح العربي لأرمينية ـ كبداية محددة المعالم في تاريخ هذا البلد . أما فيما يتعلق بنهاية موضوع البحث فقد رأينا أنه من الأفضل أن ينتهي عند ضم مدينة « آني » العاصمة الملكية الأرمينية البقراطية إلى الأمبراطورية البيزنطية عام ١٠٤٥م/٤٣٧هـ وما أعقب ذلك من استيلاء السلاجقة عليها عام ١٠٦٤م ، لأنه بسقوط هذه المدينة لم تعد أرمينية دولة لها كيان سياسي مستقل بالمعنى المفهوم من هذا الاصطلاح ، حيث أخذت تدور في فلك السياسة البيزنطية ، وأصبحت وحدة ادارية تابعة لها ، وبذلك فقدت طابعها السياسي كدولة .

وقد فرضت علينا طبيعة الموضوع تحديد فصوله وعناوينه ، وعناصره بالشكل الذي قمنا به ، مراعين التسلسل الزمني للأحداث . وعلى هذا تم تقسيم الدراسة إلى خمسة فصول ، مهدنا لها بهذه المقدمة .

واختتمناها بخاتمة استعرضنا فيها أهم القضايا ، والنقاط التي طرحناها على بساط البحث ، وأهم النتائج التي توصلنا إليها ، ثم أشرنا بتركيز شديد إلى الفترة الزمنية التي تلت موضوع البحث . هذا ، وتتخلل الدراسة عدة خرائط توضيحية تبين ملامح ومعالم أرمينية الجغرافية ، وكذلك أقاليمهـا ومدنها ، ومـوقعها الاستراتيجي ، ومواقع الأقاليم المجاورة لها ، وكذلك حدود الدولتين الاسلامية والبيزنطية إبّان الفترة الزمنية موضوع الدراسة ، ثم أوردنا قائمة بأسماء المصادر ، والمراجع التي اعتمدناها من أجنبية وعربية ، مخطوطة ومطبوعة .

وهنا يطيب لي ان أقدم عظيم شكري ، ووافر امتناني ، وتقديري العظيم لكل من مد لي يد العون ، وأخلص لي النصيحة ، وساهم في اخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود . وأخص بالذكر الطيب ، الاستاذين الفاضلين : الاستاذ الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور ، والأستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف جزاهما الله عني وعن جميع من تتلمذ على يديهم خير الجزاء .

والحقيقة انني مهما تفوهت بكلمات الشكر والتقدير ، والعرفان بالجميل ، فلن أوفي ابدا ـ ما اجتهدت ـ كل من قدم لي يد العون والمساعدة، والتشجيع بشكل أو بآخر ، كل بإسمه ، وفي موقعه ، وبخاصة زملائي وأصدقائي المدرسين المساعدين والمعيدين الذين كان لتشجيعهم المستمر لي ، وبثهم روح الطمأنينة والثقة في ، دافعا قويا لي على الاستمرار في تحمل المشاق الجمة التي واجهتها في اثناء كتابتي لهذه الدراسة ، فلهم من الله خير الجزاء .

والله ولي النعمة والتوفيق ،،

الفصل الأول

أرمينية بين الشرق والغرب

تقع منطقة القوقاز حيث ازدهرت الامارات والممالك الأرمينية والأيبيرية في أقصى شمال شرق حوض البحر المتوسط ، وتحميها من الشمال سلاسل جبال القوقاز(١) ، ومن الشرق بحر قزوين ، ومن الغرب البحر الأسود ، وهي بهذا تطل في شكل شبه دائري من جهة الجنوب على آسيا الصغرى ، والشام ، والجزيرة وبلاد فارس(٢) .

وتشكل أرمينية اقليما رئيسيا في منطقة القوقاز ، فهي تقع تقريبا بين (خطي طول ٣٧° و٤٩° شرقاً ، وخطي عرض ١/٢ ٣٧° و١/٢ ٤١° شمالاً)(٣) . ولقد اعتاد القدماء أن يفرقوا بين أرمينية الكبرى ، وأرمينية الصغرى ، حيث كانت أرمينية الكبرى هي التي تمتد من أعلى الفرات غرباً حتى ملتقى نهري الكور Kur والرس Araxes ، قبيل مصبيهما في بحر قزوين شرقاً ، ومن دجلة وجزيرة ابن عمر جنوباً ، وحتى تفليس على نهر الكور شمالاً(٤) . أما اسم أرمينية الصغرى ؛ فقد كان يُطلق على البلاد الأرمينية الواقعة غرب نهر الفرات ، والتي جعلت منها جغرافيتها وتاريخها مجموعة ظاهرة المعالم عن أرمينية الكبرى(٥) .

ولقد ظل هذا التحديد العام لأرمينية ثابتا منذ العصور القديمة ، وهو تحديد

---

(١) Grousset, l'Arménie, p. 13.

(٢) Grousset, l'Arménie, p 13; Toumanoff, Arm. Geor, p. 593.

(٣) تقدر مساحة أرمينية بثلثمائة ألف كيلومتر تقريبا ، انظر : Sterck, Armenia, p. 637; R.H.C.-Doc. Arm. T, XVIII-XIX. cf. Tournebize, Religieuse, p. 6; Iorga, Brève, pp. 9-10; Basmadjian, Frontieres: pp. 21-25; Kherumian, Anthropologie, pp. 11-12; Ermoni, Arménia, p. 318; Laurent, Arménie, p. 39.

يذكر ياقوت أن طول أرمينية العظمى ثمان وسبعون درجة ، وعرضها ثمان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . ويضعها ضمن الاقليم الخامس . انظر : ياقوت : معجم ، جـ١ ، ص ١٦٠ .

(٤) يذكر جروسيه Grousset أن أرمينية الكبرى سميت قديما باسم لازيك . . . Lazique ، انظر : Grousset, l'Arménie, p. 14; Bouillet, Dictionnaire d'Hist. p. 116; Kherumian, Anthropologie, p. 12.

(٥) R.H.C. - Doc. Arm., I, XXVI - XXVIII:; vcf/also Schlumberger, Un, Empereur p. 207; Laurent, Arménie p. 39; Nerressian, Arm. Byzi, p. 3.

خريطة رقم (١) جبال ارمينية ومرتفعاتها



نقلا عن : Grousset, Armenie (Paris, 1957)

هيرودوت Herodotus نفسه والجغرافيين ، والعلماء الرومان أمثال سترابو Strabo وبيلين Belin ، وتحديد بروكوبيوس Procopius البيزنطي وغيره من كُتّاب العصور الوسطى[٦] . ولقد اختلف المؤرخون حول اسم أرمينية[٧] ، فقال بعضهم : إنه آرام بن جارموس ، وقال آخرون بل هو أرميناك ابن هاييك ، وأن أرمينية في زمن الأخير كانت هايستان . ويرى بعضهم أن أرمينية وآرام من أصل واحد في اللغات السامية ومعناها مرتفع ، فكما أن الشام قديماً سميت آرام ، كذلك سميت هايستان أرمينية ، نظراً لجغرافيتها ، وتميز أرضها عموماً بالارتفاع ، وهذه النظرية تدعم الرأي القائل : (ان الآراميين والأرمن في القديم كانوا متقاربين في العادات والتقاليد واللغة)[٨] .

على أية حال ، وجد اسم أرمينية لأول مرة منقوشاً على صخرة تركها الملك داريوس الأول Daris I (٥٢١ ـ ٤٨٥ ق.م) : وقد كتبت بالفارسية والعيلامية والبابلية . هذا ، وقد استعمل الآشوريون في أواخر عهدهم تعبيرا آراميا أو أرمينيا للدلالة على أرمينية ، وظهرت هذه الأسماء في مخلفاتهم الأثرية ـ فجأة لتحل محل مسميات اخرى ، مما يفترض معه : بأن شعباً جديداً ـ أي الأرمن ـ قد اجتاح تلك

(٦) لقد ورد في المصادر أكثر من تحديد لأرمينية الكبرى والصغرى ، فقد حدد ابن الشحنة أقاليم أرمينية الصغرى بقوله :
أن بلادهم (أي بلاد الأرمن) الكبار خمسة هي : اياس ، وسيس ، وأذنه ، وطرسوس والمصيصة » الدر المنتخب ، ص ١٨٧ ، وانظر : ابن الوردي ، جريدة العجائب ، ص ٢٥ ؛ أما ابن أبي الفضائل فقد ذكر ، أن بها أكثر من مائتي قلعة ، ابن أبي الفضائل : المنهج السديد ، ورقة ، ٢٩ أ . وكذلك انظر عن تقسيم أرمينية الكبرى إلى أربع مقاطعات في عهد جستيان . Laurent; Arménie, p. 40.

(٧) يذكر بعض المؤرخين ان أرمينية قُسّمت الى قسمين غير متساويين هما مزحايك (أرمينية الكبرى) وبوكر حايك (أرمينية الصغرى) وكانت أرمينية تمتد من الفرات غربا إلى مشارف نهر الكور شرقا .
القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ١ ص ٣٥٣ وما بعدها ، وللمزيد من الايضاح : انظر : ياقوت : معجم ، جـ ٥ ، ص ١٦٠ ـ ١٦١ ، وكذلك :
Bonillet, Dictionaire d'Hist., p. 116.
ويُعَرب ياقوت اسم أرمينية كالآتي : « أرمينية بكسر أوله ويفتح ، وسكون ثانيه ، وكسر الميم ، وياء ساكنه وكسر النون ، وياء خفيفة مفتوحةُ للمزيد حول اسم أرمينية ارجع إلى : ياقوت : معجم ، جـ١ ، ص ١٦٠ ، ويروى المقدسي ، أنها سميت باسم أرميني بن كنظر بن يافث بن نوح ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٤ . أما ابن الفقيه فيرى أنها سميت باسم أرميني بن لنص وهو يافث بن نوح ابن الفقيه : البلدان ، ص ٢٨٤ ؛ ولكن ياقوت يذكر أنها سميت باسم أرمينيا ابن لنطا بن أومر بن يافث بن نوح ، وكان أول من نزلها وسكنها . ياقوت : معجم ، جـ١ ، ص ١٦٠ ، وحول اسم ارمينية انظر ايضا : أبو طالب الأنصاري : نخبة الدهر ، ص ٢٦٢ .

(٨) السيد : أرمينية ، ص ٢٣ .

البلاد ، واستولى عليها ، وكان ذلك حوالى القرن السادس ق.م.[٩] وأرمينية كما عرفها المؤرخون والجغرافيون العرب[١٠] ، تعد قسماً ، من هضبة آسيا الغربية العظمى وهي أعلاها سطحا ؛ اذ يبلغ ارتفاع العديد من هضابها سبعة آلاف قدم فوق سطح البحر ، وتمتد بعد ذلك منخفضة من الغرب وفي اتجاه الجنوب .

وهذا الاقليم المعروف بأرمينية يتكون من وحدة جغرافية ذات طبيعة خاصة تبلغ مساحته ٣٠٠ كيلومتراً مربعاً . ويتألف هذا الاقليم من سلاسل جبال متوازية تمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي ، وتقع بين هذه السلاسل هضاب متعددة غنية بالمراعي يتراوح ارتفاعها ما بين ٨٠٠ متر و ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر . وتتميز هذه الجبال بأنها مخروطية الشكل ، وبعضها فوهات براكين خامدة[١١] . ويعدّ جبل أرارات Ararat في وسط أرمينية أعلى تلك الجبال ، ويبلغ ارتفاع قمته حوالي ٥١٦٠ مترا[١٢] . وكلمة « آراء » تعنى النار ؛ وعلى هذا ـ

(٩) السيد ، أرمينية ، ص ٢٣ .

(١٠) يعتبر ابن حوقل أرمينية وأذربيجان والران إقليماً واحداً ، ويذكر بخصوص أرمينية انها أرمينيتان : أرمينية الداخلة وهي : دبيل ونشوى وقاليقلا وإلى ذلك من الشمال ، وأرمينية الخارجة وهي بركرى وخلاط وأرجيش وسيسجان والزوزان وما بين ذلك من البقاع والنواحى والأعمال : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٩٥ .
أما الاصطخرى فيعتبرها أيضا من ضمن الاقليم الذي يجمع الران وأذربيجان : الاصطخرى : مسالك الممالك : ص ١٨١ . ويطلق المقدسى على الاقليم الذي يضم أرمينية إسم إقليم الرحاب ، المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٤ .
ولقد قسم المؤرخون والجغرافيون العرب أرمينية إلى أربعة أقسام هي :
أرمينية الأولى : السيسجان وآران وتفليس وبرذعه والبيلقان وقبله وشروان .
أرمينية الثانية : جرزان ، وصغدبيل ، وباب فيروز ، وقباذ ، واللكز .
أرمينية الثالثة : البسفرجان ودبيل وسراج طير وبغروند ونشوى .
أرمينية الرابعة : شمشاط وخلاط وقاليقلا وأرجيش وباجنيس .
انظر : ابن خرداذبه : المسالك ، ص ١٢٢ . أما أبو الفرج قدامة فانه .. لا يقسمها ولكنه يذكر الأسماء نفسها التي ذكرها ابن خرداذبه ، انظر : أبو الفرج قدامة : نبذ ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ . وأما ياقوت فقد ذكر عدة آراء منها : هي ارمينيتان : كبرى وصغرى ، فالكبرى تتكون من خلاط ونواحيها ، والصغرى من تفليس ، معجم ، جـ ١ ، ص ١٦٠ ، كما أن البلاذرى قسمها إلى أربع ، الأولى : باجنيس ، وقبله ، وشروان ، وما انضم إليها عدّ منها .
والثانية جرزان وصغدبيل وباب فيروز وقباذ واللكز ، والثالثة البسفرجان ودبيل وسراج طير وبغروند والنشوى ، والرابعة ، شمشاط وقاليقلا وأرجيش وباجنيس . ياقوت : معجم ، جـ ١ ، ص ١٦٠ ؛ وانظر كذلك : البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٩٧ .

(١١) Grousset, l'Arménie, pp. 13-18.

(١٢) ويسميه المؤرخون والجغرافيون العرب بالحارث ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ، ويذكر جروسيه أن ارتفاع قمة جبل أرارات تبلغ الى ٥٢٠٥ مترا ، ويضيف أن جبل أرارات هو الجبل الذي رست عليه سفينة نوح بعد الطوفان . انظر : Grousset, l'Arménie, p. 18.

فأرارات معناها جبل النار ، لما كان يرسله في العصور الغابرة من مواد بركانية ملتهبة(١٣) . وتعدّ أرمينية إقليماً غنيا بالأنهار ، ففيها عشرات الأنهار التي تتدفق من سفوح الجبال وتحفر دروبها عبر السهول(١٤) . ففيها ينبع دجلة من جبال طوروس الواقعة على الحدود الجنوبية ؛ كما تخرج منابع نهر الفرات من أرمينية(١٥) ، وتنحدر من الهضاب الداخلية . وبالاضافة إلى هذين النهرين العظيمين هناك : نهر الرس الذي يصب في بحر قزوين ، ونهر الكور الذي يندفع من الشمال ، ويلتقى بنهر الرس قبل أن يصبا معاً في البحر المذكور(١٦) .

وفي أرمينية عدد من البحيرات : منها بحيرة فان Van ، ومساحتها ١٥٩٠ متر مربع ؛ ويسميها العرب بحيرة خلاط(١٧) ، وبحيرة أرجيش(١٨) ، وارتفاعها عن سطح البحر حوالي ٥٠٠ قدم . وتقع في أرمينية بحيرة أخرى هي بحيرة سيفان Sivang ، ومساحتها ٢٠٠٠ متر مربع ، وترتفع عن سطح البحر ٦٠٠٠ قدم . كذلك توجد في أقصى الجنوب بحيرة أورمية Urumia(١٩) وتعتبر هذه البحيرة متاخمة لاقليم أذربيجان . وإلى جانب هذه البحيرات الثلاث يوجد العديد من البحيرات الصغيرة القليلة الأهمية .

ويلاحظ أن التكوين الجيولوجي لجبال أرمينية بركاني ؛ ولهذا تختزن صخور

(١٣) يرى جروسيه أن خصوبة الأراضي الزراعية في أرمينية ترجع إلى الحمم البركانية التي تقذفها البراكين الكثيرة فيها ، ذلك لأن هذه الحمم البركانية تتكون من طمى أسود غنى بالمواد العضوية التي تزيد من خصوبة الأراضي الزراعية .
Grousset, l'Armenie, pp. 19-20.

(١٤) عن منابع دجلة والفرات في أرمينية انظر : الاصطخرى : **مسالك الممالك** ، ص ١٧٥ ؛ القزويني : آثار البلاد ، ص ٤٢١ ، ويذكر ابن خلدون في مقدمته ، ان نهر الفرات يبدأ من أرمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس ، ابن خلدون : المقدمة ، ٢٨٣ ، انظر كذلك عن أنهار أرمينية :
R.H.C.-Doc. Arm. I. XXXVI 599; Saint-Martin, Mémoires, II, 454; Alishan, Sissouan, pp. 12-15; Véou, Passion, pp. 47-48;

(١٥) عن منابع دجلة انظر : ابن رسته : **الأعلاق النفسية** ، ص ٩٠ وأيضا
R.H.C.-Doc. Arm., I, XXVI.

(١٦) عن مسار نهري الرس ، والكور انظر : ابن رسته : **الأعلاق** ، ص ٨٩ .

(١٧) عن بحيرة خلاط انظر : القزويني : **آثار البلاد** ، ص ٥٢٤ ، وأيضا : ابن الفقيه : **البلدان** ، ص ٢٩٥ وكذلك :
Grousset, l'Armenie, p. 14.

(١٨) عن بحيرة أرجيش انظر : الاصطخرى : **مسالك الممالك** ، ص١٩٠ ، وأيضا : ابن سعيد المغربي : **الجغرافيا** ، ص ١٧١ .

(١٩) المقدسي : **أحسن التقاسيم** ، ص ٣٨٠ ؛ الاصطخرى : **مسالك الممالك** ، ص ١٨٩ ، وانظر عن بحيرة سيفان :
Grousset, l'Arménie, p. 19.

أرمينية مختلف المعادن(٢٠) . ويتميز مناخ أرمينية بأنه قارس بصفة عامة ، فهو غالبا جاف وبارد(٢١) ، والثلوج تغطى المناطق المرتفعة ، والطقس في المناطق المنخفضة معتدل . وثمة تباين واضح بين مناطق الهضاب التي يستمر الشتاء فيها طيلة ثمانية أشهر، وبين المناطق المنخفضة التي يعتدل الطقس فيها بصفة عامة ، لا سيما تلك التي تقع على البحر الاسود شمالا وحوض الفرات جنوبا(٢٢) .

وهكذا يلاحظ أن الظواهر الجغرافية تتباين في أرمينية ، ففيها الجبال المرتفعة والهضاب الداخلية ، وتجري فيها الأنهار العظيمة ، وتقع فيها البحيرات العديدة ، وقد كان لهذا كله تأثيره في ميول الأرمن ونزعاتهم الذين غلبت عليهم صبغة المحلية والانفصالية والفردية . وسيكون لهذا أثره على علاقاتهم بجيرانهم البيزنطيين والمسلمين إبّان الفترة الزمنية موضوع الدراسة .

ويصنف علماء السلالات البشرية الأرمن بين الشعوب الآرية والهند أوروبية ، وكانت هذه الامم قد نزحت في موجتين كبيرتين ، وانتشرت في آسيا الوسطى حتى أقصى الغرب(٢٣) . ثم انقسمت الموجة الواحدة الى فرقتين ، وحلت إحداهما الهند ثم إيران ؛ اما الموجة الثانية فبعد ان اجتاحت بحر أرال Urall وبحر قزوين ، دخلت أوروبا وعاشت أجيالا عديدة في شمال ساحل البحر الاسود ، ثم تفرقت شيعاً وجماعات تشكلت منها العناصر الهند أوروبية في أوروبا . ومن هذه العناصر اتجه القسم الأرميني ، في أوروبا جنوبا . ووصل الأرمن إلى ارمينية بعد مصادماتهم مع الحيثيين وغيرهم ، وهناك التقوا بقوم غير قومهم ، فاندمجوا بهم كما اندمجت الأقوام الهند أوروبية بالشعوب التي احتلت بلادها(٢٤) . ويرتبط أصل

(٢٠) ابن حوقل : **صورة الأرض** ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ وأيضا : Grousset, l'Arménie, p. 19.

(٢١) يذكر اليعقوبي ، أن مناخ أرمينية بارد قارس البرودة . اليعقوبي : **كتاب البلدان** ص ٣٣٦ .

(٢٢) المقدسي : **أحسن التقاسيم** ، ص ٣٧٨ . ويذكر جروسيه ان مناخ أرمينية يمتاز بأنه قاري ، حيث يستمر الشتاء سبعة أشهر وهو شديد البرودة ، أما صيفها فيمتاز بأنه قصير وحار جدا ،
Grousset, l'Arménie, p. 21.

(٢٣) جاء في أبي الفداء : **تقويم البلدان** ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، أن الأرمن « طائفة من الروم ، ويقال لبلادهم بلاد الأرمن » . انظر كذلك ابن الشحنة : **الدر المنتخب** ، ص ١٨٧ وأيضا ابن الوردي : **جريدة العجائب** ، ص ٢٥ . وعن الهجرات الهند أوروبية التي سكن قسم منها أرمينية أنظر : Lang, Cradle, p. 38 أما عن المعبر الذي عبر منه الأرمن إلى أرمينية فيذكر سترابو أن الأرمن كانوا من أصل تراقى نسبة إلى تراقيا ، ودخلوا آسيا الصغرى من بلغاريا الحالية منذ حوالي ١٢٠٠ سنة قبل الميلاد ، وهم الذين وضعوا نهاية للامبراطورية الحيثية ، أنظر :
Strabo, Geography, IV, p. 8.

(٢٤) Strabo, Geography, IV, pp. 8-9; Lang, Cradle, pp. 36/37.

الجغرافية السياسية للمملكة الأرمينية القديمة وتطورها ارتباطاً وثيقاً بالجغرافية الطبيعية لأرمينية ذاتها، وبتركيب الأجناس المعقد للهضبة الأرمينية. فهذه الهضبة تحيط بها وتحميها سلاسل من الجبال(٢٥)، وتقطعها بعض الجبال أيضا. كما تقطع الهضبة مجارٍ مائية متعددة. وقد كشفت البحوث الأثرية أن هذه الهضبة كانت مسكونة منذ العصور القديمة، وعبر فترة طويلة من الزمن دخل هذه المنطقة العديد من الأجناس التي أوت إليها من مختلف الاتجاهات. وعلى هذا يمكن القول إن التضاريس الجغرافية ساعدت على بقاء الاختلافات بين العناصر المختلفة من الأجناس التي قطنت الهضبة الأرمينية، بل وكل منطقة القوقاز(٢٦).

ويمكن القول بصفة عامة إن كثيرا من القبائل والعشائر جاءت لتقطن أودية الجبال الكثيرة، فاستولى بعضها على وادٍ واحد، واستولى بعضها الآخر على أكثر من واد. وكان يحكم هذه القبائل قادتهم من رؤساء القبائل، والذين أصبحوا فيما بعد أمراء، وملوكا لهذا المنطقة. وفي العصر القديم قام النظام على تقسيم يتبع التقسيم القبلي والتضاريس الجغرافية. لهذا شهدت أرمينية كيانات متعددة، مكونة من عدد من الأقاليم، وخليط من الناس(٢٧).

وكما أن التضاريس الجغرافية لأرمينية أثرت في بقاء تنوع الكيانات السياسية وتعددها التي أسستها العناصر البشرية التي وصلت اليها من تحركات الشعوب الهند أوروبية، كذلك كان لهذه التضاريس أثرها في التقسيم السكاني في أرمينية، كما كان لها أيضا أكبر الأثر في تنوع مواردها الاقتصادية. فوجدت فيها الأراضي الزراعية في السهول مثل سهل أرارات، واشتهرت أرمينية بزراعة الخضروات والفاكهة والكروم والحبوب. مثل القمح والشعير(٢٨). وساعد على انتشار الزراعة في السهول أودية الأنهار مثل: نهري الرس والكور(٢٩).

كذلك انتشرت المراعي في الهضاب والمرتفعات؛ حيث عمل الأرمن في رعي

---

(٢٥) Macler, Belligerante, pp. 730-731; Bremond, Notes Historiacus, p. 877.

(٢٦) R.H.C. - Doc. Arm., I, XXXI - XXXVIII: Iorga, Brève, pp. 9-10; Bouillet, Dictionnaire d'Histoire, p. 419.

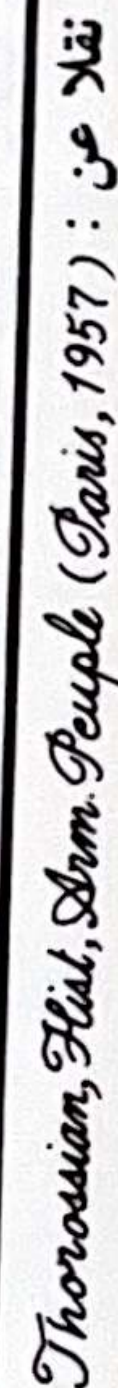
(٢٧) للمزيد عن التضاريس الجغرافية في أرمينية وأثرها على الهجرات البشرية الأولى الى الهضبة الأرمينية، والكيانات السياسية الأولى التي ظهرت في تلك المنطقة: أنظر:

Hewsen, Introduction, pp. 81-82; Macler, Belligérante, pp. 730-731.

(٢٨) Grousset, l'Arménie, p. 23; Laurent, Arménie, p. 78.

(٢٩) Laurent, Études, p. 6.

خريطة رقم (٢) أنهار أرمينية وبحيراتها



نقلا عن: Thorossian, Hist. Arm. People (Paris, 1957)

الخيول والبغال والأغنام(٣٠) . كما عاشت في المرتفعات الغزلان والحيوانات ذات الفراء(٣١) . واشتهر الأرمن بصيد تلك الحيوانات والاتجار في جلودها . كذلك عمل الأرمن على استغلال الأنهار والبحيرات المنتشرة في أراضيهم(٣٢) ، فاشتهروا بصيد الأسماك ، وكانوا يقومون بتمليحها وتجفيفها والاتجار فيها . ومن أشهر البحيرات غنى بالثروة السمكية بحيرات أرجيش وفان وسيفان(٣٣) .

ويلاحظ أن أرمينية غنية كذلك بالثروة المعدنية ، اذا انتشرت فيها مناجم الحديد والذهب والفضة والنحاس والزرنيخ(٣٤) . وكان الملح يستخرج من أراضيها ، فضلا عن الأحجار الكريمة . ولقد ساعد وجود الفضة في أرمينية على تسهيل التعامل النقدي(٣٥) . ولهذا انتشرت فيها دور ضرب النقود ، وكانت أهمها تلك التي تركزت في دوين(٣٦) . وبسبب تنوع الموارد الاقتصادية من زراعية ، ورعوية ، وسمكية ، ومعدنية ، وحيوانية ، قامت في أرمينية صناعات متنوعة على تلك الموارد الخام(٣٧) . ومن المعادن صنع الأرمن الأسلحة واشتهروا بها(٣٨) . ومن الصناعات الأخرى عرف الأرمن صناعة القيشاني والزجاج والنسيج المطرز(٣٩) .

(٣٠) Manandian, Trade, p. 151; Laurent, Études, p. 78.

(٣١) Grousset, l'Arménie, p. 23.

(٣٢) للمزيد عن الأنواع الموجودة من الأسماك في أنهار وبحيرات أرمينية أنظر : ابن حوقل : **صورة الأرض** ، ص ٢٩١ ، الإصطخري : **مسالك الممالك** ، ص ١٨٣ .

(٣٣) عن أنهار أرمينية أنظر : الإصطخري : **مسالك الممالك** ، ص ١٩٠ ، ابن حوقل : **صورة الأرض** ، ص ٢٩٧ ، ابن سعيد : **الجغرافيا** ، ص ١٧١ ، أبو طالب الانصاري : **نخبة الدهر** ، ص ١٢١ ، وأنظر :
Strabo, Georgraphy, IV p. 327; Manandian, Trade, pp. 197-150.

(٣٤) للمزيد عن الثروة المعدنية أنظر :
أخبار أمم المجوس من الأرمن والروس ، ص ٣٩ - ٤٠ ، وأيضاً Strabo, Georgraphy, IV p. 327.

(٣٥) يقول ابن حوقل : « أن نقود أذربيجان والران وأرمينية الذهب والفضة » ، **صورة الأرض** ، ص ٢٩٩ ؛ وانظر : Manandian, Irade, p.151.

(٣٦) أنظر عن دوين : البلاذري : **فتوح البلدان** ، ص ٢٠٣ وكذلك
Arist de Last (Canard), p. 70; (Canard), Arm Califate p. 401.

(٣٧) يشير ابن حوقل إلى أن الأرمن ينسجون الثياب الصوف والبسط والوسائد « وغير ذلك من أصناف الأرمني المصبوغ بالقرمز ، وهو صبغ أحمر يصبغ به . . . وأصله من دود ينسج على نفسه كدودة القز » ، **صورة الأرض** ، ص ٩٤ . ويقول لوران ، كان اللون الأحمر هو الغالب على ملابس الأرمن .
Laurent, Arménie, p. 80.

(٣٨) Ariste. de Last, (Canard) p. 16; Laurent, Arménie pp. 80-81.

(٣٩) Ariste. de Last, (Canard) p. 15; Canard, Arm. Califate., p. 401.

على أية حال ، قام الأرمن بالاتجار في العديد من مواردهم ومنتجاتهم الصناعية ؛ فكان لبلادهم نشاط تجاري واسع ؛ حيث كان موقعها الجغرافي سبباً في ازدهارها التجاري . فالطرق تمر عبر أرمينية من البحر الأسود إلى بحر قزوين والجزيرة وفارس . لهذا كانت أرمينية معبر التجارة بين الشرق والغرب . وكان الأرمن مولعين بالتجارة ، وكان لهم نشاط ملحوظ في مراكز التجارة في الامبراطورية البيزنطية مثل طرابيزون(٤٠) على البحر الأسود . ومن أهم مراكز التبادل التجاري في أرمينية أرتانوج Artanuj(٤٢) التي كان يأتي اليها التجار من ابخازيا وطرابيزون وأيبيريا(٤٢) . كذلك كانت دوين مدينة تجارية وصناعية هامة ، ومقراً يتم فيه التبادل التجاري للتجارة القادمة من الهند وأيبيريا ، وفارس ، والإمبراطورية البيزنطية ، وكان تعداد سكانها كبيراً(٤٣) . كذلك اشتهرت مدن أرزن(٤٤) وقارص(٤٥) وغيرها بالتجارة .

ولقد ازدهرت أرمينية بفضل هذا النشاط التجاري وبفضل وقوع العديد من مدنها على طريق التجارة الدولي الذي يمر عبر أراضيها بين بيزنطة والبحر الأسود من جهة وبحر قزوين وفارس من جهة أخرى . وجنت من هذه التجارة الكثير ؛ فاستفاد أمراؤها منها ، وانتعشت مدنها ، وكان بها حوالي ١٨ ألف مدينة كبيرة وصغيرة ، منها ألف مدينة في وادي الرس فقط(٤٦) .

(٤٠) لمزيد من التفاصيل عن الطرق التجارية التي تقطع أرمينية أنظر :
Arist. de Last., Hist (Prud'homme), p. 42.
الإصطخري : مسالك الممالك ، ص ١٩٢ - ١٩٤ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، وانظر : Perapie Nersessian.

(٤١) ترى المؤرخة الأرمينية بيرابي نرسيسيان . Perapie Nersessian ان ارتانوج كانت مركزا تجاريا مهمًا في جيورجيا . Nerssesian, Études, p. 329,; Manandian, Trade, p.72.

(٤٢) Laurent, Arménie, p. 80.

(٤٣) Laurent, Arménie, p. 81; Manandian, Trade, p. 152.

(٤٤) أرزن : يقول عنها ياقوت « هي مدينة مشهورة قرب خلاط **معجم** ، جـ ١ ، ص ١٥٠ ، وتسمى اليوم أرضروم الحديثة (Karin, Erzurum) ، انظر : Laurent, Féodal, p. 179.

(٤٥) قارص : يسميها ياقوت « قرص » ويقول عنها ياقوت « أنها مدينة من نواحي تفليس » **معجم** جـ ٤ ، ص ٣٢٣ .
انظر كذلك :
Arist. de Last., Hist (Prud'homme), p. 89; Asolik, Univ. (Dularier), p. 16, N. 3; Manandian, Trade, p. 143.

(٤٦) Laurent, Arménie p. 81.

أما بالنسبة للعملة المتبادلة في التجارة بينها وبين جيرانها ، فيلاحظ أن وحدة التعامل هي عملة فضية كانت تضرب في العديد من المدن ، وعلى رأسها دوين ، وكانت هناك عملات أخرى تستعمل في التداول أيضا(٤٧) .

وكما سبق ، كانت مدينة أرتانوج من أهم مراكز التجارة في أرمينية . فهي تقع عند ملتقى الطرق التجارية بين طرابيزون وأرمينية ، ومدن القوقاز الشمالية وأباهونيك كذلك كانت مدينة قارص تقع على الطريق من مدينة آني إلى أرتانوج ، ولقد بدأت كقلعة ثم أصبحت مركزا تجاريا مهماً(٤٨) . وكانت طرق التجارة هذه قديمة قدم التاريخ ، اذ كانت تعبرها القوافل المارة من الدولة الرومانية القديمة الى مملكة فارس . وظلت هذه الطرق التي تعبر أرمينية تربط بين طرابيزون ودار الاسلام مرورا بمدن آني ، وقارص ، وأرزن(٤٩) . وكانت هذه الطرق تعبرها التجارة والجيوش على حد سواء ، وتسير في الاتجاهات الآتية : الجنوب الغربي الى بغداد ودمشق ، وفي اتجاه الشرق نحو خراسان . وعلى طول الطرق كانت هناك محطات للاستراحة ، وأحجار تشير الى المسافات ، وخدمة رسمية للبريد منظمة بالخيول والجمال(٥٠) .

هذا ، ويمكن القول : إنّ المدن والطرق التجارية التي تعبر أرمينية أعطتها أهمية خاصة بين الشرق والغرب ، مما جعلها تقوم بدور هام في التجارة الدولية بين المراكز التجارية المعروفة حينذاك . وترتب على ذلك أن جنت أرمينية من هذه التجارة الكثير ، وأدت ضخامة ثروتها الى طمع جيرانها فيها ، خاصة بعد أن تبين لهم أهمية موقعها الاستراتيجي(٥١) .

ومن سوء حظ أرمينية أن أحاط بها جيران أقوياء ، طمعوا في الاستيلاء على أراضيها . ففي الشرق وجدت مملكة البارثيين في فارس ، وفي الغرب الامبراطورية الرومانية . واستمر وقوع أرمينية بين قوتين كبيرتين ، اذ أعقب البارثيين ،

(٤٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٩٩ ، وكذلك : Canard, Arm. Califate, p. 401.

(٤٨) عن المراكز التجارية الأخرى انظر :
الاصطخري : مسالك الممالك ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤ وكذلك : Manandian, Trade, p. 145-146.

(٤٩) أرزن : تقع بالقرب من مدينة قارص Kars على الطريق من مدينة آني الى مدينة أرتانوج ، وكانت مزدهرة بالتجارة التي تبحر في مياه البحر الأسود ، انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢ وايضا : Manandian, Trade, p. 145; Canard, Arm. Califate, p. 401.

(٥٠) Arist. de Last., Hist. (Canard) p. 15; Manandian, Trade, p. 155.

(٥١) Lang, Cradle, pp. 38-39.

الفرس الساسان في المشرق الذين كونوا امبراطورية كبيرة ، وأعقب الرومان البيزنطيون ، وكانت كل قوة من هاتين القوتين تقف بالمرصاد للأخرى . وتنظر نظرة ريبة وشك الى أرمينية ، طمعا فيها وخوفا من استيلاء الطرف الآخر عليها(٥٢) . وباختصار ، كان الصراع بين الشرق والغرب منذ القدم شؤما على أرمينية ، وبكلمة أخرى كانت أرمينية في معظم الأحيان ضحية لهذا الصراع .

لم يكن بوسع أرمينية مقاومة القوتين الكبيرتين المتاخمتين لحدودها ، وكان كل ما تستطيع أن تفعله ، هو أن تطلب عون احداهما ضد الأخرى ، اذا ما أبدت احدى القوتين طمعا واضحا فيها ، أو شكلت خطرا عليها . وان هذا الموقع الذي كانت تتمتع به أرمينية كدولة حاجزة بين كيانين سياسيين كبيرين كان له أكبر الأثر على تطور تاريخها السياسي ، وعلى سيادة أوضاع اقتصادية واجتماعية معينة فيها ، « فأرمينية لم تهزم هزيمة كاملة ، ولكنها لم تعرف ايضا الاستقلال الكامل »(٥٣) . ولأنها كانت ضحية القوتين الكبيرتين ، لهذا يلاحظ أن أقاليمها كثيرا ما كانت تُقسم بين المتنافسين عليها .

وهكذا أدى هذا الموقع ، وتلك الظروف الى أن أصبحت أرمينية ميدانا لصراع القوتين العظيمتين المتاخمتين لها ، في الشرق والغرب ، فكانت ميدانا لصراع الرومان والبارثيين في التاريخ القديم ومن بعدهم البيزنطيين والفرس ، فالعرب والبيزنطيون ، في العصر الوسيط . وكانت أرمينية ميداناً للصراع بين الشرق والغرب بحكم موقعها لهذا كان من الطبيعي أن تضع نفسها تحت السلاح تأهباً(٥٤) للدفاع عن نفسها ، ونتج عن هذا أنها لم تجد الوقت لتنمية مواردها ، فكان عليها أن تعمل لحماية نفسها ضد أخطار قائمة أو متوقعة .

ولقد أدت التضاريس الجغرافية لأرمينية ، فضلا عن موقعها بين قوتين كبيرتين الى انقسام الأرمن الى كيانات سياسية صغيرة كثيرا ما تنازعت فيما بينها بتحريض من جيرانها ، فاندلعت الحروب الأهلية وضاعت ثرواتها بين أطماع جيرانها(٥٥) وانعكس هذا كله على الحياة الاجتماعية ، بل أكثر من ذلك على علاقاتها بالقوى الكبرى المتاخمة لها(٥٦) .

(٥٢) Laurent, Études, pp. 6-7; Nersessian, Arm. Byz., p. 4.

(٥٣) Laurent, Études, pp. 7; Nersessian, Etudes, 208.

(٥٤) Morgan, Peuple., p. 115; Nersessian, Etudes, p. 209.

(٥٥) يذكر اليعقوبي ان « أرمينية » بلد يحيط به أعداؤه ، « كتاب البلدان » ، ص ٣٣٦ .

(٥٦) Laurent, Études, p. 7.

وجدير بالذكر : ان المجتمع الأرميني ، كان مجتمعا اقطاعيا يشبه ذلك الاقطاع الذي ساد المملكة الفارسية . واذا كان هناك وجه اختلاف ، فهو بقاء النظام الملكي ، في فارس . أما في أرمينية فقد عمل أمراء الاقطاع باستمرار على القضاء على النظام الملكي ، أو التقليل من نفوذه(٥٧) . فقد كان السادة الاقطاعيون في أرمينية يميلون الى المحلية والانفصالية والاقليمية(٥٨) ، وكانوا يشنون الحروب على بعضهم البعض بالحماسة نفسها التي شنوا بها الحروب على أعدائهم في الخارج ، ولم تتوقف الصراعات الخاصة بينهم ، حتى حين كانت بلادهم تتعرض للخطر ، وكانوا يستنصرون الفرس ، ومن بعدهم العرب من ناحية ، أو الرومان ومن بعدهم البيزنطيين من ناحية أخرى لتحقيق مطامعهم الشخصية(٥٩) . وان هذه الميول الانفصالية لهي السمة المميزة للنظام الاقطاعي الذي عرفته أرمينية بسبب تضاريس البلاد والميل الشديد نحو الفردية . وكان لهذا أثره - بطبيعة الحال - في تكييف موقفها من جيرانها البيزنطيين أو المسلمين إبّان الفترة الزمنية موضوع الدراسة .

ولقد فشل الملوك الأرمن في اخضاع النبلاء الاقطاعيين لسلطتهم ، ولهذا لم تعرف أرمينية المركزية في الحكم الا لفترات محدودة . ويلاحظ أن هذه الأحوال كانت سببا في ضعفها(٦٠) . وبالطبع لم يكن تحولها الى مملكة قوية أمرا مرغوبا فيه من جانب الفرس ، ومن بعدهم العرب من ناحية ، أو الرومان ومن بعدهم البيزنطيين من ناحية أخرى . ولهذا السبب ظل لقب الملك الأرميني خاليا من المعنى الحقيقي ، كما أصبح هذا اللقب مشاعا لجميع السادة الاقطاعيين ، فكل واحد منهم في إقليمه له حقوق الملك نفسها ، وعليه مثل واجباته(٦١) .

ولقد استغل جيران ارمينية الاقوياء ، تلك الاوضاع التي سادت فيها ، فحافظ الاباطرة ، والاكاسرة والخلفاء على بقاء الانقسامات في ارمينية لان هذا كان يتمشى مع مصالحهم ويسهل لهم أحكام قبضتهم عليها عن طريق مناصرة احدى الأسر في وقت ما واسرة اخرى في وقت آخر . وحرصوا ايضا على اذكاء نيران الاحقاد الكامنة في نفوس تلك الأسر(٦٢) .

(٥٧) Grousset, l'Arménie, p. 16.

(٥٨) Grousset, l'Arménie, p. 287.

(٥٩) Laurent, l'Arménie, p. 55; Nersessian, Arm. Byz., p. 16.

(٦٠) Manandian, Trade, p. 21; Laurent, l'Arménie, p. 101.

(٦١) Sebeos, Hist. Herclius, p. 100; Manandian, Trade, p. 21.

(٦٢) Arist. de Last (Canard) p. 3; Nersessian, Arm. Byz. p. 7.

ولقد أدت هذه الميول الانفصالية بين السادة الاقطاعيين إلى الحيلولة دون تحقيق الوحدة السياسية لارمينية . ولكن يجب ألا ننسى إن هذه الظروف نفسها فضلا عن التضاريس الجغرافية قد منعت جيران ارمينية الاقوياء من فرض سيطرتهم الكاملة عليها ، وان الصراع بين الامراء الأرمن والخصومات بين الأسر الكبرى كان السمة المميزة لمعظم فترات تاريخ ارمينية ، وأدى في النهاية إلى ان أصاب الوهن الامارات الارمينية التي تحكمها أسر اقطاعية(٦٣) .

وحتى تكتمل صورة ارمينية ، يحسن تقديم عرض سريع لتاريخها السياسي حتى أواسط القرن السابع الميلادي . ففي القرن الثاني قبل الميلاد كانت هناك ثلاث ممالك أرمينية : أرمينية العظمى ، وأرمينية الصغرى ، ومملكة صوفين Sophene ، ومنذ سنة ٩٥ ق.م أصبحت مملكة صوفين تابعة لأرمينية العظمى ، بينما ضمت الامبراطورية الرومانية القديمة أرمينية الصغرى سنة ٧٢م ، وأصبحت جزءا من مقاطعة قبدوقيه . وحوالى ذلك الوقت أقام تيجران الثاني العظيم Tigrane II the Great (٩٤ - ٥٤ ق.م) حاكم ارمينية امبراطورية عظمى ، ولكن الرومان كانوا له بالمرصاد وحرموه من معظم أملاكه . وتم الاتفاق بموجب معاهدة راندايا Rhandeia(٦٤) سنة ٦٣ م بين الامبراطورية الرومانية والمملكة الفارسية ، على أن يحكم أرمينية أحد أفراد أسرة الأرساكيد ذات الأصل الفارسي ، على أن يكون هذا الملك تابعا لروما .

كانت هذه المملكة الأرمينية التي حكمتها أسرة الأرساكيديين ، دولة محايدة بين الامبراطورية الرومانية ، والمملكة الفارسية ، وقد أدى هذا إلى طمع كلتا القوتين فيها ، كذلك أدى وجود هاتين القوتين الكبيرتين على حدودها إلى الحيلولة دون اتحاد ارمينية وظهورها كدولة قوية(٦٥) . كما تسبب موقع أرمينية أيضا أن أصبحت ميدانا التقت فيه جيوش الرومان والفرس ، بسبب النزاعات الدائمة بينهما ، ولاندلاع الحروب الأهلية المستمرة في أرمينية ذاتها ، وحرص كل طرف فيها

(٦٣) Grousset, l'Arménie, p. 285; Nersessian, Études, By. p. 291.

(٦٤) Hewsen, Introduction, p. 85; Toumanoff, Studies, p. 67.

(٦٥) يذكر البلاذري ، أن أرمينية كانت في أيدي الروم يتولاها صاحب أرميناقس ، ولكن الفرس في عهد الملك قباذ بن فيروز استطاعوا ضم جزء كبير منها إلى فارس ، فلم تزل أرمينية في أيدي الفرس حتى ظهر الاسلام ، فتوح البلدان ، ص ١٩٧ و ص ٢٠٠ ، وانظر كذلك :
Nersessian, Études, p. 271.

على استقطاب حليف من بين تلك القوتين المجاورتين لهم[٦٦] لم يجن الأرمن من وراء هذا كله سوى الخراب والدمار .

وحوالى سنة ٢٢٦م انتهى الحكم البارثي في ايران باقصاء البيت الحاكم الذي تنتمي إليه أسرة الأرساكيد في أرمينية على يد الفرس الساسانيين Sasanians . ولقد أصاب الهلع الأسرة الأرمينية الحاكمة باعتبارها فرعا من البيت المالك البارثي[٦٧] . فاتجه أفرادها نحو روما باعتبارها حليفهم الطبيعي ضد السادة الجدد في فارس . ولقد أدت المواجهة الفارسية الرومانية التي أعقبت هذه التطورات إلى انتصار روما ، وتوقيع معاهدة نصيبين بين الامبراطورية الرومانية وفارس في سنة ٢٩٨م . ونتج عن هذا ان سيطر النفوذ الروماني على أرمينية في مطلع القرن الرابع الميلادي ، اذ امتدت الحماية الرومانية إلى ما وراء نهر دجلة . ويمكن اعتبار احداث عام ٢٩٨م بداية لتفكك دولة ارمينية في ظل حكم أسرة الأرساكيد[٦٨] .

والمعروف ان الدعوة إلى المسيحية نشطت في أرمينية منذ نهاية القرن الثاني ومطلع القرن الثالث الميلادي ، ويرجع أمر تحول أرمينية إلى المسيحية إلى الجهود التنصرية التي قام بها القديس جريجوري المنير الملقب برسول أرمينية (٢٤٠ ـ ٣٢٢م)[٦٩] . الا أن تحول أرمينية إلى المسيحية رسميا حدث في سنة ٣٠١م[٧٠] . وانتشرت بعد ذلك الأديرة والكنائس في الأراضي الأرمينية . كما عمل القديس جريجوري المنير على تدريس الكتاب المقدس ، إما باليونانية وإما بالسريانية[٧١] .

وكانت الكنيسة الأرمينية ، والملكية الارمينية على وفاق تام ، وكان لابد لهما من الاتفاق معا لدرء الأخطار المحدقة بهماباستمرار ، فالكنيسة كانت تقاتل بقايا

---

(٦٦) للمزيد من هذه المنازعات ، في عهد أسرة أرساكيد ، انظر :

Moses Khorenats'i, History of Armenia (Thomson), pp. 263-354; Nersessian, Études, p. 292. Laurent, Études, p. 7.

(٦٧) Hewsen, Introduction, p. 86.

(٦٨) Toumonaff, Studies p. 298.

(٦٩) Grousset, l'Arménie, p. 121.

شب القديس جريجورى المنير في قيصرية وبندوقية حيث اعتنق المسيحية وقام برسالته التنصرية في أرمينية حوالي ٢٨٦م حيث القي به في حفرة قضى فيها بعد ١٤ سنة من قيامه بها .

(٧٠) يرى أدونتز Adontz أن تاريخ اعتناق أرمينية للمسيحية رسميا كان سنة ٢٨٨م . انظر :

Adontz, Les Vestigs, p. 513.

(٧١) للمزيد حول اعتناق الأرمن للمسيحية ، انظر :

Moise de Khorene, Hist. Arm. (Longlois), p. 124.

الوثنية ، بينما كانت الملكية تقاوم النزعات الانفصالية لدي السادة الاقطاعيين وأطماع احدى جارتيها القويتين .

أدت أطماع المملكة الفارسية في أرمينية إلى غزو الجيش الفارسي لبعض الأقاليم الأرمينية ، وسرعان ما تطور الأمر إلى حرب كبيرة بين الامبراطورية الرومانية وفارس في سنة ٣٣٨م تم فيها نقض اتفاقية نصيبين[٧٢] . وكانت أرمينية بحكم موقعها في قلب هذا الصراع عنصرا مؤثرا في كسب المعركة ، فأخذ كل طرف من أطراف النزاع يحرص على رضائها ، واستمالتها إلى جانبه[٧٣] .

ويلاحظ أن كلا من روما وفارس حاولت دون جدوى الاستئثار بأرمينية ، الا أن الأرمن قاوموا بشدة الخضوع لأي من الطرفين ، وكانوا باستمرار يلجئون إلى احدى القوتين لدرء خطر الأخرى . وعلى أية حال ، ازداد ضعف أسرة الأرساكيد وسط هذا الصراع الضاري ، في الوقت الذي ازداد فيه نفوذ الأسر الاقطاعية ، وبالذات أسرة ماميكونيان Mamikonian التي تحمل أمراؤ ها الواحد تلو الآخر قيادة الجيش الأرميني[٧٤] ، بل أكثر من هذا ـ فقد تولى زعيم هذه الأسرة أكثر من مرة قيادة أرمينية كوصى على العرش الأرساكيدي[٧٥] .

هذا ، وقد نتج عن تلك الحرب الطويلة المتقطعة بين فارس وروما ، انقسام الكيانات السياسية في ايبيريا وأرمينية ، فخضع بعضها لسيطرة الرومان ، وخضع بعضها الآخر لسيطرة الفرس . وكان هذا شيئا طبيعيا ، فأرمينية تقع بين هاتين الدولتين الكبيرتين ، كما يمر بها اثنان من أهم الطرق التجارية الموصلة بين طرابيزون على البحر الأسود والمملكة الفارسية ، ومن شواطىء بحر قزوين الى أعالى الجزيرة وآسيا الوسطى[٧٦] .

انتهت الحروب المتقطعة التي استمرت قرابة نصف القرن بين روما وفارس ،

---

(٧٢) Cont. Thom. Ardz. pp. 54-55. Brosset, Historiens , I, p. 54.

(٧٣) Asolik, Univ. Dulaurier p. 1; Grousset l'Arménie, pp. 138-139.

(٧٤) عن ظهور أسرة ماميكونيان وازدهارها ، انظر :

Pseudo-Sebéos, Texte Armenien, pp. 18-19; Moses Khorenatsi, History of the Armeniens, pp. 229-231.

(٧٥) لقد استمر هذا الوضع حتى أعاد مانويل ماميكونيان Manuel Mamikonian الملكية الأرمينية الى من يمثلها في أسرة الأرساكيد شرعيا ، وذلك حين توج أرشاك الثالث Archak III ملكا على أرمينية سنة ٣٨٣م . انظر :

Grousset, l'Arménie, p. 157.

(٧٦) Nersessian, Arm. Byz., pp. 4-5.

بتوقيع معاهدة سنة ٣٨٧م بين الامبراطور الروماني ثيودسيوس الأول Theodosuis I (٣٧٩ - ٣٩٥) والملك الفارسي شابور الثالث Shapur III (٣٨٣ - ٣٨٨) ، والتي نصت على تقسيم أرمينية بين القوتين الكبيرتين . ففي الشرق كانت هناك أرمينية الكبرى ويحكمها كسرى الثالث Khosrow III (٤١٤ - ٤١٥) تحت الحماية الفارسية . وأما في الغرب ، أي في منطقة الفرات التي كان يحكمها أرشاك الثالث Archak III (٣٧٨ - ٣٨٩) فقد أصبحت تحت الحماية الرومانية[٧٧] .

والجدير بالذكر أن معاهدة التقسيم هذه كانت غير متكافئة ، لأن أرمينية الخاضعة للرومان لم تكن تمثل سوى خمس أرمينية الفارسية . كذلك كان ترك أربعة أخماس أرمينية أي أرمينية الكبرى لفارس خطأ من جانب الامبراطورية الرومانية . وبذلك أصبحت أرمينية منذ ذلك الوقت تدور في فلك الفرس ومن بعدهم العرب المسلمين ، بسبب هذا التقسيم . ونتيجة ذلك ايضا ، تعرضت أرمينية الفارسية لخطر تحويلها إلى المجوسية، كما تعرضت أرمينية البيزنطية لفقد طابعها القومي . ولكن لاشك أن انفصال أرمينية الكبرى عن العالم المسيحي كان فيه حماية لاستقلالها الروحي . فارتباطها بالعالم الفارسي المجوسي كان فيه حماية لمسيحيتها الأرمينية . وان عانت كثيرا من الاضطهاد الديني على يد الفرس ، ولكنه كان أهون عليها من الاضطهاد المذهبي الذي عانت منه على يد البيزنطيين حيث كان الاضطهاد المذهبي في تلك العصور يفوق الاضطهاد الديني[٧٨] .

هذا ، وقد قامت روما بضم الجزء الغربي من أرمينية إليها بعد موت ملكه ارشاك الثالث في سنة ٣٨٩م ، وكان يتكون من احدى عشرة مقاطعة . وأصبح جزءاً من الامبراطورية الرومانية حتى منتصف القرن السابع الميلادي[٧٩] .

أما بخصوص أرمينية الخاضعة للفرس ، فقد احتفظ الملك الأرميني هناك بسلطته الاسمية حتى عام ٤٢٨م حين طلب السادة الاقطاعيون من الحكومة الفارسية أن تلغى الملكية الأرمينية . وبالفعل تم اقصاء آخر أعضاء البيت الحاكم من أسرة أرساكيد ، وهو الملك أرتاخس الرابع Artaches IV (٤٢٣ - ٤٢٨) عن العرش[٨٠] .

(٧٧) Grousset, l'Arménie, p. 164; Nersessian, Arm Byz., p. 7. Hewsen, Introduction, p. 87.

(٧٨) Toumanoff, Arm. Geor., pp. 599-601.

(٧٩) Cont. Thom Ard. p. 60 Hewsen, Introduction, p. 87.

(٨٠) Moise de Khorén, Hist. Arm. (Longlois), p. 63; Toumanoff, Caucasian, Hist., p. 152.

وهكذا انتهت الملكية الارساكيدية ، وكان هذا نهاية لاستقلال أرمينية فعاشت بعد ذلك ، بعد استئصال كيانها وتجزئتها وحرمانها من بعض أراضيها ، كمجموعة من الأقاليم بعضها خاضع للامبراطورية البيزنطية مباشرة وبعضها الآخر خاضع لفارس[٨٢] . وكانت وحدة أرمينية الوحيدة الباقية تتمثل في الانتماء المشترك للكنيسة الأرمينية ، وخضوع معظم الأرمن للمرزبان Marzpan أو الحاكم الفارسي العام المعين من قبل الملك الفارسي . وعلى هذا يجب ألا ننظر إلى أرمينية بعد سنة ٤٢٨م وحتى نهاية القرن السادس الميلادي كوحدة سياسية منظمة من الأقاليم ، بل كاتحاد مفكك من الامارات ، معظمها تتبع فارس والجزء الباقي منها يتبع الامبراطورية البيزنطية[٨٣] .

ولقد تميزت الفترة الأخيرة من عهد الأسرة الارساكيدية ، وبالتحديد الفترة من ٣٩٢ إلى ٤٠٥م . بتوصل الأرمن إلى الأبجدية الأرمينية[٨٤] ، فكان هذا تأكيدا للسيادة الذاتية للأرمن . وتم نقل الانجيل إلى اللغة الأرمينية فيما بين عامي ٤١٠ - ٤٢٢م ، كما نقل بعد ذلك من اللغة السريانية إلى الأرمينية خلال الفترة الممتدة من ٤٣١م وحتى ٤٣٥م . وقد أعطت هذه الترجمة للتنصير بالمسيحية في أرمينية دفعة قوية[٨٤] .

كما مكنت الأرمن من الاحتفاظ بصبغتهم الثقافية وعقيدتهم الدينية . كذلك يلاحظ ان الأدب المسيحي أعطى للثقافة الأرمينية طابعها التاريخي[٨٦] .

على أية حال ، حاولت فارس تشجيع النفوذ السرياني في أرمينية لموازنة هذا الاستقلال الروحي الذي تمسك به الأرمن . والمعروف ان معظم المسيحيين في فارس كانوا من السريان ، ولكنهم كانوا منشقين عن باقي العالم المسيحي ، كما بدا ذلك واضحا في مذهب النساطرة .

وهكذا بدا كما لو كان من الممكن تقوية الروابط بين أرمينية وفارس ،

(٨١) Brosset, Historiens . pp. V-VIII.

(٨٢) Cont. Thom. Ardz, p. 65. Ghazarian, Arabischen, p. 9.

(٨٣) Hewsen, Introduction, p. 87.

(٨٤) عن تاريخ الأبجدية الأرمينية انظر :

بول بيتر ، مجلة الدراسات الأرمينية الجزء ٩ ، سنة ١٩٢٩ ، الصفحات : ٢٠٣ - ٢٣٧ .

Peeters, Alphabet Armenien, pp. 303-307.

وانظر أيضا : أدونتز N. Adontz ، الانجيل الأرميني ومدخله التاريخي في الاحتفال بالذكرى الخمسمائة على ترجمة الانجيل للأرمينية ،

Adontz, Bible Armenienne, p. 47.

(٨٥) Vartan le Grand (collection d'historiens) 2, p. 67; Grousset, l'Arménie, pp. 175-180.

(٨٦) Meillet, Influence, p. 14; Grousset, l'Arménie, pp. 176-177; Toumanoff, Arm. Geor, p. 599.

واضعاف العلاقات البيزنطية الأرمينية(٨٧) الا أن الأمور لم تسر على هذا المنوال . اذ سرعان ما ثار الأرمن على الفرس بقيادة فردان ماميكونيان Vardan Mamikonian لأنهم أرادوا ارغام الأرمن على اعتناق المجوسية ، ونبذ عقيدتهم المسيحية ، واستنجد الثوار بالامبراطور ماركيان Marcian (٤٥٠ - ٤٥٧م) ، ولكنه لم يستطع مساعدتهم ، فتمت تسوية الأمور بالسماح للأرمن بممارسة عقيدتهم الدينية دون أي تدخل من جانب الفرس(٨٨) .

تجددت ثورة الأرمن بعد ذلك في سنة ٤٨١م في عهد الملك الفارسي فيروز Firuz (٤٥٩ - ٤٨٤م) .الا ان مقتل هذا الملك في سنة ٤٨٤م ، كان في صالح الأرمن ، اذ وجد خليفته بالاش Balash (٤٨٤ - ٤٨٨م)(٨٩) من صالحة اعادة غرس السلام في القوقاز . وتم التوصل في عام ٤٨٥م الى اتفاق مع الأمراء الأرمن استبدل به المرزبان الايراني ، بفاهان ماميكونيان Vahan كأمير حاكم ، مع منحه لقب مرزبان(٩٠) . وتم التوصل الى اتفاق مماثل مع أمير أيبيريا . وقد استمرت مرزبانيه فاهان من سنة ٤٨٥م حتى سنة ٥٠٥م(٩١) وكان بامكانه الاستفادة من الظروف المحيطة به كي يقيم مملكة ارمينية تدين بفضله ، ولكن خوفه من الاصطدام بالفرس ، ومعارضة العائلات الاقطاعية الأخرى ، حال دون تحقيق ذلك(٩٢) .

وعلى كل حال ، فقد أدت سياسة الملك الفارسي قباذ الأول Kawadh I (٤٨٨ - ٥٣١م) إلى توتر العلاقات بينه وبين بيزنطة . وسرعان مانقض هذا الملك سلام مائة العام مع الامبراطورية . وبدأت نذر الحرب بين فارس وبيزنطة والتي استمرت من سنة ٥٠٢ حتي ٥٠٦م(٩٣)وانتهت بهدنة بين الطرفين لمدة سبع سنوات(٩٤) .

---

(٨٧) Toumanoff, Arm. Geor., p. 599.

(٨٨) Grousset, l'Arménie, p. 201.

(٨٩) أخطأ سيبوس عندما لم يشر إلى عهد الملك الفارسي بالاش ، وقد حكم أربع سنوات ، وذكر أنه بعد موت الملك الفارسي فيروز خلفه مباشرة على عرش فارس قباذ الأول ، انظر : Sebeos, Hist. Heraclius, p. 4.

(٩٠) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 4.

(٩١) Brosset, Hist. Armeniens, pp. 3-4.

(٩٢) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 3-4.

(٩٣) Procopius, Persian war, p. 29, Theophanes, p. 141; Hongmann, Ostgrenze, pp. 16-17

(٩٤) Honigmann, Ostgrenze, p. 10.

وفي أثناء الحرب الفارسية البيزنطية سابقة الذكر رفض حاكم أيبيريا الاشتراك فيها ، كما رفض تأييد الفرس ، لأن أيبيريا عانت في عهد الملك قباذ من محاولات نشر عبادة النار فيها ، لهذا انقلبت ضد فارس . كذلك يلاحظ أن الأرمن سرعان مافقدوا حكمهم الذاتي بسبب قيامهم بالثورة مرة أخرى ضد الفرس في سنتي ٥١٣ - ٥١٤(٩٥)وذلك لعدم وفائها بضمان حرية العقيدة لهم . وبذلك انتهى الحكم الذاتي الفعلي الذي تمتع به الأرمن طوال ربع قرن تحت سيادة آل ماميكونيان(٩٦) .

من استعراضنا لسياسة الفرس تجاه منطقة القوقاز بصفة عامة ، يمكن القول بأن فارس أخفقت في فرض ديانتها على أيبيريا بينما نجحت في منطقة محدودة من القوقاز هي منطقة لازيكا Lazica لبعض الوقت . وبالنسبة للامبراطورية البيزنطية فانها لم تستطع ان تقف مكتوفة الأيدي أمام هذه الأحداث التي تجري في منطقة القوقاز على حدودها الشرقية . بل أكثر من ذلك ، حين ارتدت لازيكا إلى المسيحية مرة اخرى وطلبت مساعدة بيزنطة ، سارعت الأخيرة بارسال جيش امبراطوري لمساندتها هى وأيبيريا(٩٧)وأدى هذا كله إلى وقوع الحرب الفارسية البيزنطية في أواخر عهد جستين الأول Justin I (٥١٨ - ٥٢٧م) ، وهي الحرب التي ورثهاجستنيان الأول Justinan I (٥٢٧ - ٥٦٥)(٩٨) .

وقبل أن نستطرد في الحديث عن الحرب الفارسية البيزنطية التي اندلعت في عهد جستنيان ، تجدر الاشارة إلى النزاع الذي قام بين الكنيستين الأرمينية والبيزنطية . سبق أن ذكرنا ، أن بيزنطة حرصت على اقامة حكم مباشر لها في الأراضي الأرمينية الخاضعة لنفوذها ، كما حرصت على تجريدها من قوميتها بارغام سكانها من الأرمن بترك مذهبهم المونوفيزي Monophystisom والأخذ بقرارات مجمع خلقدونية المسكوني عام ٤٥١م ، والتي تقول : ان للسيد المسيح طبيعتين : بشرية وإلهية لاتندمجان في شخص واحد(٩٩) . ورفض الأرمن لقرارات مجمع خلقدونية مرجعه

---

(٩٥) Sebeos, Hist., Heraclius, pp. 6-7; Toumanoff, Arm. Geor., 601.

(٩٦) Solik, Univ. (Macler), p. 114; Christenseen, Iran sous Sassanides, p. 347.

(٩٧) Procopius, Persian war, p. 97; Toumanoff, Arm Geor., p. 601.

(٩٨) Procopius,Persian war, pp. 99-101; Malalas, Chronicle, pp. 427, 435, 441-442, 449-450, 452-453, 461-473; Christenseen, Iran Saus Sassanides, p. 352

(٩٩) والجدير بالذكر أن الامبراطور زينوZeno (٤٧٤ - ٤٩١) انقلب في مؤلفة المعروف بصيغة التوحيد Henotikon ضد العقيدة الخلقدونية وحكم عليها بأنها شبيهة بالنسطورية التي سبق أن ادانها مجمع أفيسوس Ephesus سنة ٤٣١م وقد تمسك زينو بمذهب الطبيعة الواحدة في سنة ٤٨٢م وللمزيد انظر .
Tixeront, Hist. Dogmes, III, pp. 107-108; Ostrogorsky, Hist. Byz. St., p. 55; Vasiliev, Empire, p. 105; Grousset l'Arménie, p. 234.

خوفهم من ضياع شخصيتهم الدينية والسياسية في ظل الحكم البيزنطي ، ذلك الخوف الذي أدى بهم إلى اتخاذ جانب المسلمين فيما بعد ، في أغلب فترات الصراع البيزنطي العربي بعد الفتح الإسلامي لأرمينية[١٠٠] .

كيفما كان الأمر ، فقد أصاب منطقة القوقاز التصدع الديني . ففي المجمع الديني الذي عقده الأرمن والأيبريون في مدينة دوين سنة (٥٠٦م) ، أدى الخوف من النسطورية ، التي حاول الفرس فرضها عليهم إلى تمسك الأرمن أكثر من ذي قبل بمبدأ الطبيعة الواحدة ولقد ازداد تمسك الأرمن بهذا المذهب لخوفهم من ضياع شخصيتهم ، في ظل الحكم البيزنطي ، فضلا عن استيائهم من عودة الامبراطور جستين الأول إلى بناء الجسور مع روما وعودة بيزنطة بدءا من عهده إلى العقيدة الخلقدونية[١٠١] .

والواقع ، أن هذه التطورات أدت إلى اعلان الاساقفة الأرمن في مجمع ديني عُقد في دوين سنة ٥٥٥م اعتناقهم رسميا لمذهب الطبيعة الواحدة المنوفيزي . ومنذ ذلك الحين يمكن القول : إن الكنيسة الأرمينية القومية قد ولدت[١٠٢] . وأدى تمسك الأرمن بهذه العقيدة واعتناقهم لها إلى تدهور علاقاتهم بالامبراطورية البيزنطية بعد ذلك وتطور الأمر إلى انفصال ديني نهائي بينهما ، كما أدى بطريقة غير مباشرة إلى تحسين العلاقات السياسية بين الأرمن في أرمينية الفارسية وبلاط فارس[١٠٣] . لهذا أظهر الملك الساساني قباذ في سنوات حكمه الأخيرة تسامحا دينيا عاما مع المسيحيين الأرمن ، استمر في عهد ابنه كسرى انوشروان Khousro Anocharvan (٥٣١ - ٥٧٩م)[١٠٤] . ومن مظاهر تلك العلاقات الحسنة بين الفرس والأرمن ، تعيين أحد الأرمن حاكما على أرمينية يدعى ميجيج Mejeje ، وهو أحد نبلاء عائلة جنوني Cnouni الاقطاعية ، الذي يسميه البيزنطيون ميزوزيوس Mezzizious[١٠٥] .

أما بخصوص الحرب التي ورثها جستنيان الأول في بداية عهده سنة ٥٢٧م مع الفرس ، فقد ظلت مشتعلة لمدة خمس سنوات حتى تم التوصل إلى صلح في عام

---

(١٠٠) Ghevond, Guerres, p. 155; Marquart, Osteurop äische, p. 453.

(١٠١) Vasiliev, Empire, pp. 148-149.

(١٠٢) Toumanoff, Arm. Geor., p. 604.

(١٠٣) Grousset, l'Arménie, p. 237.

(١٠٤) Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 115; Samuel pp. 390-391.

(١٠٥) Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 116; Samuel, d'Ani Collection d'Historiens) pp. 390-392.

٥٣٢م[١٠٦] ، حيث كان الامبراطور البيزنطي أشد حرصا على تحقيقه كي يؤمن جانب الجبهة الشرقية ويركز كل جهود وموارد الامبراطورية لتحقيق أحلامه الخاصة بإحياء الامبراطورية الرومانية القديمة وذلك باسترداد الأقاليم الغربية التي استولى عليها البرابرة الجرمان . وفي معاهدة السلام التي وقعها كل من الامبراطور جستنيان الأول والملك الفارسي كسرى أنوشروان . تم تقسيم النفوذ في القوقاز طبقا للاتجاهات الجبلية[١٠٧] ، فاحتفظ الفرس بأيبيريا كما احتفظوا بأرمينية التي كانت خاضعة لهم . ولم تكن هذه المعاهدة لصالح بيزنطة . ولكن الأخيرة اضطرت لتوقيعها حتى تؤمن الجبهة الفارسية[١٠٨] .

ومما ينبغي ذكره أن جستنيان الأول لجأ إلى ادخال اصلاحات عميقة . فألغى امتيازات السادة الاقطاعيين في أرمينية البيزنطية[١٠٩] .

كما قام بتنظيم الاقاليم الأرمنية الخاضعة لبيزنطة في شكل مناطق ادارية وعسكرية[١١٠] .

ثم أمر بتحطيم والغاء القوانين المحلية الخاصة بخلافة الآباء ، بهدف القضاء على الاستقلال الاقتصادي للاسرة الاقطاعية الارمنية[١١١] ، كذلك قام بنزع ممتلكات هذه الاسر[١١٢] .

---

(١٠٦) Procopius, Persian war, p. 207.

(١٠٧) Malalas, Chronicle, p. 427; Honigmann, Ostgrenze, pp. 16-17.

(١٠٨) Procopius, Persian war, p. 207; Grousset, l'Arménie, pp. 238-239; Vasiliev, Empire, p. 135.

(١٠٩) Malalas, Chronicle, p. 427.

(١١٠) Procopius, Persian War, pp. 246, Honigman, Ostgrenze, pp. 16-17, Diehl, Justinien, p. 281.

(١١١) Malalas, Chronicle, p. 427
كذلك قام جستنيان بنقل أعداد كبيرة من السكان الأرمن الى تراقيا وأقاليم أخرى من آسيا الصغرى ، وكان هدفه من ذلك هو اعادة تعمير مناطق مقفرة من السكان . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فرض الصبغة البيزنطية على أرمينية انظر :
Honigman, Ostgrenze , pp. 16-17.

(١١٢) Procopius, Persian War, pp. 247-248.
كذلك أزاح جستنيان الأسر الاقطاعية الوراثية عن حكم المقاطعات وأحل محلها موظفين بيزنطيين ، انظر ،
Grousset, L'Arménie, p. 240.

وتسبب هذا كله بالاضافة إلى سلوك الموظفين البيزنطيين ، في قيام الأرمن بالثورة ضد بيزنطة في سنة ٥٣٩م ، ولجوء الثوار إلى الملك الفارسي(١١٣) كما امتدت الثورة إلى منطقة لازيكا .

هذا ، ولقد لبى الملك الفارسي نداء الأرمن ودخل الجيش الفارسي لازيكا في عام ٥٤١م ، كما اندلعت الحرب في أرمينية بين القوتين الكبريين في سنة ٥٤٣م(١١٤) . ولكن جستنيان الأول استطاع التوصل الى عقد هدنة مع فارس في سنة ٥٤٥م مقابل دفع مبالغ كبيرة ، ولم تتضمن بنود هذه الهدنة أي اشارة الى لازيكا(١١٥) .

ومع ذلك لم يهدأ الموقف أبداً في القوقاز ، فقد مالت أيبيريا نحو بيزنطة ، واشتعلت الحرب بين بيزنطة وفارس على لازيكا ابتداء من سنة ٥٤٩م(١١٦) . واستمرت الحرب بينهما الى أن تم عقد سلام دائم بينهما في سنة ٥٦١م عُرف بسلام الخمسين عاماً ، وفيه وافقت بيزنطة على دفع مبلغ كبير مقابل أن يترك الفرس لازيكا . وحصل جستنيان الأول على تسامح ديني كامل لرعايا الملك الفارسي في الجزء الأرميني التابع لهذا الملك(١١٧) .

والى جانب ذلك فقد نجح البيزنطيون في تدعيم نفوذهم في أيبيريا وبالذات في عهد الامبراطور موريس Mourice (٥٨٢ - ٦٠٢م) . وجاء ارساء النفوذ البيزنطي في أيبيريا في تلك الفترة متمشيا تماما مع الميول الدينية لسكان ذلك الاقليم الذين فضلوا في النهاية اعتناق العقيدة الخلقدونية ، واتباع مذهب كنيسة القسطنطينية ، فظهر الخلاف العقائدي واضحاً في اقليمين رئيسيين من أقاليم القوقاز وهما أرمينية وأيبيريا(١١٨) .

على كل حال ، لم يمر ذلك الصراع الديني الذي شب بين الامبراطورية البيزنطية والأرمن دون أن يترك بصمات واضحة على مستقبل علاقاتها ببعض ،

(١١٣) Procopius, Persian War, pp. 159-161, 163-166; Grousset, l'Arménie, p. 240.

(١١٤) Toumanoff, Arm. Geor, p. 602.

(١١٥) عن تفاصيل الحرب الفارسية البيزنطية هذه ، انظر :
Procopius, Persian War, p. 517, Vasilev, Empire, p. 139.

(١١٦) Manandian, Trade, pp. 351-353.

(١١٧) هذا ، وقد كان المرزبانات الفرس قد أكرهوا الأرمن على اعتناق المجوسية ، انظر :
Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 116; Ostrogorsky, Hist. Byz. St., p. 66.

(١١٨) Asolik, Univ. (Macler), p. 5, n. 2; Grousset, l'Armènie, p. 241.

وكان الانفصال الديني الذي وقع بين الطرفين أهم ما تمخض عنه ذلك الصراع ، وستبدو آثاره السلبية على مستقبل علاقاتها والتي ستكون أعمق بعد فتح العرب لأرمينية ومنح الأرمن حرية العقيدة الدينية ، مما كان له الأثر الكبير في انحيازهم الى جانبهم ضد البيزنطيين خلال أغلب فترات الحروب التي جرت بينها بعد ذلك .

واذا عدنا الى أحداث الحرب الفارسية البيزنطية ، تلك التي أنهكت قواهما ممهدة بذلك للعرب فرصة عظيمة لتحقيق انتصارات باهرة عليهما ، وخاصة فارس التي دك العرب صرح عرشها تماماً ، ونجاحهم بعد ذلك في ضم كل الأقاليم التابعة لنفوذها ، ومنها أرمينية - سوف نجد أن الحرب سرعان ما تجددت بين فارس وبيزنطة ، واستمرت بشكل شبه متصل خلال عهود كل من جستين الثاني Uustin II (٥٦٥ - ٥٧٨م) ، والامبراطور تيباريوس الثاني Tiberius II (٥٧٨ - ٥٨٢م) ، والامبراطور موريس(١١٩) ، حتى تم التوصل الى اتفاق عام ٥٩١م(١٢٠) .

لقد دخلت الحرب الفارسية التي أورثها جستين الثاني لخلفائه مرحلة جديدة سنة ٥٨٢م(١٢١) ، حين اعتلى الامبراطور النشط موريس العرش ، وخاصة عندما عمل على تخليص أيبيريا من النفوذ الفارسي ، واستطاع هذا الامبراطور تحقيق عدة انتصارات على الجيوش الفارسية في عهد الملك الفارسي هورميزد الرابع Hormizd IV (٥٧٩ - ٥٩٠م)(١٢٢) . ومما زاد في حرج موقف هذا الأخير اندلاع الثورة ضده بقيادة فاهرام شوبين(١٢٣) Vahran Tchoben ، وتم خلع هورميزد واغتصاب فاهرام العرش(١٢٤) . وكانت هذه فرصة طيبة لبيزنطة ، فتوغلت جيوشها في قلب ارمينية الفارسية . الا أن تطور الأحداث في فارس غير من مجرى الأمور تماما ، فقد كان هناك اثنان من المتنافسين على العرش ، ذلك المغتصب فاهرام ، وكسرى ابن الملك المخلوع ، الذي التجأ الى الامبراطور موريس طالبا منه مساعدته ، لكي يسترد

(١١٩) يذكر أسو ليك أن الامبراطور موريس كان من أصل أرميني ، انظر :
Asolik, Univ. (Macler), p. 169.

(١٢٠) Grosset, l'Arménie, pp. 244-248; Pury, Roman, 11, pp. 310-312.

(١٢١) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 5.

(١٢٢) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 11.

(١٢٣) حاول فاهرام اقناع أمراء الأرمن بالتحالف معه لقتال الملك الفارسي ، وقد بعث برسائل بهذا الخصوص الى موشيل ماميكونيان ، والى غيره من أمراء الأرمن ، انظر : Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 19-21.

(١٢٤) Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 12-13.

عرش آبائه(١٢٥) ، وقد وجدت بيزنطة في طلب كسرى فرصة ذهبية لغرس نفوذها مرة أخرى في أجزاء كبيرة من أرمينية ، حيث وافق الأخير على منحها جزءا من شمال العراق حتى نصيبين ، وجزءًا من أرمينية حتى دوين ، وبحيرة فان ، وجزءًا من أيبيريا حتى تفليس(١٢٦) .

وقد نجحت القوات المتحالفة البيزنطية ، والأرمينية في هزيمة قوات فاهرام . وهكذا استعاد كسرى الثاني Khousraw II (٥٩٠ ـ ٦٢٨م) العرش(١٢٧) ، وقام بالوفاء بكل التزاماته وأعاد الى بيزنطة كل ما سبق أن تعهد به . وتم توقيع معاهدة سلام بين الطرفين ، اعترفت فيها فارس بالنفوذ البيزنطي في أيبيريا . كما دفعت هذه المعاهدة الحدود البيزنطية مزيدا الى الشرق(١٢٨) . ويمكن القول بأن معاهدة سنة ٥٩١م كانت تمثل ثأراً بيزنطياً ضد الفرس طال انتظاره ، نالته بيزنطة بدبلوماسية بارعة(١٢٩) .

ومما ينبغي ذكره : أن انتصار بيزنطة لم يكن في صالح الأرمن ، اذ أصبح عليهم تحمل نظام الحكم البيزنطي المركزي(١٣٠) . كما قام موريس بنقل العديد منهم الى مقاطعات بيزنطية في آسيا الصغرى والبلقان(١٣١) ، وتجنيد أعداد كبيرة منهم في الجيش البيزنطي ، حاربوا أعداء بيزنطة في البلقان . وهكذا ، بدت تبعية الأرمن لفارس أهون عليهم من تبعيتهم لبيزنطة ، خاصة أن الامبراطور موريس ظل ينهج سياسة تجريد الأرمن من قوميتهم(١٣٢) .

---

(١٢٥) Asolik, Univ. (Dularier), p. 196.

(١٢٦) Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 14-15; Asolik, Univ. (Dularier), pp. 142-143.

(١٢٧) Asolik, Univ. (Dularier), p. 196.

(١٢٨) امتدت الحدود البيزنطية بموجب هذه المعاهدة في خط بين بحيرات فان Van وسيفان Sevan مع مدينة دوين . أما مدينة دوين نفسها فقد ظلت في حوزة الفرس ، أنظر :
Sebeos, Hist. Heraclius, p. 27; Honigman, Ostgrenze, pp. 12, 29.

(١٢٩) Grousset, l'Arménie, p. 252.

(١٣٠) Ghazanian, Arabischen, p. 11.

(١٣١) يذكر سيبوس : ان الامبراطور ، موريس قام بنقلهم إلى تراقيا ، انظر :
Sebeos, Hist. Heraclius, p. 30.

(١٣٢) كتب الامبراطور موريس الى كسرى الثاني خطابا يصف فيه الأرمن بأنهم أمة ماكرة عنيدة يقيمون بين البيزنطيين والفرس ويسببون لهم الكثير من المشاكل والازعاج والفوضى ، انظر :
Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 30-31.

وليس من العسير أن ندرك أن الأرمن كانوا يعيشون حياة أفضل في ظل فارس ، ذلك لأنها كانت ملكية اقطاعية ، وجد فيها السادة الاقطاعيون الأرمن وضعهم ، حيث كان لهم امتيازات السادة الاقطاعيين الفرس . ولقد رحب الأرمن بالتعاون مع الفرس منذ أن تخلى آكاسرة فارس عن سياسة الاضطهاد الديني ضدهم . وعلى النقيض من هذا ، كانت سياسة بيزنطة ضدهم ، حيث انها دولة ذات ادارة مركزية قوية ، وكانت تحرص على احتواء كل العناصر البشرية التي تخضعها داخل الكيان الإمبراطوري . ولقد بدا الأرمن عناصر مفضلة لدى بيزنطة لأنهم جنود من الطراز الأول . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى وجد الأرمن أن الادارة البيزنطية حريصة على فرض الوحدة المذهبية الدينية على كل رعاياها(١٣٣) . ولما رفض الأرمن قبول العقيدة الخلقدونية ، بدأت بيزنطة تضطهدهم ، وأدى هذا الى رفض الجاثليق وهو رأس الكنيسة الأرمينية دعوة الامبراطور البيزنطي للاشتراك في المجمع الديني الذي دعت اليه القسطنطينية ، وفضل الاقامة في مدينة دوين الخاضعة للفرس . لذلك اضطر موريس الى تعيين بطريرك آخر سنة ٥٩٠م(١٣٤) على المقاطعات الأرمينية الخاضعة لنفوذه . وأدى هذا التطور الى القطيعة بين الكنيستين الأرمينية والبيزنطية . أما الموقف في أيبيريا فكان مختلفاً ، اذ رحب الأيبيريون بالنفوذ البيزنطي ، لأنهم كانوا من أنصار العقيدة الخلقدونية ، لهذا استمرت الكنيسة الأيبيرية تدور في فلك كنيسة القسطنطينية(١٣٥) .

ومن استعراضنا للحوادث السابقة يتضح أن الأرمن كانوا دائماً يتطلعون لاستقلالهم الاداري والمذهبي ، وقد أدت سياسة الامبراطور البيزنطي موريس الاضطهادية تجاههم الى قيامهم بالتمرد ضد النفوذ البيزنطي أكثر من مرة . وفي غرة هذه الصراعات فقدت أسرة ماميكونيان سلطتها ، وبدأ نجم أسرة البقراطيين يرتفع حتى أصبحت أهم أسرة في أرمينية(١٣٦) .

ولكن السلام بين بيزنطة وفارس لم يدم طويلا ، حيث أدت ثورة ضد موريس

---

(١٣٣) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 36.

(١٣٤) لقد عين البطريرك موس Moise لارمينية الفارسية والبطريرك يوحنا Jean على أرمينية البيزنطية . انظر :
Sebeos, Hist. Heraclius, p. 36; Asolik, Univ. (Macler), p. 86.

(١٣٥) Grousset, l'Arménie, p. 265.

(١٣٦) Brousset, Historie Georgie, p. 165; Toumanoff, Arm. Geor, p. 604.

الى عزلة واعتلاء الامبراطور فوقاس Phocas (٦٠٢ - ٦١٠م) العرش[١٣٧] . وقد أدى هذا الى نشوب حرب جديدة بين الدولتين الفارسية والبيزنطية في الفترة الممتدة من سنة ٦٠٤م الى سنة ٦٠٩م ، حققت فارس فيها انتصارات هامة[١٣٨] ، إذ غزت جيوشها أرمينية كلها ووحدتها تحت الحكم الفارسي المباشر في الفترة من سنة ٦٠٧م الى سنة ٦١٢م[١٣٩]. وأمام هذه الأوضاع اضطر حاكم أيبيريا الى قبول السيادة الفارسية[١٤٠] .

وأخيرا جاء هرقل Heraclius (٦١٠ - ٦٤١م) ابن حاكم شمال أفريقية لينقذ الأحوال المتردية في بيزنطة خلال فترة حكم فوقاس ، وتم تصيبه امبراطورا سنة ٦١٠م بعد أن قضى على فوقاس[١٤١] . وعلى الرغم من أن الموقف كان ميئوسا منه ، الا أن تعاون سكان العاصمة والبطريك سرجيوس[١٤٢] معه حال دون ذلك ، حيث وضعت الكنيسة كنوزها تحت امرة الامبراطور لكي يقوم بحرب مقدسة ضد الفرس من سنة ٦٢٢م إلى سنة ٦٢٨م ، اشتملت على ست حملات بارعة نقل فيها الحرب الى قلب فارس[١٤٣] ، واستطاع في النهاية أن يحقق النصر على كسرى ويدمر معابد النار في قلب المدن الفارسية[١٤٤] . وأدت انتصارات هرقل إلى اندلاع الثورة في فارس ضد كسرى الثاني الذي قتل على يد الثوار[١٤٥] ، وقبل خليفة يزدجرد

---

(١٣٧) تم عزل الامبراطور موريس في السنة الرابعة عشر من حكم الملك الفارسي كسرى الثاني ، انظر :
Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 55-56, Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 196.

(١٣٨) لمزيد من التفاصيل ، انظر : Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 68-69.

(١٣٩) استطاع الفرس اخضاع فلسطين وكما يقول أسوليك أن كسرى الثاني استعاد بيت المقدس ، انظر : Asolik, Univ. (Dularier), p. 169. وانظر : Sebeos, Hist. Heraclius, p. 68.

(١٤٠) يرى غازريان : أن الفرس استطاعوا احتلال كارين Karin عاصمة الجزء البيزنطي من ارمينية ، انظر :
Ghazanian, Arabischen, p. 10.

(١٤١) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 65.

(١٤٢) حاول هرقل عقد سلام مع كسرى الثاني قبل الدخول معه في حرب ، ألا أن الاخير رفض ؛ مبرراً رفضه بأن كل املاك الامبراطورية البيزنطية ملكاً له ، وسيتوج عليها ثيود وسيوس بن موريس ، انظر :
Sebeos, Hist. Heraclius, p. 65.

(١٤٣) يرى غازريان : ان من خطط هرقل في حروبه هذه ، كانت سعيه لفصل الجيش الفارسي عن أرمينية الفارسية ، أنظر :
Ghazarian, Arabischen, p. 11.

(١٤٤) لقد مال الارمن إلى هرقل في حروبه ضد فارس ، أنظر : Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 77-84.

(١٤٥) عن مقتل كسرى الثاني ، أنظر :
Sebeos, Hist. Heraclius, p. 85; Asolik, Univ. (Dularier), p. 196.

الثالث Yazdijird III (٦٣٢ - ٦٥١م)[١٤٦] ، يونيو سنة ٦٢٩م شروط السلام التي عرضها هرقل .

أما فيما يتصل بأرمينية ، فان الحدود بين فارس وبيزنطة عادت الى نصوص معاهدة سنة ٥٩١م التي تركت لبيزنطة اغلبية البلاد . وكما يقول سبيوس « فقد عادت الحدود آلى اتفاق كسرى وموريس »[١٤٧] . وتم وضع كل قسم من أقسام أرمينية تحت حكم قائد من القادة المحليين الخاضعين لكل من الفرس والبيزنطيين[١٤٨] . وعلى هذا تولى فارازتيروتس الثاني Varaz - Tirot :II من أسرة بقراط حكم أرمينية التابعة لفارس نائبا عن الملك الفارسي[١٤٩] ، كما تولى ميجيج جنوني Mezeius Gnuni فى سنة ٦٣٠م حكم القسم الأرميني التابع لبيزنطة كقائد عام من قبل الامبراطور البيزنطي[١٥٠] . وفي سنة ٦٣٥م تم استبدال ميجيج جنوني هذا بداود ساهروني David Saharuni الذي أنعم عليه هرقل بلقب قربلاط[١٥١] . كذلك تدعم النفوذ البيزنطي بعد انتصارات هرقل في كل من أيبيريا وأالبانيا حتى أصبح معظم القوقاز تقريبا تحت سيطرة الامبراطورية البيزنطية .

أما عن القطيعة الدينية التي كانت بين الأرمن والبيزنطيين ، فقد نجح هرقل في تحقيق تسوية دينية بين الكنيسة البيزنطية ومعتقدات الأرمن . وتوج نجاح هرقل في هذه الناحية بقبول الجاثيليق الأرميني ايزر Iezr . بالذهاب إلى القسطنطينية حيث التقى بهرقل ورجال الدين البيزنطيين في سنة ٦٣١م . واقترح هؤلاء على ايزر قبول صيغة دينية أرضت في مجملها الأرمن[١٥٢]

---

(١٤٦) بعد كسرى الثاني جاء الملك قباذ الثاني Kawobth II ٦٢٨م ثم جاء بعده هورمزد الخامس Harmizd بالاشتراك مع أردشير الثالث Ardshir III (٦٢٨ -٦٣٣م) ، ثم بعد ذلك حكم يزدجرد الثالث الذي عقد معاهدة السلام مع هرقل في يونيو سنة ٦٢٩م ، انظر :
Sebeos, Hist. Heraclius, p. 86; n. 1, Muralt, Chronog. Byz 1, p. 284.

(١٤٧) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 91.

(١٤٨) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 91.

(١٤٩) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 92.

(١٥٠) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 92; Toumanoff, Arm. Geor, p. 605.

(١٥١) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 93-94; Catholicos, Hist. Armenie, p. 66.

(١٥٢) حرمت هذه الصيغة النسطورية تماما ، ولكنها لم تشر إلى المسألة الشائكة التي تضمنتها العقيدة الخلقدونية ، والتي كانت نقطة خلاف جوهرية بين الأرمن والبيزنطيين . انظر :
Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 91-92; Catholicos, Hist. Arménie, p. 66; Ghazarian, Arabischen, p. 13.

لقد كانت الحرب البيزنطية الفارسية الأخيرة آخر الحروب بينهما ، وبعد ان انتصرت بيزنطة فيها واستردت ماضاع منها ، وبدا كما لو أن الأمور قد تم تسويتها ، سرعان ماظهرت قوة جديدة في شبه الجزيرة العربية لم يعرها البيزنطيون أو الفرس أى اهتمام فى أول الأمر ألا وهى قوة العرب الذين جمعهم لواء الاسلام ، فخرجوا من شبه الجزيرة العربية واندفعوا في كل اتجاه لنشر الدعوة وتأسيسها وتأمين دولتهم الناشئة من جيران يناصبونها العداء[١٥٣] . وقضوا في فترة وجيزة على دولة الفرس في موقعتي القادسية ، ونهاوند ، كما اقتطعوا من الامبراطورية البيزنطية أغنى ولاياتها الشرقية مثل الشام وفلسطين ومصر[١٥٤] . ثم بدءوا في الإغارة على أرمينية وآسيا الصغرى اعتبارا من سنة ٦٤٠ م ، وكانت أرمينية مهيأة وقتذاك لذلك الغزو ، حيث لم يكن لها حيلة في صده ، نتيجة للحروب الطويلة المريرة التي جرت على مسرحها بين القوتين العظميين : الامبراطورية البيزنطية والدولة الفارسية[١٥٥] .

هذا ، ويتضح من كل ما سبق أن موقع أرمينية الجغرافي بين قوتين كبريين ، جعل لها وضعا خاصا .

فقد أدت طبيعة موقعها إلى نتائج هامة في تاريخها الطويل ، فهي دائما موزعة الولاء قلقة ، كما أن أراضيها وسهولها كانت الميدان الذي تصارعت فوقه جارتاها القويتان ، وكانت كل قوة منهما حريصة في صراعها مع القوة الاخرى على تدعيم نفوذها في أرمينية ، واكتساب تأييد أكبر عدد ممكن من أمراء الأسر الاقطاعية ذات النفوذ فيها . واذا كانت الدولة الفارسية ، والامبراطورية الرومانية هما جارتاها القويتان في فجر التاريخ الوسيط ، فسرعان ما خلف البيزنطيون الرومان ، وابتداء من القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) حل العرب المسلمون محل الفرس ، ولم تترك هذه المتغيرات السياسية الجديدة أثرا كبيرا على مستقبل أرمينية السياسي . حيث حلت الخلافة العربية الإسلامية مكان الامبراطورية الفارسية .

وهكذا شكل موقع أرمينية دورا أساسيا في صنع تاريخها ، وكان له مع تضاريسها الجغرافية أهمية عظيمة في تكوين شخصيتها الأرمينية ، وفي املاء نظامها الاقتصادي والاجتماعي ، وشكلها السياسي . فكما سبق أن أوضحنا ، أن أرمينية اقليم جبلي تتخلله وديان الأنهار والسهول ، وهو بهذا الشكل ، وفي ظل ذلك الموقع

(١٥٣) تحدث سيبوس عن ظهور العرب على مسرح الأحداث ولقبهم بأبناء اسماعيل ، انظر :
Sebeos, Hist. Heraclius, p. 95.
(١٥٤) Asolik, Univ. (Dularier), p. 196.
(١٥٥) Ghazanian, Arabischen, p. 13.

ساهم في ظهور النزعة الانفصالية والاقليمية والاستقلالية في الشخصية الأرمينية ، كما شجع على نمو النظام الاقطاعي ، والذي بمقتضاه أصبح لكل اقليم فيها حدوده الطبيعية ، وأسرته الحاكمة . وقد أدت تلك النزعة الانفصالية والاقليمية ، فضلا عن النظام الاقطاعي ، إلى الحيلولة دون قيام أسر ملكية تهيمن على كل أقاليم أرمينية بشكل مستمر . وهذا يلقي الضوء على صورة أرمينية الحقيقية ، وعلى دورها التاريخي ، وعلاقاتها بجارتيها الكبيرتين ، وموقفها منهما ، وسياستها حيالهما .

لقد اتسمت علاقات أرمينية بالامبراطورية البيزنطية بالكثير من الخلاف ، وبالقليل من الاتفاق . فاذا كانت المسيحية تجمع بينهما ، فإن الخلاف المذهبي فرقهما ، وعمل على تعميق الشك والكراهية والنفور . وذلك مرده إلى أن الامبراطورية البيزنطية كانت دولة مركزية متعددة الموارد ، وتحاول نظريا أن تكون وريثة الامبراطورية الرومانية بكل امتدادها الجغرافي ، وكانت أرمينية تكره أشد ماتكره هذه المركزية ، وخاصة إذا ما مست مذهبها العقائدى . لهذا نشأ الخلاف المذهبي بينهما ، وتبلور في مجمع خلقدونية في سنة ٤٥١ م . وسرعان ما وجدت أرمينية في تمكسها بمذهبها المخالف لمذهب كنيسة القسطنطينية شخصيتها السياسية المستقلة . لهذا حرصت أشد الحرص على ألا تذوب في كيان سياسي أكبر .

لقد كانت هناك فترات تقارب بين البيزنطيين والأرمن ، ولكنها كانت مؤقتة بسبب خلافات الأرمن وانتفاضاتهم ضد الفرس ، ومن بعدهم العرب . وعندما توحدهم الظروف في جبهة واحدة ضد عدو مشترك ، كان كل منهم ينظر للآخر نظرة ملؤها الشك وتنقصها الثقة الكاملة .

ولقد ساهمت عوامل الموقع الجغرافي والتضاريس في تحديد بعض ملامح علاقات الأرمن بالخلافة الإسلامية ، التي حلت محل الفرس كقوة كبرى على مسرح الأحداث ، نزعات الانفصالية والاقليمية والفردية لدى الأرمن ، فلم يحاولوا القضاء عليها ، بل عملوا على تقويتها وتنميتها بينهم ، واتبعوا سياسة تأرجحت بين ترغيب وترهيب ، واستطاعوا أن يكتسبوا تفضيل الأرمن لهم على البيزنطيين بصفة عامة . ولكن هذا لا يعني أن علاقاتهم بالمسلمين كانت علاقات وفاق ووئام ، فقد تخللتها انتفاضات ، وثورات من جانب الأرمن ، ولكن ـ بصفة عامة ـ يمكن القول إن الأرمن شعروا براحة أكبر في ظل حكم العرب الذي ترك لهم حريتهم الدينية كاملة ، وذلك في ظل سياسة التسامح الديني التي انتهجها العرب في كل البلاد التي فتحوها . وهذا ما ستكشف عنه الفصول التالية .



خريطة رقم (٣) أرمينية في أوائل القرن السابع الميلادي (الأول الهجري)

نقلا عن : Moise de Khorene, History of the Armi (London, 1978).

الفصل الثاني

أرمينية ودورها في الصراع البيزنطي الأموي

(٦٥٣ - ٧٥٠م/ ٣٣ - ١٣٢ هـ)

كان قيام المسلمين بغزو المقاطعات البيزنطية في الشام وفلسطين وانتصارهم على البيزنطيين في موقعتى أجنادين ٦٣٤ م /١٣ هـ و اليرموك ٦٣٦ م / ١٥ هـ من جهة ، وانتصارهم على الفرس في موقعتي القادسية ٦٣٦ م / ١٥ هـ ونهاوند ٦٤٠ م /١٩ هـ من جهة أخرى ، من أهم الأحداث التي شهدتها منطقة الشرق الأدنى في القرن السابع الميلادى (القرن الأول الهجرى) وقدر لهذه الأحداث أن تغير مصير الشعب الأرميني تغييرا عميقا ، فقد دخل الأرمن طرفا في تلك المواجهة الأولى . ففي معركة القادسية شاركت فرقة من الأرمن مع الجيش الفارسي ضد العرب بقيادة موشيل ماميكونيانMouchl Mamicounian (١) كما كانت هناك فرقة أخرى من الأرمن بقيادة جريجور السيونى (Garigor of siuni (Siunik وقد قتل كلا القائدين الأرمنيين بالاضافة الى القائد الفارسي العام رستم في تلك الموقعة(٢) .

ولقد استطاع المسلمون في خلال فترة وجيزة أن يفتحوا الشام وفلسطين ومصر ، كما استطاعوا القضاء على دولة الفرس واصبحوا سادة بلاد فارس وبلاد شمال العراق أي الجزيرة ، ونتج عن وقوع بلاد فارس وشمال العراق وشمال الشام أن أصبحت الحدود العربية متاخمة للأقاليم الأرمينية فكان من الطبيعي أن يتطلع المسلمون لغزو أرمينية ، نشرا للدعوة وتأمينا لها ضد جيران يتاخمونها ويناصبونها العداء .

والواقع أن موضوع الغزوات الإسلامية لأرمينية يعد من أكثر الموضوعات التي تصدى لها المؤرخون ، القدامى والحديثون ، بالكتابة ، ولكنه يعد في الوقت نفسه من أكثر الموضوعات الشائكة التي اختلفت حول تأريخها وترتيب أحداثها المصادر المتاحة فقد زودتنا المصادر الأرمينية والعربية والسريانية ، والبيزنطية ، بمادة طيبة عن غزوات العرب لأرمينية ، والأحداث التي صاحبتها الا أن هذه المعلومات لا تتفق فيما بينها ، ويشوبها الكثير من التضارب والتناقض وسنحاول عرض هذا

---

(١) بلغ تعداد هذه الفرقة حوالي ثلاثة آلاف جندى وكانت تتكون من الأتباع الأرمن من أرمينية الفارسية . انظر : Sedeos , Hist . Heraclius , p . 99 ,

(٢) Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 99.

الموضوع عرضا منطقيا مسلسلا بعد عقد المقارنات والموازنات التاريخية بين مختلف المصادر والأصول بغية استجلاء الحقيقة .

اننا اذا أمعنا النظر في المصادر الأرمينية والعربية ، فسوف نلحظ أن المسلمين قد دخلوا أرمينية للمرة الأولى من الجنوب بعد استيلائهم على الفرات الأعلى وعلى الرغم من أن هذه المصادر تختلف فيما بينها حول بعض النقاط ، الا أنها تتفق في تاريخ هذه الحملات ، ففيما يتعلق بالمصادر الأرمينية ، نجد أنه ـ طبقا لما ورد في « تاريخ اقليم طارون » الذي كتبه يوحنا ماميكونيان بدأت اولى الحملات الاسلامية على أرمينية بعد مرور ثماني سنوات على مقتل كسرى الثاني سنة ٦٢٨ م /٧ هـ أي إن الحملة الأولى التي قام بها المسلمون وقعت في سنة ٦٣٦م/ ١٥هـ . وفي الحولية الخاصة بتاريخ القديس نرسيس Saint Nersés نجد رواية مشابهة لرواية يوحنا ماميكونيان J. Mamikonian وان كان يذكر أن الحملة الاسلامية الأولى على أرمينية وقعت سنة ٦٣٩م/ ١٨ هـ وعلى أساس هاتين الروايتين افترض المؤرخون المعنيون بتاريخ أرمينية أن الحملة الاسلامية الأولى وقعت إما في سنة ٦٣٦م/ ١٥ هـ وإما في سنة ٦٣٩م/ ١٨ هـ[٥] . ومن المؤرخين الذين أيدوا تاريخ ٦٣٩م/ ١٨ هـ دولوريه . . Dulaurier[٤] ، وتورنبيز Tournebize[٦] ، وأسلان . . Aslan[٧] ، ومورجان Morgan[٨] .

وأيد تاريخ سنة ٦٣٦ م /١٥ هـ عدد آخر من المؤرخين الأرمن[٩] . ولكن يلاحظ أن كلا التاريخين ، ٦٣٦ م /١٨ هـ ، بعيدان عن الصواب ، فالمرجح أن الغارات الإسلامية الأولى على أرمينية وقعت في سنة ٦٤٠ م / ١٩ هـ ، هذا اذا

---

(٣) ولقد أخطأ يوحنا ماميكونيان حين ذكر أن الامبراطور هرقل هو الذي أسر كسرى الثاني ، فالمعروف أن كسرى الثاني قتل في ٢٥ فبراير سنة ٦٢٨ م / ١٦ ربيع الاول ٧ هـ في أثناء الثورة التي اندلعت ضده بسبب الانتصارات التي حققها هرقل ، أنظر . Mamikonian, Tarawan, pp. 57-58.

(٤) Saint Nersés, Histoire, pp. 43-44.

(٥) Dulaurier, Chronologie, p. 225.

(٦) Tournebize, Religieuse, p. 96.

(٧) Aslan, Études historiques, p. 275.

(٨) Morgan, Peuple, p. 15.

(٩) مثل كمشيكيان Camcean وباسميكيان Basmacean الا أن مؤلفاتهم لم تترجم الى اللغات الأوروبية الحديثة لهذا لم نتوصل اليها وانظر ماورد عن هذه المجلة بالتفصيل في مؤلف مانديان :

Manandian, Invasions, p. 165.

أخذنا في الاعتبار ما ورد في المصادر العربية ، وهو ما يتفق مع منطق الأحداث وتداعيها وتسلسلها .

فقد أورد الطبرى أن حملات المسلمين على أرمينية قد وقعت في عام ١٩هـ / ٦٤٠ م ، وأخذ ابن الأثير عن الطبرى[١٠] ، أما البلاذرى فأورد هذه الحملة في اواخر سنة ١٩ وأوائل ٢٠ هـ اواخر ٦٤٠م واوائل ٦٤١م[١١] . وقد يكون سبب الخلاف في تحديد بداية الاغارات الاسلامية على أرمينية راجعا الى أن المصادر الأرمينية سابقة الذكر تتحدث عن اغارات المسلمين على اقليم طارون ، بينما تحدثت المصادر العربية عن اغارات العرب على الفرات الأعلى وعلى ارمينية الرابعة .

هذا ، ويلاحظ ان المسلمين لم يكونوا في وضع يسمح لهم بالاغارة على ارمينية في سنة ٦٣٦ م / ١٥ هـ أو سنة ٦٣٧ م / ١٦ هـ لأنهم كانوا لا يزالوا مشغولين بقتال البيزنطيين في معركة اليرموك ٦٣٦ م /١٥ هـ وعلى هذا فالمسلمون لم يكن باستطاعتهم دخول أرمينية قبل غزو الفرات الأعلى ومدنه الرئيسة حسب ما ورد في المصادر العربية والسريانية . والمعروف ان المسلمين قاموا بغزو الفرات الأعلى بين عامي ٦٣٩ ـ ٦٤٠ م /١٨ ـ ١٩ هـ وهذا ما يؤكده المؤرخ ميخائيل السرياني الذي ذكر أن المسلمين قد عبروا الفرات للمرة الأولى وتقدموا نحو الشمال في عام ٦٣٩ ـ ٦٤٠ م / ١٨ ـ ١٩ هـ[١٢] .

وعلى هذا يمكن القول إن المسلمين دخلوا ارمينية من شمال العراق في سنة ٦٤٠ م / ١٩ هـ وليس قبل ذلك ولكن المشكلة التي تواجه الباحث تظل باقية ، وهي مشكلة التحديد التاريخي لدخول المسلمين لأرمينية واستيلائهم على عاصمتها دوين . فالنصوص المتعلقة بسقوط العاصمة الأرمينية تنقسم الى ثلاث مجموعات رئيسية هي : المجموعة الأولى ـ وتتضمن ما أورده المؤرخ الأرميني سبيوس Sebeos وما جاء في حولية دينيس تل المهرا Tell — Mahre Denys de[١٣] ، فقد أورد سبيوس سقوط دوين على انه حدث في العام الأخير من ولاية الكاثوليكوس ايزر Ezr ، أي في سنة ٦٤٠ م / ١٩ هـ أما حولية دينيس فقد أوردت سقوط دوين في أول سنة ٦٤٠ م / أول شوال ١٩ هـ .

---

(١٠) الطبري الأمم ، جـ ٤ ، صـ ٥٣ .

(١١) البلاذرى فتوح البلدان ص . ١٨٠ .

(١٢) Michel le Syrien, II, p. 426.

(١٣) Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 100-101; Denys de Tell-Mahre, p. 6.

أما المجموعة الثانية ـ فتضم المصادر العربية مثل البلاذرى ، واليعقوبي ، والطبرى وابن الأثير . فالبلاذرى يروي ، نقلا عن الواقدى ، أن حبيب بن مسلمة غزا دوين وألقى عليها الحصار[١٤] . وعلى هذا فحسب قول البلاذرى ـ انه في أثناء غزوات حبيب وسليمان التي تمت بناء على اوامر الخليفة عمر ، استطاع المسلمون غزو أذربيجان وأرمينية وأيبيريا ، وبهذا الشكل يكون غزو دوين قد وقع في ٢٥ هـ/ ٦٤٥ ـ ٦٤٦ م .

كما أن ميخائيل السرياني أدرج حملة حبيب بن مسلمة تحت أحداث سنة ٢٥ هـ / ٦٤٥ م [١٥] . ويشير الطبرى الى هذه الحملة ذاتها ضمن احداث سنة ٢٤ هـ /٦٤٤ م ولكنه يقول : انه حسب رواية الواقدى قام حبيب بغزو ارمينية سنة ٣١ هـ ٦٥١ م [١٦] . ويعطينا اليعقوبي هذا التاريخ الاخير نفسه [١٧] كذلك يذكر ابن الاثير : أن غزو ارمينية تم في سنة ٣١ هـ / ٦٥١ م على يد ذلك القائد نفسه[١٨] ، ويتضح من كل ما سبق ، أن المصادر العربية غير متفقة على تاريخ واحد بخصوص حملة القائد حبيب بن مسلمة الفهرى على ارمينية .

أما المجموعة الثالثة ، فتضم المؤرخين الأرمنيين جيفوند Ghevond واسوليك Asolik، فيجيفوند يحدد عام ٦٤٦ ـ ٦٤٧ م / ٢٦ ـ ٢٧ هـ[١٩] لسقوط دوين[٢٠] ، ويحدد أسوليك عام ٩٥ من التاريخ الأرميني ، وهو ما يعادل الفترة من ١٨ يونيو ٦٤٦ ـ ١٧ يونيو٦٤٧م (٢ جمادى الآخرة ٢٦ ـ ٢٢ ربيع الآخر ٢٧ هـ) ويبدو أن أسوليك استمد معلوماته من جيفوند[٢١] . ويلاحظ أن المجموعة الثالثة من المصادر سابقة الذكر لا تزودنا بمعلومات جديدة عن سقوط دوين ، اذ أنها تكرر النصوص التاريخية للمجموعتين الأولى والثانية . ويمكن القول إن تاريخ سقوط مدينة دوين في يد المسلمين أدرج ـ كما يتضح من المجموعات الثلاث في التواريخ التالية ؛ (٦٤٠م/ ١٩هـ، ٦٤١م/ ٢١هـ و ٦٤٢ ـ ٦٤٣م/٢٢ ـ ٢٣ هـ و

(١٤) البلاذري : فتوح البلدان صـ ٢٩٢ .
(١٥) Michel le Syrien, II, p. 440-441.
(١٦) الطبري : الأمم جـ ٤ ، صـ ٢٠٢ .
(١٧) اليعقوبي : البلدان ، صـ ١٦٨ .
(١٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ٣ ، ص٥٩ .
(١٩) Ghevond, Guerres, pp. 6-8.
(٢٠) Asolik Univ. (Dularier), p. 151.
(٢١) Manandian, Invasions, p. 172.

٦٤٤ ـ ٦٤٥ م/ ٢٤ ـ ٢٥ هـ ، و٦٤٦ ـ ٦٤٧ م/ ٢٦ ـ ٢٧ هـ و٦٥١م / ٣١هـ) ، ولقد أدى اختلاف الروايات الواردة في المصادر سابقة الذكر الى اختلاف في الكتابات الحديثة التي اعتمدنا عليها[٢٢] .

ولعل الدراسة الدقيقة لتلك النصوص المتضاربة تجعلنا نميل إلى القول إنّ التواريخ الواردة في المصادر العربية المتعلقة بحملات حبيب بن مسلمة الفهري ، التي أشار اليها كل من سبق ذكره من المؤرخين مشكوك فيها ، لأنها لا تخص السقوط الأول لمدينة دوين . فالسقوط الأول لهذه المدينة تحدثت عنه المصادر الأكثر قدما في المجموعة الأولى . ويجب ألا ننسى أن البلاذرى عاش في القرن التاسع الميلادي (القرن الثالث الهجري) ، ومعلوماته انتقلت اليه بالرواية الشفوية ، بينما كان سبيوس شاهد عيان لأحداث القرن السابع الميلادي (القرن الأول الهجري) . فالروايات العربية اذن لا تتحدث عن سقوط دوين الأول ، ولكنها تتحدث عن سقوطها الأخير بعد غزو العرب لبلاد الأرمن وأيبيريا وألبانيا في أوائل القرن السابع الميلادي (أوائل القرن الأول الهجري) . وعلى هذا ، فان الشك لا يتطرق الينا في روايات مصادر المجموعة الأولى بالنسبة لاستيلاء المسلمين الأول على دوين ، الذي وقع وفقا لرواية سبيوس وحولية دينيس تل المهرا ، في سنة ٦٤٠ م / ١٩ هـ وبالتحديد الذي تم التوصل إليه بفضل الحسابات التي قام بها المؤرخ دولوريه Dularier ، يكون التاريخ الدقيق للسقوط الأول لهذه المدينة هو يوم الجمعة ٦ أكتوبر ٦٤٠ م / ١٢ شوال ١٩ هـ[٢٣] . وعلى هذا ـ فالحملة الاسلامية الأولى التي غزت أرمينية وقعت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وفي سنة ٦٤٠ م / ١٩ هـ على وجه التحديد[٢٤] . وفي هذه الحملة دخل المسلمون أرمينية عن طريق بلاد الجزيرة وقاموا بغزو أرمينية الرابعة وطارون ، ثم اتجهوا الى الشمال الشرقي ومروا بوادي بركري Bargiri ، وتقدموا حتى وصلوا دوين التي استولوا عليها للمرة الأولى في ٦ أكتوبر

(٢٢) عن اختلاف المراجع الأجنبية الحديثة حول تاريخ سقوط مدينة دوين (انظر القائمة التي أوردها المؤرخ الأرميني مانانديان Manandian, Invasions, p. 173.
وأنظر أيضا ملاحظات المؤرخ الأرميني غازريان Ghazarian, Arabischen, pp. 16-17.
(٢٣) Dulaurier, Chronologie, p. 385.
وانضر ايضا : Manandian, Invasions, p. 175-176.
(٢٤) لقد تناول منتديان تاريخ الحملة الاسلامية هذه على أرمينية تناول تحليليا مسهباً انظر : Manandian, Invasions, p. 167.

سنة ٦٤٠ م / ١٢ شوال ١٩ هـ[٢٥] .

أما فيما يتعلق برواية المجموعة الثانية من المصادر ، فهي لا تتحدث عن الاستيلاء الأول على هذه المدينة ، وانما عن حملة حبيب بن مسلمة لأرمينية وأيبيريا وألبانيا في بداية العقد الخامس من القرن السابع الميلادي (القرن الأول الهجري) . وقد أشار سبيوس الى الأحداث التي وقعت في هذه الحملة في السنوات من ٦٥٢ ـ ٦٥٣ م / ٣٢ ـ ٣٣ هـ[٢٦] ، وأما المعلومات التاريخية الواردة في المجموعة الثالثة ، فيمكننا تجاهلها لأنها استمدت مادتها من المجموعتين الأولى والثانية .

ومهما يكن من شيء ، فانه اذا كانت الحملة الاسلامية الأولى على أرمينية قد تم تحديد تاريخها ، فان هذا لا يعني أن جميع المشكلات الخاصة بتاريخ الغزوات الاسلامية على ارمينية قد تم حلها ، فالباحث لا يزال يواجه مشكلة الحملة الاسلامية الثانية على ارمينية . ويلاحظ انه اذا كانت هذه الحملة التي قام بها المسلمون سنة ٢٠ هـ / ٦٤٠ م قد خرجت من اقليم الجزيرة ، فان الحملة الثانية خرجت من اقليم اذربيجان بعد ذلك بعامين تقريبا . ونجد وصفا كاملا لهذه الحملة في حولية جيفوند الارميني[٢٧] . والمعروف ـ طبقا لرواية سبيوس ـ انه بعد الحملة الأولى على أرمينية قامت بيزنطة بتعيين ثيود وررشتوني Theodore Rshtuni قائدا على أرمينية ، ومنحته لقب بطريق Patricus[٢٨] وعلى هذا ، فقد تم تكليف القائد الأرميني ثيودور بأمور الدفاع عن حدود أرمينية بالتعاون مع القائد البيزنطي بروكوب Procope ، إبّان الحملة الثانية . ويتضح من النص الوارد في كتاب جيفوند : أن القائد البيزنطي لم يتعاون مع القائد الأرميني في مواجهة المسلمين في أثناء حملتهم الثانية على أرمينية . فلم يكن أمام ثيودور والأرمن سوى الاعتماد على انفسهم . وقد نجح ثيود وررشتوني في تحقيق بعض الانتصارات على طلائع الجيش الاسلامي[٢٩] ، ولكنه اضطر الى الانسحاب بعيدا عن طريق تقدم المسلمين . وحين التقى الجيش الاسلامي بالجيش البيزنطي بقيادة بروكوب ـ ومع أن البيزنطيين كانوا أكثر

(٢٥) عن هذه الحملة انظر : البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٨٨ ؛ الطبري : الأمم ، جـ ٤ ، ص ١٠٢ ؛ الكتبي : عيون ، جـ ٢ ورقة ٣٩ ؛ العيني : عقد الجمان ، جـ ٧ ورقة ٤١ ـ ٤٢ .

(٢٦) Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 100.

(٢٧) Ghevond, Guerres, pp. 41-42.

(٢٨) Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 101.

(٢٩) Ghevond, Guerres, pp. 5-8.

عددا[٣٠] ـ فقد استطاع المسلمون الانتصار على البيزنطيين ، الا أنهم مع انتصارهم عادوا من جديد إلى بلادهم .

ولقد اختلف المؤرخون في تحديد العام الذي وقعت فيه هذه الحملة . فسبيوس الذي كان معاصرا لهذه الغزوات ، يدرجها في العام الأول لحكم الامبراطور قنسطنز الثاني Constan II سنة ٦٤١ م / ٢١ هـ[٣١] ، ولكن من المرجح ان سبيوس لم يكن دقيقا في هذا التحديد ، فالمسلمون قاموا بغزو اذربيجان بقيادة المغيرة بن شعبة في عام ٢١ ـ ٢٢ هـ / ٦٤٢ ـ ٦٤٣ م[٣٢] ، والمرجح أنه بعد استيلائهم على اذربيجان قاموا بغزو أرمينية من ذلك الاقليم[٣٣] .

وفيما يتعلق بالحملة الثالثة التي قام بها المسلمون على أرمينية ، فهي تلك التي استولوا فيها على قلعة أركاب Arcab الهامة ، وقد وقعت في ١٦ محرم ٣٠ هـ / ٨ اغسطس ٦٥٠ م ، ففي هذه الحملة خرج المسلمون من اقليم اذربيجان ايضا ، ولقد أورد سبيوس تفاصيلها وحدد وقوعها في ١٠ اغسطس سنة ٦٤٣ م / ١١ ربيع الآخر ٢٣ هـ[٣٤] . ولقد اخذ المؤرخون الحديثون التاريخ الوارد في سبيوس كما هو دون مناقشة[٣٥] . الا ان الدراسة الدقيقة لنص سبيوس توضح ان الحملة الاسلامية الثالثة لم تقع سنة ٦٤٣ م / ٢٣ هـ ـ كما اوردها سبيوس ، بل وقعت كما نرجح في سنة ٦٥٠ م / ٣٠ هـ . واذا نظرنا الى المصادر الارمينية الأخرى التي تحدثت عن هذه الحملة سنجد ان المؤرخ جيفوند يشير اليها ، ويحدد لها السنة السادسة والثلاثين من حكم ابى بكر وعمر وعثمان الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول[٣٦] .

على أية حال ، فمن الدراسة الدقيقة لنص سبيوس يتضح أن تاريخ سقوط قلعة أركاب فيه خطأ كبير ، ويمكن تصحيحه بالحسابات التاريخية التي قام بها

(٣٠) كان الجيش البيزنطي يتكون من ٦٠,٠٠٠ مقاتل ؛ بينما كان الجيش الاسلامي يبلغ ١٠,٠٠٠ رجل ؛ انظر : Ghevond, Guerres, p. 6.

(٣١) عن الاختلاف بين المؤرخين الحديثين حول تحديد هذا التاريخ ؛ انظر : Manandian, Invasions, p. 179.

(٣٢) انظر عن هذه الحملة : البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٢١ ، اليعقوبي : البلدان ص ١٥٦ ، الطبري : الأمم ج ٤ ، ص ١٥٣ ـ ١٥٥ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ١٣

(٣٣) الطبرى : الأمم ، جـ ٤ ، ص ١٥٦ ؛ ابن الأثير : الكامل : جـ ٣ ، ص ٤٣ .

(٣٤) Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 108-110.

(٣٥) Dulaurier, Chronologie, pp. 271-272; Ghazarian, Arabischen, p. 29, Ghazarian, Torn, p. 354; Morgan, Peuple, 116; Marquart, Osteuropaishe, p. 440.

(٣٦) Ghevond, Guerres, p. 9.

المؤرخ مانندیان ، الذي استطاع تصحيح سقوط تلك القلعة وجعله ٨ اغسطس سنة ٦٥٠ م / ١٦ محرم ٣٠ هـ[٣٧] . ويؤيد صحة ذلك التاريخ الأخير ما أورده المؤرخ الأرميني جيفوند الذي ذكر أن سقوط قلعة أركاب وقع بعد عشر سنوات من سقوط دوين ، وبما أن سقوط هذه المدينة الأول في ايدي المسلمين كان في أكتوبر ٦٤٠ م / شوال ١٩ هـ . فإن سقوط قلعة أركاب يصبح بذلك في عام ٦٥٠ م / ٣٠ هـ[٣٨] .

وجدير بالذكر أن تحقيق تواريخ الغزوات الإسلامية لأرمينية على جانب كبير من الأهمية ، فالتحديد الدقيق الذي تم التوصل اليه ، غير من التسلسل التاريخي القديم لهذه الغزوات ، كما أنه قوض الأسس العامة التي اعتمدت على تلك الأخطاء التاريخية القديمة والتي نقلها بعض المؤرخين الحديثين[٣٩] .

وعلى هذا يمكن القول إنه حتى عام ٦٥٠ م/ ٣٠ هـ لم يكن هناك سوى ثلاث حملات اسلامية يمكن ترتيبها كالآتي :

أولا ـ في سنة ٦٤٠ م/ ١٩ هـ قامت أول حملة اسلامية كبرى لغزو أرمينية ، خرجت من إقليم الجزيرة ، واستطاعت الاستيلاء على دوين في ٦ أكتوبر سنة ٦٤٠ م/ ١٢ شوال ١٩ هـ .

ثانيا ـ في سنة ٦٤٢ ـ ٦٤٣ م/ ٢٢ ـ ٢٣ هـ خرجت حملة اسلامية ثانية من اقليم أذربيجان لغزو أرمينية الفارسية .

ثالثا ـ في سنة ٦٥٠ م/ ٣٠ هـ قامت الحملة الإسلامية الكبرى الثالثة عن طريق أذربيجان أيضا ، واستطاعت الاستيلاء على قلعة (أركاب) في ١٨ اغسطس سنة ٦٥٠ م/ ١٦ محرم ٣٠ هـ .

كل هذه الحملات الثلاث أخذت طابع الغزوات ، فبعد أن غنمت الجيوش

---

(٣٧) Manandian, Invasions, pp. 185-187.

(٣٨) Ghevond, Guerres, P.9.
كذلك انظر الدراسة التي قام بها مانندیان Manandian للنص الوارد في مؤلف سبيوس Sebeos : Manadian, Invasions, pp. 188-189.

(٣٩) ينبغي تصحيح الافتراضات الخاطئة التي وردت في كتاب لوران Laurent فبالنسبة للفترة من ٦٤٠ حتى ٦٥١ أشار لوران الى وقوع ست غزوات على أرمينية ، وهذا يتناقض تماما مع دراستنا هذه ، وحسب قول لوران فانه بعد هذه الغزوات تأرجحت أرمينية بين السيادة الاسلامية حينا والسيادة البيزنطية حينا آخر ، وهذا الافتراض أيضا لا يقوم على اساس صحيح ، انظر : Laurent, Arménie, pp. 78-80.
ويذكر سيبوس أن الفتوحات الأسلامية استمرت ٦ سنوات ولم يذكر ٦ حملات كما أشار لورنت ، انظر : Sebeos, Hist. Heraclius, p. 147.

الإسلامية غنائم طائلة ، فضلا عن العديد من الاسرى ، انسحبت من جديد الى دار الاسلام .

وعلى ما يبدو فان المواجهة الاسلامية البيزنطية المتمثلة في الحملة الاسلامية الثالثة التي خرجت سنة ٦٥٠ م/ ٣٠ هـ قد انتهت بتوقيع هدنة بين الدولة الاسلامية ، والدولة البيزنطية[٤٠] . ويمكن القول : إن السيادة الاسلامية على أرمينية لم تستقر ، على الرغم من هذه الحملات والغزوات، لهذا، كان بمقدور بيزنطة ان تعود الى أرمينية بعد انتهاء كل حملة اسلامية من هذه الحملات[٤١] .

والمعروف أن الامبراطور البيزنطي قنسطنز الثاني (٦٤١ ـ ٦٦٨ م) حاول بعد الحملة الاسلامية الثانية على أرمينية أن يدعم النفوذ البيزنطي فيها بفرض الوحدة الدينية على الكنيسة الأرمينية ، وذلك بدعوة الارمن الى قبول مذهب كنيسة القسطنطينية الارثوذكس[٤٢] ولقد اجتمع بناء على دعوة الامبراطور أساقفة الكنيسة الأرمينية وكبار السادة الاقطاعيين الارمن في مجمع ديني عقد في مدينة دوين تحت رئاسة الكاثوليكوس نرسيس الثالث والامير ثيودوررشتوني لبحث الصيغة الدينية التي اقترحها الامبراطورالبيزنطي[٤٣] وفي هذا الجمع الذي عقد سنة ٦٤٨ م/ ٢٨ هـ[٤٢] رفض الأرمن ، وعلى رأسهم ثيودور ، الصيغة البيزنطية المقترحة ، وأصروا على أن السيد المسيح له طبيعة واحدة ، ورفضوا مبدأ الطبيعة الثنائية للسيد المسيح الذي أقره مجمع خلقدونية المسكونى عام ٤٥١ م ، وحسب رواية سبيوس الأرميني فإن الهدنة المعقودة بين المسلمين والبيزنطيين قد انتهت في السنة الثانية عشرة من حكم الامبراطور قنسطنز الثاني اي في سنة ٦٥٣ م/ ٣٣ هـ[٤٤] . وهنا ـ استأنف المسلمون ، مرة أخرى حملاتهم ضد البيزنطيين . وأمام هذا الموقف ، وخوفا من تكرار الحملات الإسلامية على أرمينية ، فضل القائد الأرميني رشتونى الاستسلام للسيادة الاسلامية دون مقاومة ، وكان ثيودور وعدد كبير من امراء الأرمن قد ايقنوا ان استمرار الدفاع والمقاومة ، والوقوف في وجه المسلمين هو ضرب من المستحيل ،

---

(٤٠) كان معاوية أول من صالح الروم . انظر :
اليعقوبي : البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢١٧ .

(٤١) Vardan, La Domination, p. 99; Ghazarian, Torn, p. 352; Ghazarian, Arabischen, p. 30, Vardan, La Domination, p. 99.

(٤٢) Ghazarian, Arabischen, p. 30; Ghazarian, Torn, p. 352; Vardan, Lamoination , p. 89.

(٤٣) Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 112-120; Catholicos, Hist. Arménie, p. 75.

(٤٤) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 137.

فقد دالت دولة الفرس على يدهم ، كما انهم اقتطعوا ولايات هامة من الامبراطورية البيزنطية(٤٥) . كذلك ادرك ثيودور وغيره من أبناء شعبه : ان اتخاذ جانب بيزنطة سيكلفهم الكثير ، بسبب السياسة الدينية التي اصرت حكومة القسطنطينة فرضها عليهم . وهكذا كانت رغبة الأرمن في الاحتفاظ بالصيغة الدينية الملائمة لهم ، تحتم عليهم تجنب اتخاذ الجانب البيزنطي ، وتجعلهم أكثر ميلا لاتخاذ جانب المسلمين(٤٦) ، اذ كان شأنهم شأن مسيحيي مصر وسورية - يؤمنون بمبدأ الطبيعة الواحدة للمسيح - خلافا لما أقره المجمع الخلقيدوني . وكانوا يعتبرون الاسلام أقرب الى معتقداتهم من تعاليم خلقيدونية لأنه ديانة توحيد ليس فيها ازدواج كما هو ملحوظ في مذهب الطبيعتين . كذلك خابت آمال الأرمن في البيزنطيين منذ بداية الفتوحات ، وسبب ذلك مسلكهم السلبي ، حيث تركوهم يواجهون الغزوات الاسلامية الأولى دون أن يقدموا اليهم مساعدات جدية ، اللهم الا بعض المساعدات الطفيفة التي لم تجد شيئا أمام المسلمين(٤٧) .

ومما تجدر الاشارة اليه ، أن هناك دافعا شخصيا آخر ، كان وراء اتجاه الأمير ثيودور رشتوني لاتخاذ جانب المسلمين ، وهو ان قرار مجمع دوين الديني الذي رفض الصيغة البيزنطية ، أدى إلى نقمة الامبراطور البيزنطي على ثيودور فخلعه من منصبه وعين مكانه سمباد بقراطوني حاكما على أرمينية(٤٨) . وقد ترك عزل ثيودور رشتوني أثرا سيئا في نفسه ، وكان وراء ذلك الموقف السلبي الذى وقفه في المعارك التي جرت بين البيزنطيين والمسلمين بعد ذلك(٤٩) .

لكل هذه الأسباب مجتمعة ، قرر الأرمن بقيادة قائدهم ثيودور الانفصال عن السيادة البيزنطية، واعلان خضوعهم لسيادة الخليفة المسلم في سنة ٦٥٣م/٣٣ هـ . ولقد أثمرت المفاوضات الطويلة التي دارت بين الأمير ثيودور ومعاوية والي الشام عن عقد اتفاقية سلام ، أتاحت لأرمينية بعض الميزات ، وكفلت للمسلمين

(٤٥) Toumanoff, Arm. Geor., p. 605; Alem, l'Arméine, p. 25, CF. Runciman, Byzantine Civilization, p. 41.

(٤٦) Mkhithar, Chronologique, p.79; Vardan, La Domination, p. 88; Catholicos, Hist. Arméine p. 75; Pasdermadjian, Histoire, p. 132; Morgan, Peuple, p. 118; Laurent, Arménie, p. 241.

(٤٧) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 101; Pasdermadjian, Histoire, p. 127; Gatteyrias, Arm. Armeniens, p. 87; Morgan, Peuple, p. 117.

(٤٨) Ghevond, Guerres, p. 11; Grousset, l'Arménie, p. 300.

(٤٩) Ghevond, Guerres, p. 12; Orbelian, Siouni, p. 526.

نوعا من النفوذ والسلطة في أرمينية ، ولقد حفظ المؤرخ الأرميني سبيوس نص هذه الاتفاقية(٥٠) .

ومن بين المزايا التي قدمتها هذه الاتفاقية للأرمن ، قيام المسلمين بمنحهم فترة سماح مدتها سبع سنوات لا يدفعون فيها الجزية(٥١) . ولا شك أن أهم المزايا التي منحتها معاهدة السلام هذه للأرمن هي - حق الحكم الذاتي ، اذ تنص المعاهدة على لسان معاوية حينما كان واليا على الشام من قبل عثمان بن عفان : « وانني لن أرسل أي أمير ليحكم في قلاعكم ، ولن أرسل أي قائد عربي إلى بلادكم بل ستكونون أصحابا لقلاعكم دون أي تدخل من بيننا »(٥٢) .

كذلك تضمنت المعاهدة تعهدا من قبل المسلمين بالدفاع عن أرمينية اذا ما قام البيزنطيون بغزوها(٥٣) . ويعلق سبيوس على هذا الاتفاق قائلا « لقد أصبح عدو المسيح هو الحليف الكبير للأرمن الذين تحالفوا مع الموت ليتخلصوا من تحالفهم مع الجحيم »(٥٤) . ويجب أن ننظر إلى ماجاء على لسان سبيوس بمنظار أهل زمانه عندما كان الصراع عنيفا محتدما بين المسيحية والإسلام والذي مر بعدة مراحل في العصر الوسيط ، وكانت أبرزها الحركة المعروفة باسم الحروب الصليبية فكثيرا ما كنا نجد مثل هذه الألفاظ والتعبيرات التي تزخر بها مصادر العصر . ولقد وضعت هذه الاتفاقية الامبراطور البيزنطي في موقف حرج ، ولم يكن أمامه سوى التحرك لاعادة

(٥٠) نص الاتفاقية من سبيوس هو :
« وتفاوض القائد العربي وقال :» اتفقت أنا وأنتم ، أننى سوف لا أجمع أية جزية منكم لمدة سبع سنوات ، وبعدها تدفعون الجزية التي ترغبون في دفعها بقدر ما تريدون . ويحق لكم طبقا لهذا التعهد ، أن يكون لكم جيش مؤلف من ١٥٫٠٠٠ خمسة عشر ألف فارس ، تنفقون عليه من حساب الجزية ، وتمدونه بالخبز ، وسوف لا أطلب من هؤلاء الفرسان المجيء الى بلاد الشام ، ولكن على هذا الجيش أن يكون مستعدا للذهاب الى اي مكان يؤمر بالتوجه اليه ليحارب الى جانبنا ضد اي اعتداء علينا . وسوف لا ارسل اي امير الى قلاعكم ، كذلك سوف لا أرسل اي قائدعربي ولا اي فارس اليكم ، وبذلك ستكونون أصحابا لقلاعكم دون أية تدخل منا ، كذلك سنقف حائلا ضد وصول اي عدو الى بلاد أرمينية ، أما اذا زحف الروم لقتالكم ، فسوف أرسل جيوشا لنجدتكم تعهدا مني بحمايتكم وحماية حدود بلادكم ، أتعهد أمام الله جل جلاله بذلك . أنظر : Sebeos, Hist. Heraclius, p. 132.

(٥١) يرى المؤرخ غازريان أن فترة السماح كانت ثلاث سنوات فقط ، والسبب في هذا الخلاف يرجع إلى قراءة مخطوطة سبيوس الأصلية انظر : Ghazarian, Arabischen, p. 30, n. 5.

(٥٢) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 133.

(٥٣) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 132; Pasdermadjian, Histoire, p. 127.

(٥٤) Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 132-133.

الأمور إلى ماكانت عليه . لهذا كتب الامبراطور قنسطنز الثاني الى الأرمن متوسلا أن يصغوا اليه ، وأخبرهم أنه سيصل بنفسه ليدعمهم بمبالغ طائلة من الأموال ، ويتفق معهم على خطوات المستقبل(٥٥) .

وتشير المصادر الى قيام الامبراطور قنسطنز الثاني على رأس جيش كبير بالتقدم نحو أرمينية(٥٦) . وعندما وصل الى أرزن الروم أسرع اليه الكثير من الأمراء الأرمن مع الكاثوليكوس نرسيس ، بينما رفض الأمير ثيودور رشتوني ومن يرى رأيه من الأمراء الذهاب اليه . وعلى الفور قام الامبراطور بتعيين موشيل ماميكونيان قائدا عاما للجيش الأرميني ، وأرسله على رأس ثلاثة آلاف رجل ضد ثيودور(٥٧) وفي الوقت نفسه أرسل الامبراطور قوات أخرى لاخضاع جيورجيا Georgia وألبانيا Albania واقليم سيوني الأرميني . الا أن النتائج التي أحرزتها هذه المحاولات البيزنطية كانت طفيفة غير حاسمة(٥٨) .

هذا ـ وقد توجه الامبراطور بعد ذلك الى دوين كي يمضي فصل الشتاء فيها . ويروي المؤرخ الأرميني سيبوس : أن القائد العربي ، وهو معاوية بن أبي سفيان في أغلب الأحيان ، كتب الى الامبراطور يتهدده بقوله : « إن أرمينية ملك لي ، فارجع عنها ، فاذا توغلت فيها سأذهب لقتالك ، ولن تستطيع أن تفلت من قبضتي(٥٩) .

وكان رد الامبراطور على رسالة معاوية : « إن البلاد ملك لي ، فاذا خرجت الى لقائي فالله سيحكم بيننا بالعدل(٦٠) » وفي أثناء اقامة الامبراطور قنسطنز الثاني في دوين كرر الخطأ نفسه الذي وقع فيه من قبل ، حين حاول أن يوحد الكنيسة اليونانية والكنيسة الأرمينية ، ولقد أدى هذا الى اثارة المشاعر الدينية لدى الأرمن(٦١) . ومع نهاية فصل الشتاء عاد قنسطنز الى القسطنطينية ، وأصطحب معه الجاثليق نرسيس الذي خشي البقاء في أرمينيا خوفا من انتقام ثيودور رشتوني بسبب موقفه المتعاطف مع الامبراطور البيزنطي(٦٢) . وطبقا لرواية سبيوس ـ فقد

Bréhier, Vie, p. 61.

Sebeos, Hist. Heraclius, p. 134; Theophanes, p. 344.

(٥٧) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 135; Theophanes, Chronographia, p. 344; Ghazarian, Arabischen, p. 31.

(٥٨) Ghazarian, Arabischen, p. 31. (٥٩) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 134.

(٦٠) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 134.

(٦١) Ghazarian, Arabischen, p. 30, Laurent, Arménie, p. 338.

(٦٢) ويبدو أن الجاثليق نرسيس أقام في طايك Tayk في غرب أيبيريا انظر: Sebeos, Hist. Heraclius, p. 138.

تحصن الأمير ثيودور رشتوني وحلفاؤه من الأمراء الأرمن في جزيرة الثامار Althamar حتى انسحاب الامبراطور البيزنطي(٦٣) . وبمجرد عودة الامبراطور الى القسطنطينية ، عاد المسلمون إلى أرمينية في ٣٤ هـ / ٦٥٤ م بجيش قوامه ٧ آلاف رجل ، واستطاعوا بالتعاون مع قوات ثيودور طرد البيزنطيين من كل أرمينية ، بل وطاردوهم حتى البحر الأسود . وأكثر من ذلك هاجم المسلمون مدينة طرابيزون Trebizomd على البحر الأسود ، وعادوا بكميات هائلة من الغنائم وأعداد كبيرة من الأسرى(٦٤) .

على أية حال ، يبدو أن الاخفاق الذي مني به الامبراطور البيزنطي جعله يحجم عن مهاجمة أرمينية بعد ذلك(٦٥) . أما معاوية فقد أرسل إلى الأرمن يخبرهم بضرورة الخضوع للسيادة الاسلامية . لبى الأرمن رغبة معاوية ، حيث توجه اليه ثيودور رشتوني بعد أن نجح بمساعدة المسلمين طرد فلول القوات البيزنطية من أرمينية . وفي دمشق أغدق عليه معاوية بن أبي سفيان الهدايا والألقاب ، وأوكل إليه أمر القيادة العليا(٦٦) ، اذ عينه حاكما عاما على أرمينية وجورجيا وألبانيا بشرط أن تخضع هذه البلاد كلية للنفوذ الاسلامي .

وفي شتاء سنة ٦٥٥م / ٣٥ هـ مكث المسلمون في دوين . وفي الربيع قاموا بمهاجمة جورجيا بعد أن أكملوا مد نفوذهم على كل أرمينية . ونجحوا في الاستيلاء على مدينة أرزن الروم بعد مقاومة بسيطة من جانب الحامية البيزنطية .

والمعروف أن هذه المدينة كانت عاصمة أرمينية البيزنطية(٦٧) . كما نجحوا في بسط نفوذهم على شمال أرمينية حيث أخضعوا اقليم سيوني وألبانيا لسلطتهم ، بل انهم توغلوا شمالا تجاه بلاد الخزر(٦٨) . ولقد حمل المسلمون غنائم طائلة في فتوحاتهم هذه الى دمشق . ويلاحظ أن ثيودور رشتوني ذهب إلى دمشق ، ومكث بها حتى وفاته سنة ٦٥٥م / ٣٦ هـ(٦٩) ولا نعلم ما اذا كان ثيودور قد ذهب مكرهاً أو حسب

(٦٣) Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 138-139

(٦٤) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 139; Ghazarian, Arabischen, p. 32.

(٦٥) Ghevond, Guerres, p. 13; Ostrogorsty, Hist. Byz. St., p. 131.

(٦٦) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 139.

(٦٧) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 146.

(٦٨) Ghazarian, Arabischen, p. 32; Grousset, l'Arménie p. 316, Canard, Arm. Califate, p. 392.

(٦٩) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 146; Grousset, l'Arménie p. 303.

رغبته . ومن المحتمل أن استدعاءه كان بسبب وجود بعض جيوب المقاومة في أرمينية ضد السيادة الاسلامية . الا أن تصميم المسلمين على فرض سيادتهم على كل أرمينية جعل الأرمن يستسلمون في النهاية ، اذ تشير المصادر الأرمينية الى انعقاد مؤتمر ضم كبار رجال الأمة الأرمينية ، ومن المرجح انه انعقد سنة ٦٥٦م/٣٦هـ وحضره الكاثوليكوس نرسيس ، وأمراء البلاد وأشرافها . وفيه قرر الجميع قبول السيادة الاسلامية وارسال الرهائن الذين طلبهم معاوية . لهذا تم ارسال اثنين من كبار رجال الأرمن : هما جريجوار ماميكونيان . Grigrois Mamikonean وسمباد بقراطوني Sambat Bagarat[٧٠] إلى بلاط معاوية . وعندما وصلا إلى هناك ، اخبرهما والى الشام أن أرمينية ستتمتع بالأمان الكامل . وفي العام التالي أي سنة ٦٥٧م/٣٧هـ ، منح معاوية بن أبي سفيان الأمير جريجوار ماميكونيان لقب الحاكم العام لأرمينية ، كما غمره هو وسمباد بقراطوني بالهدايا وسمح لهما بالعودة إلى بلادهما . ولقد ساد السلام ربوع أرمينية طوال حكم معاوية[٧١] .

والواقع أن معاهدة سنة ٦٥٣ م / ٣٣ هـ بين المسلمين والأرمن تستحق وقفة قصيرة . فالمعروف أنه في كل الاقاليم المسيحية التي أخضعها المسلمون ، تولوا فيها الحكم بشكل مباشر . ويلاحظ انهم تركوا لسكان البلاد المفتوحة مباشرة معتقداتهم الدينية ! لأن القرآن عد اليهود والمسيحيين أهل كتاب[٧٢] . واتخذوا سياسة التسامح الديني معهم ، وتوفير الحماية لهم ، طالما خضعوا للحكومة الاسلامية وقاموا بدفع الجزية[٧٣] .

أما من ناحية شؤون السياسة والحكم ، فلم يكن لسكان البلاد المفتوحة أي حق في ممارسة السلطة السياسية . كانت هذه هي القاعدة التي سار عليها المسلمون في كل البلاد المسيحية التي فتحوها ، باستثناء اقليم واحد ـ وهو أرمينية والامارات القوقازية التي تقع إلى الشمال منها . ففي هذا الاقليم سمح المسلمون للأرمن والأيبيريين بموجب معاهدات ، مثل معاهدة سنة ٦٥٣ م / ٣٣ هـ والتي عقدها

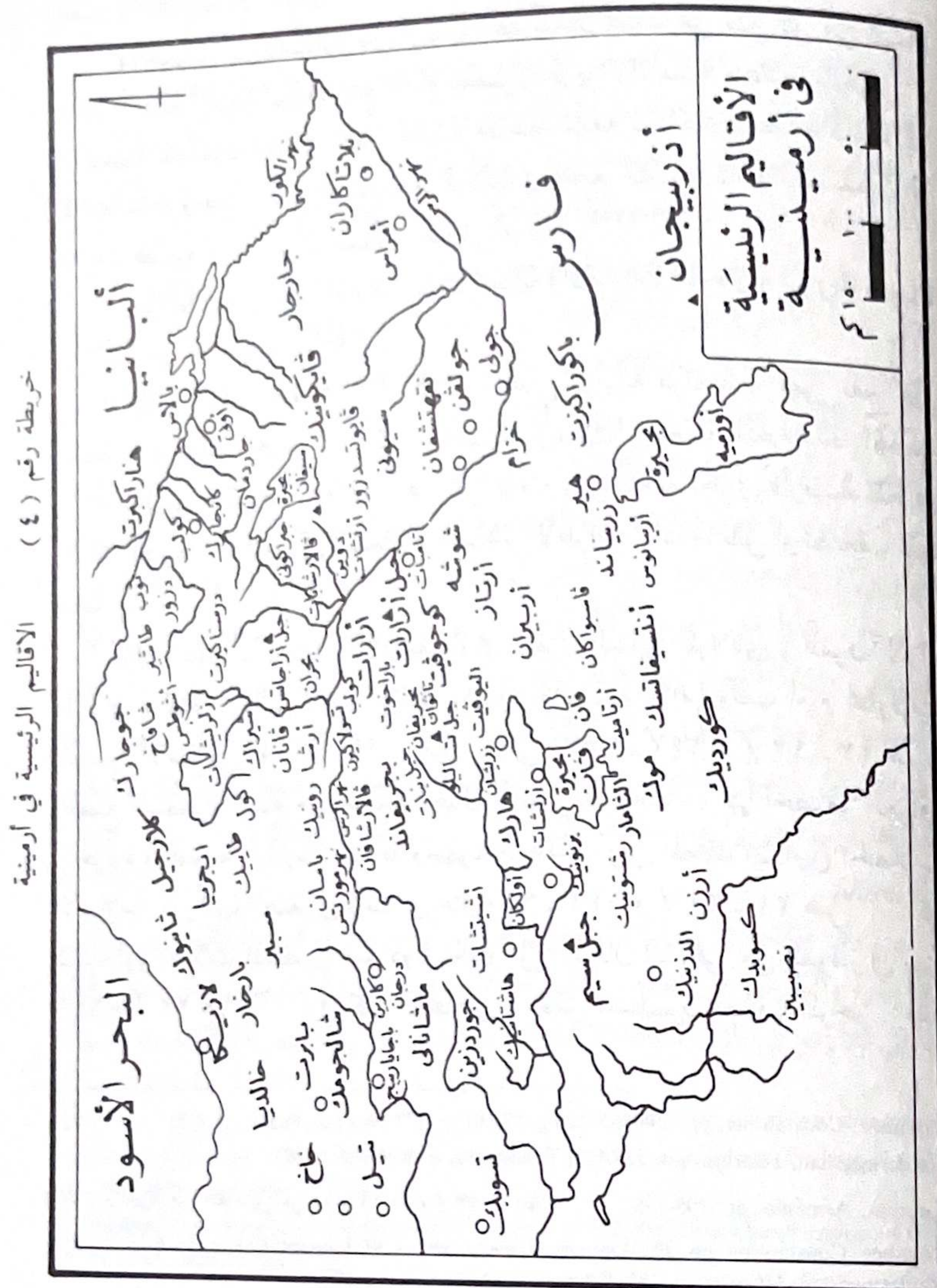
---

(٧٠) Sebeos, Hist. Heraclius, p. 145; Ghevond, Guerres, p. 13; Grousset, l'Arménie, p. 301; Gatteyrias, Arm. Armeniens, p. 301.

(٧١) Ghevond, Guerres, p. 13, Catholicos, Hist. Armenie, p. 78.

(٧٢) « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » القرآن الكريم » سورة البقرة الآية رقم ٦١ .

(٧٣) Asolik, Univ. (Macler), p. 35; Grousset, l'Arménie p.305; Canard. Arm. Califate, p. 391.



خريطة رقم (٤) الاقاليم الرئيسية في أرمينية

نقلا عن : Moise de khorene - History of The Armenians (London, 1978).

معهم معاوية والى الشام حينذاك ، بأن يتمتع أهل هذه البلاد بحكم ذاتي طالما أنهم يخضعون للسيادة الاسلامية(٧٤) .

والمعروف أن الاستيلاء على أرمينية اتخذ شكلا مختلفا عن فتح كل من الشام ومصر . ففتح أرمينية تم بعد فتح الشام ومصر والجزيرة والاستيلاء عليها بالكامل ، ولم ينجح المسلمون أبدا في جعل أرمينية مقاطعة تابعة لممتلكاتهم بصفة دائمة كما حدث للشام ومصر . ففي الواقع ، أن أرمينية لم تخضع خضوعا كاملا للمسلمين الا لفترات قصيرة ، اذ بقيت مستقلة بشكل أو بآخر (٧٥) .

ومهما يكن من أمر ، فقد نالت أرمينية والامارات القوقازية شروطا متميزة من المسلمين للأسباب الآتية :

أولا ـ الموقع الجغرافي ، اذ كانت أراضي أرمينية مرتفعة ، فهي تقع على هضبة ، ومحاطة بالجبال من كل جانب ، وبذلك يصعب فتح هذه الهضبة والاحتفاظ بها دون رضى اهلها ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فأرمينية تقع في أطراف الدولة الاسلامية في الشمال ، ومناطق الأطراف عادة ما تقل أو تضعف فيها قبضة الدولة .

ثانيا : كانت أرمينية وبلاد القوقاز في القرن السابع الميلادى (القرن الأول الهجرى) محاطة بأقاليم تابعة لبيزنطة ودولة الخزر ، وكلاهما وقف أمام محاولات التوسع الاسلامي ضدهما(٧٦) . فبين عامي ٦٣٣ ـ ٦٤٢ م / ١٢ ـ ٢٢ هـ ، اخضع المسلمون الشام حتى سلسلة جبال أمانوس Amanos ، كما أخضعو العراق والجزيرة ومصر ، وفارس بسرعة وسهولة مذهلة . ومن المعتقد أن أولى الحملات الاسلامية على آسيا الصغرى كانت في عام ٦٤٠ ـ ٦٤١ م / ٢٠ ـ ٢١ هـ(٧٧) . كما كانت أولى حملات المسلمين ضد دولة الخزر الى الشمال الشرقي من القوقاز في سنة ٦٤٢ م / ٢٢ هـ(٧٨) . وفي كلا الاتجاهين لم يحقق المسلمون الهدف المرجو . فقد

---

(٧٤) Toynbee, Constantine, pp. 394-395; Lang, Cradle, p. 177; Morgan, Peuple, p. 125; Pasdermadjian, Histoire, pp. 128-132; Toumanoff, Arm. Geor. p. 605.

(٧٥) وللمزيد من التفاصيل عن معاهدة ٦٥٣ م / ٣٣ هـ انظر : Laurent, Arménie, pp. 195-196.

(٧٦) Toynbee, Constantine, pp. 395; Laurent, Armenie, pp. 24, 91; Laurent, Études, pp. 6-7; Pasdermadjian, Histoire, p. 130; Toumanoff, Arm. Geor. p. 607.

(٧٧) ابن الاثير : الكامل جـ ٣ ، صـ ٩ انظر كذلك . Canard, Arm. Califate, p. 392.

(٧٨) Ghevond, Guerres, p. 15; Ghazarian, Arabischen, p. 32; Dunlop, Khazar, p. 50.

استمرت الحرب بين المسلمين والخزر لمدة مائة عام ، بينما استمرت الحرب بين المسلمين والبيزنطيين حتى نهاية الدولة الأموية وإن وقعت بعض المصادمات غير الحاسمة بين الجانبين في عهد الخلافة العباسية ، وبخاصة أيام كل من المأمون والمعتصم ، ولم ينجح المسلمون في دفع حدودهم من سفوح جبال أمانوس الى سفوح جبال طوروس قبل نهاية القرن السابع ومطلع القرن الثامن (أواخر القرن الأول وبدايات القرن الثاني للهجرة) . كذلك يلاحظ أنه في سنة ٦٥٢ م / ٣٢ هـ قام المسلمون بأول غزو منظم لدولة الخزر ، الا أن هذه الحملة واجهت الهزيمة(٧٩) .

وازاء تلك المصاعب التي واجهت هجمات المسلمين ، ومحاولاتهم الاستيلاء على دولة الخزر وعلى اسيا الصغرى ، آثروا أن يمنحوا الأرمن شروطا متساهلة في معاهدة سنة ٦٥٣ م / ٣٣ هـ ، وأن يسمحوا لهم ولأمراء القوقاز بقدر كبير من الحكم الذاتي بعد ذلك ، ويجب ألا ننسى أن بيزنطة وفارس لم تنجحا من قبل في اخضاع الأرمن كلية لنفوذهما(٨٠) ، فلم يتردد الأرمن في استخدام السلاح للدفاع عن حريتهم . ومن هنا يتبين لنا أهمية موقع أرمينية كدولة حاجزة بين كيانين سياسيين كبيرين ، وصعوبة قيام أية قوة من القوتين الكبيرتين بفرض سيطرتها الكاملة على أرمينية . هذا عن السببين الأول والثاني ، أما السبب الثالث فيرجع الى الخلاف المذهبي بين الكنيسة البيزنطية والكنيسة الأرمينية ، والذي دفع الأرمن الى قبول السيادة الاسلامية في سنة ٦٥٣ م / ٣٣ هـ(٨١) . فقد منح المسلمون كل المنوفيزين أنصار مذهب الطبيعة الواحدة ، الذين خضعوا للسيادة الاسلامية تسامحا دينيا حرموا منه عندما كانوا تابعين للدولة البيزنطية التي أخذت بمذهب الطبيعتين .

ولا شك أن ادراك المسلمين لذلك الخلاف المذهبي القائم بين الكنيسة الأرمينية والكنيسة البيزنطية ، كان أحد الأسباب التي دفعت معاوية الى منح الحكم الذاتي للأرمن في ظل السيادة الاسلامية حرصا منه على منحهم الهوية الدينية المستقلة

---

(٧٩) Grousset, l'Armeine, p. 319; Ghazarian, Arabischen, p. 43; Canard, Arm. Califate, p. 392; Dunlop, Khazar, pp. 55-56.

(٨٠) Catholicos, Hist. Arménie, p. 74; Grousset, l'Arménie, p. 257, Pasdermadjian, Historie, p. 127; Lili, Reakton, p. 53.

(٨١) للمزيد عن الخلاف المذهبي بين الكنيستين الأرمنية والبيزنطية وآثاره انظر : . Catholicos, Hist. Arménie, p. 754; Grousset, l'Arménie, pp. 365-366; Morgan, Peuple, p. 118; Tonybee, Constantine, p. 400.

التي استماتوا في التمسك بها[٨٢] .

هذا ، واذا تناولنا موقف الأرمن من العالمين الاسلامي والبيزنطي ، سندرك أن هذا الموقف تأثر بموقع أرمينية الفريد بين الخلافة الاسلامية والامبراطورية البيزنطية . فقوة الأرمن وشجاعتهم لم تكن كافية لتحويل حكمهم الذاتي الى وحدة تامة . ذلك أن الأرمن لم يتفقوا مع الشعوب المجاورة لهم في منطقة القوقاز ، مثل سكان أيبيريا وألبانيا وأبخازيا[٨٣] ، وكانوا مثلهم ممزقين بين البيزنطين والمسلمين ، فلم يستطع الأرمن أن يقبلوا الوحدة مع الشعوب غير الأرمينية . وفي الوقت نفسه كانوا عاجزين عن طاعة رئيس واحد ، وكانوا يسلكون مسلكا فرديا انفصاليا في ظل نظام اقتصادي اجتماعي قوامه الاقطاع[٨٤] .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى كان أعداء الأرمن يجدون فيهم دائما فئة مستعدة لأن تقاوم وتحارب غيرها من أبناء جلدتها ، لهذا لم يوحد الأرمن ابدا قوتهم وارادتهم من أجل عمل وطني موحد . ويلاحظ أن أرمينية احتفظت بمؤسساتها الدينية وغيرها دون اي تغيير ، لأنها لم تكن تملك الوقت للتغيير وهى تعيش في كفاح مستمر مع جيرانها ،كما أنها لم تجد في نفسها القدر الكافي من الروح السياسية ، أو الشعور بالانتماء القومي ، حتى تصبح دولة قوية موحدة أو مستقلة[٨٥] .

ومهما كان الأمر ، فإن موقع أرمينية بين كيانين سياسيين كبيرين جعل الأرمن غير قادرين على الاحتفاظ بجيوش كبيرة ، ومما يجب ملاحظته : أنهم لم يتخذوا جانب المسلمين الا عندما يقوم البيزنطيون بغزو أراضيهم ، كما أنهم لم يتقربوا الى البيزنطين الا في أثناء ثوراتهم ضد السيادة الاسلامية وعلى هذا نجد أن الأرمن لا يرحبون عادة باحدى القوتين الا لطرد القوة الأخرى[٨٦] . وكان عليهم أن يتحملوا مساوىء إحدى القوتين بشكل مستمر ، فلم يكن أمامهم في مواجهة تلك الظروف سوى اختيار أحد أمرين ، رضوا أم كرهوا ، وأحلاهما مر ، وكانوا هم يدركون ذلك تماما .

(٨٢) Grousset, l'Arménie, pp. 300, 316; Morgan, Peuple, p. 124.

(٨٣) Laurent, Arménie, p. 91; Theressian, Hist. Arm. Peup, p. 89.

(٨٤) Ghevond, Guerres, pp. 110, 112; Asolik, Univ. (Macler) p. 161; Grousset, l'Arménie, p. 436; Nersessian, Arm. Byz., p. 7; Theressian, Hist. Arm. Peup, p. 89.

(٨٥) Ghevond, Guerres, pp. 33-34; Laurent, Arménie, p. 91; Theressian, Arm. Byz., pp. 86, 89.

(٨٦) Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 143-145; Chevond, Guerres, p. 31; Toumanoff, Arm. Geor., p. 606; Nersessian, Arm. Byz., pp. 14-15.

ولتوضيح ذلك يجب ألا ننسى أن الفتح الاسلامي لأرمينية الذي وقع في حوالي منتصف القرن السابع الميلادي (منتصف القرن الأول الهجري) ، حدث في وقت ضعفت فيه الامبراطورية البيزنطية بسبب مشكلاتها الداخلية العديدة وحروبها المريرة ضد الفرس التي انهكت قواها . كما أن قبول الأرمن للسيادة الاسلامية في ظل معاهدة ٦٥٣ م / ٣٣ هـ ، جاء بعد أن تصدى الأرمن بمفردهم لمقاومة المسلمين دون أن يتلقوا أى مساعدة من جانب الامبراطورية ، وأدركوا أنهم لا قبل لهم بتلك القوة الفتية المندفعة الى قلب اقاليمهم[٨٧] .

ويمكن القول إن الأرمن قبلوا السيادة الاسلامية واحتفظوا خلالها بالحكم الذاتي لأنه لم يكن أمامهم طريق آخر . وكان الأمل يحدوهم في أن ينعموا في ظل هذه السيادة بالتسامح الديني ، حيث إنهم عانوا طويلا من افتقاده في ظل السيادة الفارسية والبيزنطية على أراضيهم . فقد حرص الفرس على تحويل الأرمن الى عبادة النار وأخفقوا كما حاول البيزنطيون مرارا فرض مذهب كنيسة القسطنطينية عليهم دون جدوى[٨٨] . وعاني الأرمن من الاضطهاد الديني من جراء ذلك ، إلا أنهم ظلوا متمسكين بالمسيحية على المذهب المونوفيزي ، فالمواطن الأرميني كان يعتقد أنه مسيحي بالصيغة المنوفوزية قبل أن يكون أرمينيا[٨٩] . وكانت مثل هذه الأفكار والمفاهيم متأصلة في النفوس بحيث لم يكن من السهل انتزاعها .

وهكذا ظلت أرمينية خاضعة للسيادة الاسلامية في عهد الخلافة الأموية .

ولقد احترم المسلمون ، الى حد ما ، الحكم الذاتي لأرمينية . ولكن إلى جانب الامارات الأرمينية التي احتفظت بحكمها الذاتي ؛ أقام المسلمون حاميات قوية تمركزت في أودية الأنهار بالقرب من عدد من المدن الأرمينية مثل دوين ،وأرزن الروم ، نقهتشفان[٩٠] .

وعلى ما يبدو ، فإن السيادة الاسلامية زمن الأمويين لم يكن لها جذور عميقة في أرمينية . والدليل على ذلك اندلاع بعض الثورات الأرمينية ضد المسلمين ، وقيام

(٨٧) Toumanoff, Arm. Geor., p. 605; Morgan, Peuple, p. 117.

(٨٨) Laurent, Armenie, p. 295; Bréhier Vie, pp. 61, 70; Laurent, Études, p. 241.

(٨٩) Pasdermadjian, Histoire, pp.128-129; Laurent Arménia, p. 247; Toumanoff, Arm.Geor.p.605.

(٩٠) Grousset, l'Arménie, p.315; Ghazarian, Arabischen, p. 56; Pasdermadjian, Historie, p.128.

بيزنطة بمساندة هذه الثورات استثمارا من جانبها للموقف(٩١) . بمعنى أن كل قوة من هذه القوى الثلاث : الأرمينية والبيزنطية والاسلامية ، كانت تستغل الظروف المتاحة لصالحها ، ولو كان ذلك على حساب القوتين الأخريين أو احداهما . وكانت هذه القوة تأتلف أو تختلف وفقا لصالحها الخاصة ووفقا أيضا للظروف القائمة في وقت ما . وترجع ثورات الأرمن ضد السيادة الاسلامية في العصر الأموى الى سببين : أولهما اقتصادي ، حيث ثار الأرمن أكثر من مرة بسبب الضرائب الباهظة التي حاول المسلمون فرضها عليهم . . وتروى الروايات أن الضرائب كانت تُحصّل على الموتى أيضا وبالطبع هذه مبالغة من بعض مؤرخي الأرمن إلا أنها توحي بتشدد المسلمين في معاملتهم المالية مع الأرمن(٩٢) . كما دفعت الضرائب الباهظة عددا كبيرا منهم الى الهجرة الى الامبراطورية البيزنطية هربا من أعبائها الثقيلة تاركين أرضهم ومساكنهم خاوية(٩٣) .

وهكذا اضطر الأرمن الى رفع السلاح في وجه المسلمين الذين فرضوا ضرائب باهظة أثقلت كاهلهم وكانت سببا من أسباب تذمرهم وثورتهم عليهم .

أما السبب الثاني الذى شجع الأرمن إلى الثورة على الخلافة الاسلامية فقد كان يرجع الى انشغال الدولة الاسلامية باضطرابات داخلية ، أو حروب أهلية ، وبالذات تلك الاضطرابات والحروب التي ميزت الأيام الأخيرة للعصر الأموى .

ففي مثل هذه الظروف كان الأرمن ينتهزون فرصة المتاعب التي تواجه الحكومة الاسلامية ويثورون ضدها في محاولة جادة لاجلاء العرب من بلادهم ، واسترداد استقلالهم المفقود خاصة أنّ طبيعة بلادهم الجبلية جعلتهم يتصفون بالعناد والبأس ويعشقون الحرية ويأبون الخضوع للغير(٩٤) .

كما استغلت بيزنطة الموقف في أغلب هذه الثورات الأرمينية ، وقدمت للأرمن العون ، ومن أمثلة ذلك ـ تلك الحملة التي قادها القائد ليونتيوس Leontius في عهد الامبراطور جستيان الثاني سنة ٦٨٦ م / ٤٨هـ . إلا أن الجيوش البيزنطية ارتكبت الكثير من أعمال النهب ، كما حاولت إرغام الكنيسة الأرمينية مجددا على

(٩١) Ghazarian, Arabischen, p. 43; Morgan, Peuple, p. 128.

(٩٢) Ghevond, Guerres, pp. 110; Asolik, Univ. (Macler) p. 162.

(٩٣) Ghevond, Guerres, pp. 22, 33-35; Asolik, Univ. (Macler) p. 162.

(٩٤) Ghevond, Guerres, pp. 118-119; Brehier Vie, pp. 68-83; Toumanoff, Arm. Geor, p. 607; Vasiliev, Empire, p. 410.

اتباع مذهب الكنيسة البيزنطية ، وهو ما كان يأباه الأرمن(٩٥) .

كذلك ثارت أرمينية مرة أخرى في عهد الامبراطور تبيريوس الثالث Tiberius III ، (٦٩٨ - ٧٠٥ م) ، بسبب الانتصارات التي حققها القائد هرقل اخو الامبراطور البيزنطى في سنة ٧٠٠ م ٨١ هـ وفي ٧٠٣ م ٨٤ هـ(٩٦) . فتروى الروايات أن الأرمن ثاروا على المسلمين وقتلوا عددا كبيرا منهم ، وأرسل الثوار الى الامبراطور البيزنطي يطلبون منه الحماية(٩٧) .

كذلك انتهزت بيزنطة في عهد الامبراطور قسطنطين الخامس Constantin V (٧٤١ - ٧٧٥ م / ١٢٤ - ١٥٩ هـ) فرصة اندلاع حروب أهلية بين المسلمين في أواخر عهد الدولة الأموية ، ، وشجعت الأرمن على الثورة ضد المسلمين . فاندلعت الثورات ، وكانت أهمها ثورة عام ٧٤٩ - ٧٥٠ م / ١٣٢ - ١٣٣ هـ(٩٨) . وقاد أمراء أسرة الماميكونيان تلك الثورة وتحالفوا مع بيزنطة(٩٩) .

ولكن يلاحظ أنه لم يكن في استطاعة أية ثورة أرمينية في القرن الثامن الميلادى (القرن الثاني الهجرى) أن تحشد أكثر من ٥٠٠٠ رجل أو ١٠٠٠٠ على الأكثر ، ذلك لأن الامارات الأرمينية لم تنسق أبدا جهودها وقواتها ، ولعل هذا يفسر أن الأرمن خاضوا غمار حروبهم مع المسلمين في فترات مختلفة . وفي كل مرة كانت أسرة من الأسر الارمينية تقود الثورة ، وهذا ما سهل على المسلمين أمر اختيار أسرة أخرى مستعدة للتعاون معهم بدلا من الأسرة الثائرة . ولقد كانت تلك الثورات أحداث وتحركات خاصة بالأسرة الأرمينية الكبيرة مثل أسر بقراط وماميكونيان وأردزروني ورشتونى(١٠٠) .

واذا كانت الثورات الأرمينية ضد السيادة الاسلامية بقيادة إحدى الأسر

(٩٥) عن مساعدة بيزنطة للأرمن للثورة على المسلمين انظر :

Diehl, Hist. Emp. Byz., p. 99; Bréhier, Vie, 83.

Bréhier, Vie, pp. 61, 70, Laurent, Études, p. 14.

(٩٦) Ghevond, Guerres, p. 120; Theressian, Hist. Arm Peup., p. 86.

(٩٧) العيني : عقد الجمان ، حـ ١١ ، الجزء الثاني لوحة رقم ٣٣٩ وكذلك انظر :

Theophanes, p. 570; Bury, Roman, II, p. 555.

(٩٨) Bréhier, Vie, p. 83.

(٩٩) Ghevond, Guerres, p. 119; Toumanoff, Arm. Geor, p. 607.

(١٠٠) Pasdermadjian, Histoire, p. 133.

الكبيرة قد استطاعت اخراج المسلمين لفترة من الوقت من بعض المدن الكبرى ، إلا أن المسلمين بفضل قواتهم الضخمة ومهاراتهم السياسية ونجاحهم في بث الفرقة والانقسام بين صفوف الأرمن ، وضرب الامارات الأرمينية الواحدة بالأخرى ، استطاعوا دائما قمع هذه الثورات واخمادها(١٠١) .

وعلى الرغم من الاخفاق الذي لحق بانتفاضات الأرمن للتخلص من السيادة الاسلامية في أرمينية ، إلا أنهم كانوا يعاودون الثورة والتمرد . كلما سنحت لهم الفرصة ، ويتخذون من المناطق الجبلية المحيطة بهم ملاذا ، مما يمكنهم من الاستمرار في الثورة أطول وقت ممكن . كذلك كان للمساعدات البيزنطية لهم أثر كبير في دعم تلك الثورات وجعلها تستمر وقتا غير قصير . وكانت ثوراتهم هذه تمثل تهديدا قويا للسيادة الاسلامية وتشكل عائقا يمنع المسلمين من القيام بحملة منظمة طويلة ، ولم يكن أمام المسلمين سوى القضاء على تمرد الامارات الأرمينية المستقلة استقلالا ذاتيا باحتلال مراكز حصونهم في الجبال المرتفعة(١٠٢) .

ولقد حاولت الدولة البيزنطية من جانبها في أثناء انتفاضات الأرمن ضد السيادة الاسلامية ، الوصول الى أرمينية واحتلال أجزاء منها ، ولكن لم يكن ذلك بالأمر الهين ، لأن من عادة الأرمن ألا يلجأوا الى البيزنطيين الا عند الضرورة القصوى ، كما أن الأرمن وقفوا بالمرصاد لمحاولات بيزنطة لاحتلال بلادهم احتلالا دائما . أضف الى كل هذا ، العداء المذهبي بين الطرفين والذي كان يشكل عقبة كأداء في سبيل التفاهم ، بسبب انعدام الثقة وتوفر الشك بينهما . هذا فضلا عن كراهية رجال الاقطاع الأرمن للحكومة البيزنطية لنظامها المركزي ، في الادارة ، ولسياسة الضم التي اتبعتها بعد ذلك(١٠٣) . كل هذه الأسباب مجتمعة أدت إلى إخفاق أي تحالف دائم بين البيزنطيين والأرمن . ولقد أدرك المسلمون هذه الحقائق ، كما أدركوا القيمة التي تعود عليهم من وجود الامارات الأرمينية المستقلة استقلالا ذاتيا(١٠٤) .

---

(١٠١) Laurent, Arménie, p. 125; Toumanoff, Arm. Geor, p. 611; Nersesian, Byz. Arm pp. 16-17; Pasdermadjian, Histoire, p. 130.

(١٠٢) Laurent, Études, p. 6; Vasiliev, Empire, p. 415; Pasdermadjian, Historie, p. 131.

(١٠٣) Lilie, Reaktion, p. 93; Pasdermadjian, Historie, p. 132.

(١٠٤) Nersesian, Arm. Byz, p. 16; Lang, Cradle, p. 177; Morgan, People, p. 125.

يمكن القول إذن ، أن الأرمن تقلبوا بين بلاط كل من دمشق والقسطنطينية حسب مقتضيات الظروف والأحوال السائدة في أرمينية(١٠٥) من ناحية ، وفي كل من العالمين الاسلامي والبيزنطي من ناحية أخرى ، فمثلا اعتبارا من سنة ٧٠٢ وحتى سنة ٧٠٤ م (٨٣ الى ٨٥ هـ) حاولت البابا التمسك بمذهب كنيسة القسطنطينية وترك مذهب الكنيسة الأرمينية ، فاعتبر الجاثليق الأرمني هذا التصرف تمردا ، ولم يتردد في طلب مساعدة الخليفة الأموى لاعادة هذا الاقليم الى طاعة ارمينية ضمن اطار السيادة الاسلامية(١٠٦) . كذلك نجد أن الأمير سمباد بقراطوني لم يتردد في الاتصال ، وطلب مساعدة الامبراطور البيزنطي عندما غضب من تصرفات الوالي المسلم .

هذا ، ونجد أن السيادة الاسلامية على أرمينية تميزت بظاهرة جديدة بالتأمل ألا وهي قيام الهجرات المستمرة لجماعات ضخمة من الأرمن الى أراضي كل من الخلافة الأموية ، والامبراطورية البيزنطية . وكان هذا يرجع في بعض الأحيان ، الى الاضطهاد الذي مارسته إحدى القوتين على الأرمن ، أو إلى الرغبة في تحسين الأحوال الاجتماعية والاقتصادية(١٠٧) .

وفي ظل انقسام أرمينية الى زعامات اقطاعية عديدة متنافسة ، كانت فرصة الترقي للجندي الأرميني الماهر المهاجر - من طبقات المجتمع الدنيا - أكثر اشراقا في القسطنطينية أودمشق ثم بغدادفيمابعد ، عنها في جبال أرمينية نفسها ، كما كان نمو التجارة والصناعة أبطأ في أرمينية منه في مراكز الخلافة والامبراطورية ، الى الحد الذي جعل التجار الأرمن يميلون الى الهجرة إلى أسواق الشرق الأدنى(١٠٨) .

ومن أمثلة فترات الاضطهاد التي تعرض لها الأرمن ، واضطرتهم الى الهجرة ، تلك الأحداث التي وقعت سنة ٧٠٥ م / ٨٦ هـ ، حين لقى محمد بن مروان الوالى المسلم على أرمينية الهزيمة على يد الأمير الأرميني سمباد والقوات الأرمينية البيزنطية المشتركة(١٠٩) ، فقرر بعد أن وصلته الامدادات التي أرسل في طلبها لتقوية

---

(١٠٥) Nersesian, Arm. Byz, p. 16; Allen, l'Arménie, pp. 24-25.

(١٠٦) Catholicos, Hist. Arménie, p. 87; Toumanoff, Arm. Geor, p. 606.

(١٠٧) Asolik, Univ. (Macler) p. 162; Laurent, Arménie, p. 245.

(١٠٨) Laurent, Arménie, p. 216; Lang, Cradle, p. 184.

(١٠٩) عن هزيمة مروان بن محمد هذه ، انظر : Thoumanoff, Arm. Geor, p. 607.

جيشه ، الانتقام من طبقة النبلاء ، فقام بالقبض على عدة مئات منهم مع ذويهم وأتباعهم وأودعهم الكنائس وأغلقها عليهم وأشعل النار فيها .

وقد أدت هذه القسوة في معاملة الأرمن إلى هروب الكثيرين منهم الى الدولة البيزنطية[١١٠] . كذلك ازدادت هجرات الأرمن الجماعية في أثناء الحرب الأهلية التي نشبت في أواخر أيام الأمويين ، والتي استغلتها بيزنطة فأخذت تؤلب العناصر المناوئة للمسلمين في أرمينية[١١١] ، مما أدى الى اشتعال ثورة عارمة ضد الحكم الاسلامي فيها . وعلى الرغم من أن الأمويين بذلوا جهودا ضخمة لاخماد الثورة الأرمينية هذه مستخدمين العنف والقسوة الا أنهم لم يفلحوا في منع جماعات كبيرة من الأرمن متجهة الى الأراضي البيزنطية في شكل هجرة جماعية ، وجدت كل الترحيب من قبل الامبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس الذي قام بتخصيص مناطق لهم يعيشون فيها[١١٢] .

وإذا تتبعنا احوال الأرمن المهاجرين للدولة البيزنطية ، او للخلافة الأموية ، والعباسية بعد ذلك ، فسنجد انهم لعبوا دور هاماً في هذه الدول . فبالنسبة لأولئك الذين هاجروا الى الولايات التابعة للخلافة الاسلامية ، فقد تحول بعضهم إلى الاسلام بينما احتفظ الآخرون بعقيدتهم المسيحية ، ونجح بعضهم في خدمة الحكام الطولونيين والفاطميين[١١٣] . اما بخصوص الأرمن الذين هاجروا الى الامبراطورية البيزنطية ، فقد عالج هذا الموضوع عدد كبير من المؤرخين الحديثين في شيء من التفصيل[١١٤] . ومن يطلع على هذه الدراسات ، يتضح له ما وصل إليه الأرمن من الرتب العليا في الجيش او البلاط البيزنطي ، وما حققوه من نجاح في الحياة الثقافية رغم احتفاظهم بشخصيتهم الأرمينية ، وعدم انقطاعهم عن وطنهم الأم ، بل لقد وصلت بعض العناصر منهم الى العرش الامبراطوري في الفترة ما بين القرنين الثامن

(١١٠) Asolik, Univ. (Dulaurier), pp. 156-156; Toumanoff, Arm. Geor, p. 607.

(١١١) Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 162.

(١١٢) Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 162.

(١١٣) لقد نجح بعض هؤلاء المهاجرين الأرمن في الوصول الى أعلى الرتب في الدولة الاسلامية ، فقد اندرج احدهم ليصبح وزيرا باسم بدر الجمالي في القاهرة ١٠٧٣ ـ١٠٩٤ م انظر :. Lang, Cradle, p. 187.

(١١٤) من هؤلاء المؤرخين الحديثين انظر :
Nersessian, Arm. Byz., 15-28, Charanis, Byz. Empire, pp. 17-57.

والعاشر الميلاديين (القرنان الثاني والرابع الهجريان)[١١٥] .

وبطبيعة الحال ، لم يقتصر موقف الأرمن من بيزنطة والخلافة الاسلامية على الناحية السياسية فحسب ، بل كانت طبيعة الموقع والتضاريس[١١٦] في ارمينية تفرض على الأرمن ضرورة الارتباط بهاتين الجارتين والابقاء على علاقات حسنة معهما ، فزراعة تربة الهضبة الأرمينية الخصبة ، وازدهار الصناعة والتجارة ، حتم على الأرمن الارتباط باثنين من النظم الاقتصادية : نظام العالم الاسلامي ، الذي يتضمن المراكز التجارية الهامة . ونظام الامبراطورية البيزنطية ، الذي يشمل منطقة البحر الأسود وأيبيريا وآسيا الصغرى[١١٧] . فكانت أرمينية تُصدّر منتجاتها ومنتجات الشرق الأقصى عن طريق ارزن الروم وطرابيزون ؛ وكانت تصدر الى البلاد الاسلامية عن طريق منطقة الثغور منتجاتها المتنوعة ، حيث كانت الطرق الرئيسية تمر على بحيرة فان ومدن بدليس والموصل ، وكان هناك طريق يربط بين دوين وتبريز[١١٨] .

على أية حال ، أصبحت أرمينية منذ بداية النصف الثاني من القرن السابع الميلادي (الثلث الأول من القرن الأول الهجري) ميدانا للصراع بين النفوذين البيزنطي والاسلامي[١١٩] . وكان هذا أمرا طبيعيا ومتوقعا ، إذ ان تداعي الأحداث كان يؤذن بذلك ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على الصراع الخفي بين القوتين الكبيرتين الذي استمر حتى نهاية العصور الوسطى .

لقد حرص البيزنطيون على استغلال متاعب الأمويين ، واثارة القلاقل في أرمينية لاضعاف النفوذ الاسلامي فيها . وانعكس هذا على طبيعة السيادة الاسلامية فقد تباين الحكم الاسلامي لأرمينية في العصر الأموي ما بين الترهيب والترغيب . ويمكن القول إنه طوال عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤٠ ـ ٦٠ هـ/ ٦٦٠ـ ٦٧٩ م) ساد السلام ربوع البلاد الأرمينية[١٢٠] . وفي عهد عبد الملك بن مروان

(١١٥) Lang Cradle, 184; Charanis, Byz. Empire, pp. 23-55.

(١١٦) Lilie, Reaktion, p. 24; Nersessian, Arm. Byz. pp. 2-3.

(١١٧) Lilie, Reaktion, p. 27; Nersessian, Arm. Byz. pp. 3-4.

(١١٨) Lang Cradle, p. 191; Nersessian, Arm. Byz, pp. 4-5.

(١١٩) Lilie, Reaktion, p. 25; Canard, Arm. Califate, p. 389.

(١٢٠) Ghevond, Guerres, p. 14; Canard, Arm. Califate, p. 389.

التي حكم ٢١ عاما (٦٥ - ٨٦هـ/ ٦٨٤- ٧٠٥ م) واجهت فيها الخلافة الأموية عددا كبيرا من الفتن الداخلية ، فحاولت بيزنطة أن تستفيد من انشغال حكومة دمشق بمشكلاتها الداخلية وتعيد فرض نفوذها على أرمينية مرة أخرى[١٢١] . هذا يمكن القول إن الخلافة الأموية في عهد عبد الملك والامبراطورية البيزنطية في عهد من عاصره من الأباطرة البيزنطيين قد تبارت كل منهما في فرض نفوذها على أرمينية ، والحد من نفوذ الأخرى مما يدعم ما سبق أن ذكرناه . ومن جراء ذلك عانى الأرمن الأمرين ، مما أدى الى هجرة العديد منهم من ذلك الجحيم[١٢٢] . وكما يصفها المؤرخ الأرمني جيوفند أصبحت أرمينية بلا مدافع عنها ، وهي تعيش كقطيع من الأغنام وسط الذئاب[١٢٣] .

والمعروف أنه في العام السادس من حكم عبدالملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ/ ٦٨٥ - ٧٠٥م) أرسل الخليفة الأموي جيشا لغزو أرمينية بقيادة محمد بن مروان انتقاما من انتفاضة الأرمن السابقة[١٢٤] . وتعد هذه الحملة حسبما أسلفنا من أعنف الحملات التي أرسلتها حكومة دمشق لعقاب الأرمن . وحين اعتلى الوليد الخلافة ، قام بعزل محمد بن مروان ، بسبب السياسة القاسية التي اتبعها تجاه الأرمن ، كما حاول ارجاع المهاجرين من الأرمن الى بلادهم ، فاصدر مرسوما بالعفو عنهم ورد جميع ممتلكاتهم التي اخذت منهم[١٢٥] .

وفي عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧٢٠ م) استمر التحسن التدريجي في العلاقات الاموية الأرمينية . وكان من اهم مظاهر هذا التحسن ان امر الخليفة عمر باطلاق سراح كل الأسرى الارمن الموجودين في دمشق[١٢٦] .

اما في عهد هشام بن عبدالملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣ م) فقد

---

(١٢١) Ghazarian, Arabischen, pp. 44-45; Brehier, Vie, p. 68; Gatteyrias, Arm. Armeniens, p. 89; Thopdschian, Inneren, p. 17.

(١٢٢) Ghevond, Guerres, p. 79; Asolik, Univ. (Dulaurier) p. 162; Lang, Cradle, p. 184.

(١٢٣) Ghevond, Guerres, pp. 33-34; Brosset, Historiens, p. 33.

(١٢٤) عن انتقام محمد بن مروان من الأرمن بسبب ثورتهم انظر : Theophanes, Chronographia, p. 750. العيني : عقد الجمان ، حـ ١١ ، قسم ٢ ، لوحة رقم ٣٩

(١٢٥) Ghevond, Guerres, p. 34.

(١٢٦) استارجيان : الامة الأرمينية ، ص١٦٦ . Ghevond, Guerres, p. 110.

خريطة رقم (٥)

الدولة الإسلامية في أقصى اتساع لها في العصر الأموي



نقلاً عن : Morgan Peuple (Paris, 1919)

انتكس ذلك التحسن ، وذلك عندما امر الخليفة بعمل احصاء لكل سكان ارمينية وكان الهدف منه مضاعفة الضرائب عليهم . هذا وقد تميز عهد هشام بالشدة مع الأرمن ، وكانت الشكاوى مريرة في كل مكان من أرمينية من جراء تلك السياسة العنيفة[١٢٧] .

---

(١٢٧) Ghevond, Guerres, p. 99; Grousset, l'Arménie, p. 323.

ونعود الى مقاومة البيزنطيين للوجود الاسلامي في أرمينية ، فنجد أن بيزنطة لم تدخر جهدا في سبيل ذلك منذ البداية ، فبعد حملات المسلمين الناجحة على أرمينية والتي انتهت بعقد اتفاقية سنة ٦٥٣ م/ ٣٣هـ ، قام الامبراطور قنسطنز الثاني باصدار الأمر لحاكم قليقية Cilicia بالخروج لقتال معاوية[١٢٨] . ولما أخفقت هذه الحملة وتأكد الامبراطور من خضوع الأرمن للسيادة الاسلامية توجه بنفسه الى أرمينية سنة ٦٥٤ م/ ٣٤ - ٣٥ هـ.. ولكن حملة الامبراطور انتهت أيضا بانسحابه وعودة النفوذ الاسلامي من جديد . ويرجع الفضل الى ثيودور رشتوني في تنظيم المقاومة ، ورفض الخضوع للبيزنطيين ، وكان ثيودور يطلب مساعدة المسلمين حين يواجه بأطماع البيزنطيين[١٢٩] .

كان من نتيجة التعرض البيزنطي للسيادة الاسلامية في أرمينية أن حاولت الدولة الأموية أكثر من مرة عبور آسيا الصغرى والاستيلاء على القسطنطينية نفسها . بل حشدت الخلافة من أجل ذلك الجيوش العديدة ، وسخرت الموارد لتحقيق هذا الهدف الكبير الذي تبناه معاوية ، وتمثل جليا في حملته الكبرى على القسطنطينية في الفترة الممتدة بين عامي ٦٧٤ م - ٦٧٨ / ٥٥ - ٥٩ هـ[١٣٠] .

ولقد تكررت محاولات الأمويين للاستيلاء على القسطنطينية ، ففي عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك أرسلت حكومة دمشق حملة كبرى للاستيلاء على القسطنطينية سنة ٧١٧ - ٧١٨ م/ ٩٩ - ١٠٠ هـ ولكنها باءت بالإخفاق أيضا[١٣١] .

على أية حال ، أدركت الحكومة البيزنطية في أعقاب الحملة الاسلامية الكبرى على القسطنطينية في سنة ٧١٧ م/ ٩٩ هـ ، ضرورة وضع حد لانطلاق المسلمين الى عمق آسيا الصغرى ومحاولاتهم الاستيلاء على العاصمة البيزنطية[١٣٢] . لهذا اتبع الامبراطور ليو الثالث الأيسوري (٧١٧ - ٧٤١ م/ ٩٩ - ١٢٤ هـ) استراتيجية

(١٢٨) Vardan, La Domination, p. 86.
(١٢٩) Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 138-143; Orbelian, Siouni, p. 526.
(١٣٠) عن حملة معاوية الكبرى على القسطنطينية ، انظر :
وسام عبد العزيز : العلاقات ، الصفحات من ٣٦ - ٣٧ وكذلك انظر : Moss, Formation, p. 31.
(١٣١) للمزيد عن هذه الحملة انظر : العيون والحدائق ، جـ ٣ ، ص ٣٤ وما بعدها ؛ وسام عبدالعزيز : العلاقات ، الصفحات من ١٢١ - ١٧٥ وكذلك : Bury, Roman, II, p. 371.
(١٣٢) وسام عبد العزيز : العلاقات ، ص ١٨٤ .

جديدة لتأمين آسيا الصغرى التي كانت تعد مركز الثقل السياسي والاقتصادي والبشري بالنسبة لبيزنطة[١٣٣] . فبعد أن انتصرت بيزنطة في معركة القسطنطينية ٧١٨ م/ ١٠٠ هـ ، وبعد أن أمر الخليفة الورع عمر بن عبدالعزيز بعودة الجيش الاسلامي ، استفاد ليو الثالث من فترة الهدوء التي سادت الجبهة الشرقية آنذاك ، فقام الامبراطور البيزنطي بإعادة تنظيم ثيمات آسيا الصغرى وادخال الاصلاح على الجيش البيزنطي من حيث العدد والتدريب والتسليح[١٣٤] .

كان هذا هو الشق الأول من تلك الاستراتيجية التي اتبعها ليو الثالث في مواجهة الخطر الاسلامي ، أما فيما يتعلق بالشق الثاني ، فقد حاول الاستفادة من الانتصار الذي حققه في معركة القسطنطينية سنة ٧١٨ م/ ١٠٠ هـ ، وذلك باستثماره في أرمينية . فعمل على تدعيم النفوذ البيزنطي فيها والتمركز في عدد من مراكزها[١٣٥] .

ويبدو أن أرمينية بدأت تلعب دورا معيناً إلى جانب البيزنطيين ، بسبب اتجاه الكثير من الجيوش الاسلامية نحو أرمينية بدءاً من عهد الخليفة يزيد بن عبدالملك (١٠١ - ١٠٥ هـ/ ٧١٩ - ٧٢٣ م) . وتروى الروايات أنه في سنة ١٠٢ هـ/ ٧٢٠ م غزا عمر بن هبيرة الروم بأرمينية فهزمهم[١٣٦] . كذلك تشير المصادر العربية الى قيام العباس بن الوليد بغزو الروم في العام التالي ، ففتح مدينة يقال لها رسله[١٣٧] . ويبدو أن القتال لم يكن دائما في صالح المسلمين ، إذ يقول اليعقوبي معقباً على حملة العباس بن الوليد ، أن الناس أصيبت في السرايا[١٣٨] .

ومهما يكن ، فسواء تمركزت في أرمينية جيوش بيزنطية أو قوى جديدة مثل الخزر وغيرهم من الشعوب القوقازية الأخرى أخذت تناصب المسلمين العداء في الشمال ، والشمال الشرقي ، فإن الحقيقة الثابتة هي أن ليو الثالث استطاع أن يستفيد من قيمة جيرانه الأرمن[١٣٩] .

(١٣٣) Ostrogorsky, Hist. Byz. St., p. 110; Finaly Greece, II, p. 29.
(١٣٤) وسام عبد العزيز : العلاقات ، ص ١٨٧ ، وانظر أيضا . Finaly Greece, II, p. 29.
(١٣٥) وسام عبد العزيز : العلاقات ، ص ١٨٤ .
(١٣٦) مجهول : العيون والحدائق ، جـ ٣ ، ص ٧٥ ؛ وانظر ، الطبري : الأمم ، جـ ٦ ، ص ٦١٦ .
(١٣٧) اليعقوبي : تاريخ ، جه ٢ ، ص ٣١٤ - ٣١٥ ؛ الطبري : الأمم ، جـ ٦ ، ص ٦١٩ .
(١٣٨) اليعقوبي : تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣١٥ .
(١٣٩) Hussy, Byzantine , p. 27.

والأمر المهم ـ أن ليو الثالث كان حريصا على نقل القتال مع الأمويين بعيدا قدر الامكان عن قلب آسيا الصغرى ، لهذا تركز الصراع بينهما في أرمينية . وقد سببت أرمينية الكثير من المشكلات للدولة البيزنطية ، فقد كانت ممزقة الولاء ، كما كانت تتقلب بين الخضوع للسيادة البيزنطية والسيادة الاسلامية(١٤٠) . ويبدو أن المسلمين فرضوا على أرمينية رقابة صارمة .

ولقد شغلت أرمينية حكومة دمشق ابتداء من عهد الخليفة يزيد بن عبدالملك وطوال عهد هشام بن عبدالملك ، نظرا لاستفادة بيزنطة من غارات الخزر(١٤١) ضد الدولة الأموية ، ومن المنافسات الداخلية بين الأسر الأرمينية الكبيرة ومنها من يوالي المسلمين(١٤٢) .

هذا ، ويعد ظهور الخزر على مسرح الأحداث السياسية بين البيزنطيين والمسلمين منذ أواخر عهد الخليفة يزيد بن عبدالملك ـ حدثاً جديداً بالاهتمام . ولقد أدركت بيزنطة القيمة الاستراتيجية لجيرانها من سكان منطقة القوقاز منذ فترة مبكرة(١٤٣) . كما أنها تلقت منهم مساعدات قيمة من خلال صداقتها الطيبة التقليدية مع الخزر أنفسهم متحدين مع البيزنطيين في عداء مشترك للمسلمين(١٤٤) . فبعد أن أصبح المسلمون يجاورون دولة الخزر ، بات من المتوقع تعارض مصالحهما وقيام مواجهة بينهما .

هذا ، ولقد أحسن الامبراطور ليو الثالث استغلال ذلك الظرف ، فسخر

(١٤٠) Finaly Greece, I, p. 393.

(١٤١) والخزر أمة تركية ، تقع دولتهم في اقليم يقع بين نهر الفولجا وشمال جبال القوقاز وبحر أزوف Azov ، وعاصمتهم أتيل Atil وتقع في دلتا نهر الفولجا . للمزيد عنهم انظر : ابن فضلان : رسالة ، ص ١٦٩ ؛ ياقوت معجم ، جـ ١ ، ص ٣٢٤ ؛ وانظر : المسعودي : مروج ، جـ ١ ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ . وكذلك : Oblensky, Neighbours, pp. 486-487.

(١٤٢) وعن الغارات على ارمينية انظر : خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط ، جـ ١ ، ص ٤٢٦ ؛ اليعقوبي : تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٢٥ ؛ الطبري الأمم ، جـ ٧ ، ص ٢١ ؛ وانظر : ابن خلدون : العبر ، جـ ٩ ، ص ٢٣١ . Lilie, Reaktion, p. 24.

(١٤٣) انظر من غارات الخزر على أذربيجان وأرمينية :
خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، جـ ١ ، ص ٤٢٦ ، و٤٨٠ ؛
اليعقوبي : تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣١٥ ؛ الطبري ، الأمم ، جـ ٧ ، ص ٢١ ، وانظر أيضا :

(١٤٤) Laurent, Arménie, p. 242; Canard, Arm. Califate, p. 392, Ostrogorsky, Hist. Byz. St., p. 139.
فتحي عثمان : الحدود ، جـ ١ ، ص ٣٦٩ .

الحرب والدبلوماسية لتحقيق أغراضه . فقوى التحالف مع مملكة الخزر بزواج ابنه وخليفته قسطنطين الخامس من ابنة خان الخزر سنة ٧٢٣ م/ ١١٥ هـ(١٤٥) . ولقد أدى التهديد المستمر من جانب الخزر حلفاء الامبراطورية البيزنطية الى أن تصبح أرمينية هدفا استراتيجيا للمسلمين كدولة حاجزة أكثر منها كإقليم تابع لهم(١٤٦) . وفي ظل هذه الظروف كثرت الفتن في أرمينية(١٤٧) . وتأييداً للفريق الموالي للمسلمين كان الأمويون لا ينقطعون عن الانفاق سنويا على جيش أرمينية للمشاركة في حماية الاقليم ضد الخزر أو البيزنطيين(١٤٨) .

وكان على المسلمين ألا يتركوا الفرصة سانحة للبيزنطيين لاستثمار مشكلاتهم الداخلية بانتهاج سياسة توسعية مضادة لهم في أرمينية . لهذا عملوا على إقلاق راحة بيزنطة بتعرضهم لثيم الأرمنياق المجاور لهم ، لأنه يعتبر القاعدة البيزنطية القريبة منهم ، والتي يمكن أن تشكل خطورة كبيرة لأي تحرك قادم من الشرق(١٤٩) . واستمر المسلمون على هذه السياسة نفسها في عهد يزيد بن عبدالملك . وكانوا يقومون بمراقبة الأمور في أرمينية بحذر وتيقظ كاملين(١٥٠) .

هذا ـ وقد كانت سياسة بيزنطة البارعة في مواجهة المسلمين هي اتخاذ الخزر كحلفاء أقوياء لها ، ينقضون على ظهور المسلمين ، ويستنفذون كل طاقة عسكرية إسلامية قابلة للانطلاق إلى آسيا الصغرى . كما جعلت من أرمينية ميدانا لذلك الصراع بعيدا عن قلب آسيا الصغرى(١٥١) .

ويتميز عهد هشام بن عبد الملك بعنف الصراع الأموي الخزري . وقد دفعت

(١٤٥) Ghevond, Guerres, p. 17; Ostrogorsky, Hist. Byz. St. p. 139.

(١٤٦) قامت سياسة معاوية على احاطة بيزنطة بالنفوذ الاسلامي عن طريق عقد العهود والاحلاف بالدول المحيطة بها ، انظر للمزيد حول هذا الموضوع : فتحي عثمان : الحدود ، جـ ١ ص ٣٧٠ وكذلك :
Laurent, Arménie, p. 214; Pardemadjian, Histoire, p. 129; Toumanoff, Arm. Geor, p. 606; Morgan, Peup., p. 125.

(١٤٧) Canard, Arm. Califate, p. 392.

(١٤٨) Grousset, l'Arménie, p. 317, Laurent, Arménie, p. 104.

(١٤٩) عن الثيمات البيزنطية ، نشأتها وتطورها انظر :
فتحي عثمان : الحدود ، جـ ١ من ص ٩٦ الى ١١٣ .

(١٥٠) فتحي عثمان : الحدود ، جـ ١ ، ص ٣٦٦ .

(١٥١) وسام عبد العزيز : العلاقات ، ص ١٠٦ ، الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ١٢٧ .

أرمينية ثمنا باهظا لهذا الصراع ، حيث كانت المعارك تدور فوق أرضها[152].

وحين ولى هشام مروان بن محمد ولاية أرمينية وأذربيجان ، استطاع مروان أن يحقق انتصارات هامة على الخزر[153] ، عكست عبقرية عسكرية لهذا القائد . ولقد أدت انتصارات مروان بن محمد هذه الى اصابة الخزر بالشلل لفترة غير قصيرة ، كما أنها أعادت الهيبة للنفوذ الأموي في أرمينية وأذربيجان .

لقد اتبع مروان بن محمد سياسة سلمية لاجتذاب الأرمن ، فعين آشوط بن فاساك البقراطوني قائدا للجيوش الأرمينية ، ومنحه لقب بطريق ، وغمره بالهدايا بمباركة الخليفة هشام بن عبدالملك[154] . إلا أن سياسة استقطاب بعض الأمراء الأرمن من جانب الحكومة الاسلامية في دمشق ، أثارت حفيظة بقية الأمراء الأرمن ، وخاصة من أسرة الماميكونيان ، فأظهروا العداء لأشوط وعملوا على اثارة الفتن ضده ، مما اضطر مروان بن محمد الى القبض على هؤلاء الأمراء وتغييهم[155] .

وتروي الروايات أن أشواط البقراطوني قام بزيارة الخليفة بدمشق ، وكان هدفه من رحلته هذه وضع حد للظلم الذي يتعرض له الأرمن على يد الولاة المسلمين ، والحصول على مبالغ لدفع مستحقات الجند الأرمن المتأخرة منذ ٣ سنوات ، ويبدو أن الرحلة حققت أهدافها[156] . هذا من جانب ، ومن جانب آخر ـ كان لها أثر ايجابي ، حيث شارك الأمير الأرمني وجيشه مع الأمويين في حملاتهم ضد الخزر ، وساهموا بالذات في تلك الانتصارات الكبيرة التي حققها مروان بن محمد على الخزر[157] .

---

(١٥٢) عن الصراع العربي الخزري انظر : خليفة بن خياط : تاريخ بن خياط ، جـ ٢ ص ٧٦ ، ٧٧ ؛ اليعقوبي : تاريخ ، جـ ٢ ص ١٩٨ ، ٣٢٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ؛ الذهبي : تاريخ الاسلام ، جـ ١ ، ص ٧٦ ، ٧٧ ؛ الكتبي : عيون ، جـ ٥ ورقة ١٤ و٢٢ ؛ ابن العماد : شذرات ، جـ ١ ، ص ١١٤ وص .

(١٥٣) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، ، جـ ٢ ، ص ٥١٣ ، ٥١٧ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٠٩ ؛ الطبري : الأمم ، جـ ٧ ص ٩٩ ، ١٦٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢١٥ ، ٢٣٤ ، ٢٤٥ ؛ الكتبي : عيون ، جـ ٥ ورقة ٢٤ ؛ العيني : عقد الجمان ، جـ ٩ ورقة ١٦٤ و١٦٧ . وانظر كذلك :
Grousset, l'Arménie, p. 317.

(١٥٤) Ghevond, Guerres, p. 110; Grousset, l'Arménie, p. 316.

(١٥٥)

(١٥٦) Ghevond, Guerres, p. 111; Grousset, l'Arménie, p. 317.

(١٥٧) Ghevond, Guerres, p. 112; Grousset, l'Arménie, p. 317.

ويمكن القول إنّ ولاية مروان بن محمد على أرمينية وأذربيجان تميزت بحرص هذا الوالي على تحقيق السلام بين الشعب الأرمني والقضاء على أعمال العنف والتخريب . إلا أن الاضطرابات سرعان ما سادت أرمينية من جديد بعد وفاة هشام بن عبدالملك الذي يعتبر آخر الخلفاء الأمويين العظام ، واستغلت بيزنطة هذه الاضطرابات في عهد الامبراطور قسطنطين الخامس Costantine V (٧٤١ - ٧٧٥ م/ ١٢٤ - ١٥٩ هـ) ، واستثمرتها لتزيد من حجم المشكلات والفتن التي واجهت حكومة دمشق في أيامها الأخيرة . واستطاع اثنان من أبناء أسرة آل ماميكونيان العودة إلى أرمينية من النفي وتزعما الثورة ضد المسلمين[158] .

ويبدو أن الاضطرابات التي اندلعت في أواخر أيام الدولة الأموية لم تقتصر على أرمينية فحسب ، بل شملت العديد من أقاليم الخلافة ، وأخذت الدعوة العباسية تقوى وتشتد ، وأخذت الأرض تميد تحت أقدام بني أمية حتى سقطت في النهاية حكومة دمشق على يد العباسيين الذين نقلوا عاصمة الخلافة بعيدا إلى المشرق ، وأصبحت بغداد لا دمشق هي مركز الثقل في العالم الاسلامي والخلافة الاسلامية .

---

(١٥٨) Ghevond, Guerres, p. 117; Grousset, l'Arménie, p. 317.

ويذكر جيوفند أن أشوط بقراطوني قد انساق في بداية الأمر مع تيار هذه الثورة إلا أنه تراجع عن تأييده لزعمائها من أسرة آل ماميكونيان ، فتعقبه أحدهم وهو جريجور Grigor وسمل عينيه . أنظر :
Ghevond, Guerres, p. 120; Ghazarian, Arabischen, p. 47.

الفصل الثالث

أرمينية بين الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية

(٧٥٠ - ٨٨٤م/ ١٣٢ - ٢٧١ هـ)

أدى انتصار الثورة العباسية ، وسقوط الدولة الأموية إلى انتقال مركز الخلافة من دمشق إلى بغداد ، وصاحب هذا الحدث تغير في سياسة الدولة الاسلامية ، وانتقال مركز الثقل في سياستها تجاه المشرق . فالدولة الأموية كانت وجهتها غربية شمالية ولها اهتمامات بحرية ، وكانت حروبها ضد الدولة البيزنطية تأتي في المقام الأول ، أما الدولة العباسية فقد قامت على أيدي الفرس ، واستمدت أسباب قوتها من العناصر الفارسية في الأقاليم الشرقية للخلافة .

وقد تأثرت العلاقات الاسلامية البيزنطية بانتقال مركز الخلافة من دمشق إلى بغداد ، فبُعد بغداد عن آسيا الصغرى كان له آثاره في المدى البعيد بالنسبة للقتال ضد البيزنطيين .

والسؤال هنا : هل تأثرت أرمينية بانتقال مركز الخلافة هذا ؟ يبدو أن انتقال مركز الخلافة من دمشق بعيدا إلى بغداد لم يؤ د إلى فقدان الدولة الاسلامية اهتمامها بأرمينية ، وذلك لمتاخمتها شمال العراق أي إقليم الجزيرة . فقد اهتم العباسيون منذ البداية بأرمينية ، إذ عهد أبو العباس السفاح أول خلفائهم (١٣٢ - ١٣٦هـ/ ٧٥٠ - ٧٥٤م) إلى شقيقه أبي جعفر المنصور بإدارة الجزيرة وأرمينية واذربيجان فلم يزل على ذلك حتى استخلف[١] . ويشير اليعقوبي إلى أن أبا جعفر كلف يزيد بن أسيد السلمي - نيابة عنه - بحكم أرمينية[٢] . ويذكر جيوفند أن أبا جعفر المنصور ذهب بنفسه إلى أرمينية كحاكم عليها[٣] .

كانت الخلافة العباسية ، في ذلك الوقت في دور النشأة وهي في هذا الدور اتبعت سياسة الحزم في تثبيت أقدامها ، لهذا لجأت إلى سياسة الادارة المباشرة في أرمينية ، والتي اتسمت بالعنف والقسوة ، وقمع أي تحرك للأرمن بمنتهى الشدة[٤] . هذا بالاضافة إلى التشدد في جمع الضرائب وأخذها بالقوة من الأرمن ،

---

(١) الطبرى : الأمم ، جـ ٧ ، ص ٤٤٧ .
(٢) اليعقوبي : تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٥٨ .
(٣) Ghevond, Guerres, p. 124.
(٤) Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 162, Issaverdens , Hist. Arménie, p. 143, Ghazarian, Arabischen, p. 65.

خاصة في عهد الوالي يزيد بن أسيد السلمي[٥] .

ومهما كان الأمر ، فقد أدى تعنت بعض جامعي الضرائب من العباسيين مع الأرمن إلى هجرتهم نحو الدولة البيزنطية[٦] . ومنح الامبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١ - ٧٧٥م/ ١٢٤ - ١٥٩هـ) هؤلاء المهاجرين ملجأ ومأوى[٧] . ولقد تجددت هذه الهجرات باتجاه بيزنطة ، وزادت من العنصر الأرمني فيها ، وهو أمر ترتبت عليه نتائج هامة بالنسبة للعلاقات الأرمينية البيزنطية الاسلامية كما سيتضح فيما بعد .

كانت أسرتا بقراط ومامیكونيان هما أهم الأسر الأرمينية التي قامت بدور كبير على مسرح السياسة حتى ذلك الوقت ، فقد كانت أسرة بقراط في تحالف تقليدي مع الأمويين ، لدرجة أن آشوط بقراطوني ساند مروان بن محمد بفرقة من اتباعه بلغ تعدادها ١٥ ألف فارس ، وكان هو على رأسها في أثناء اندلاع الثورة الأهلية في أواخر أيام الدولة الأموية[٨] .

أما أسرة ماميكونيان ، فكانت في تحالف تقليدي مع البيزنطيين[٩] . وعلى الرغم من أن العباسيين عملوا على الحط من شأن أسرة بقراط[١٠] ، لصداقتهم للأمويين ، لم يتمكن آل ماميكونيان من الاستفادة من أفول نجم البيت المنافس

(٥) من المؤكد أن المؤرخين الأرمن بالغوا في وصف مغالاة العباسيين في عهد المنصور وغيره في أخذ الضرائب من الأرمن ، واضطهادهم لمن لا يدفع منهم بل ذهبوا إلى القول إن المنصور أمر بختم علامة من الرصاص على رقبة كل من لا يدفع ما عليه منهم ، وأنه أمر بأخذها حتى على الموتى . ويرى لوران أن الأرمن لا يطيقون أي ضغط عليهم ، وأن العرب في كثير من الأحيان كانوا لا يجمعون الضرائب بأنفسهم من الأرمن مباشرة ، بل يكلفون أحد أمرائهم بهذه المهمة ، وكان هؤلاء يتهربون من دفع ما جمعوه إلى العرب ، ويرى أيضا أن الخلفاء كانوا لا يعلمون شيئا عن تصرفات موظفيهم من جامعي الضرائب القاسية تجاه الأرمن . انظر :
Ghevond, Guerres, pp. 30-31; Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 162.
وانظر كذلك : Laurent, Arménie, p. 207.

(٦) Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 162, Grousset l'Arménie, p. 338, Charanis, Arm, Byz. Emp., p. 13; Nersessian Arm. Byz. p. 289.

(٧) Ghevond, Guerres, p. 129; Charanis, Arm, Byz. Emp., p. 13.

(٨) Ghevond, Guerres, pp. 116-117; Laurent, Arménie, p. 127, Ghazarian, Arabischen, p. 46-47. Grousset, l'Arménie, p. 318.

(٩) Grousset, l'Arménie, p. 320; Laurent, Arménie, p. 127, Ghazarian, Arabischen, p. 46. Ghevond, Guerres, pp. 116-117

(١٠) ومن جراء تلك السياسة تجاه البقراطيين ، فقد هؤلاء عدة أقاليم - منها طايك وداريونيك وفاسبوراكان وخلاط وما يحيط بها ، انظر :
Ghevond, Guerres, p. 128; Grousset, l'Arménie, p. 320; Laurent, Arménie, p.128.

لهم ، وذلك لاتخاذهم على الدوام اتجاه التمرد على السيادة العربية[١١] ، حيث لم يتمكنوا من السيطرة إلا على جزء صغير من ممتلكات تلك الأسرة ، وهو إقليم طايك ، ويقع بجوار الحدود البيزنطية[١٢] . أما أهم ممتلكات البقراطيين ألا وهو إقليم فاسبورا كان فقد انتقلت السيادة عليه إلى أسرة إقطاعية أخرى وهي أسرة آل أردزروني تلك التي أخذت تشيد إمارة قوية لها في هذا الاقليم الذي يقع في الجنوب الشرقي من أرمينية[١٣] . وعانى البقراطيون والماميكيانيون من غضب الخليفة العباسي في البداية ، وفي أثناء قيام العباسيين بفرض سيطرتهم الكاملة على أرمينية[١٤] .

لم تقل أهمية أرمينية بتولي العباسيين مقاليد الحكم ، بل زادت في نظرهم ، حيث تولى أبو جعفر المنصور وهو ولي العهد الاشراف على أرمينية ، وكان يساعده في هذا كل من عبدالله بن محمد ، وصالح بن صبيح الكندي ، ومحمد بن صول[١٥] ، وفي خلافة المنصور نفسه تولى أرمينية عدة ولاة منهم يزيد بن أسيد السلمي ١٤٨هـ/٧٦٥م ، وبكار بن مسلم العقيلي ١٥٣هـ/٧٧٠م ، والحسن بن قحطبة الطائي ١٣٦هـ/٧٥٣م[١٦] . واشتهر هؤلاء الولاة بالقسوة والتشدد مع الأرمن ، بسبب محاولة العباسيين فرض نظام حكم مركزي على أرمينية على الرغم من طبيعة هذا الاقليم الجغرافية ، ونظامه الاقطاعي . وكان من الطبيعي أن تثير هذه السياسة حفيظة الأرمن الذين قبلوا الحكم الاسلامي في البداية على أساس أن يتمتعوا بنوع من الاستقلال الذاتي[١٧] .

لقد فضل الخلفاء العباسيون الأوائل استعمال القوة في فرض نظام حكم مركزي على أرمينية كما ذكرنا ، متناسين ظروفها الخاصة ونزعتها المحلية الانفصالية ، وطبيعة موقعها بينهم وبين الامبراطورية البيزنطية . وأدى هذا بالطبع

(١١) Ghevond, Guerres, p. 119; Marquart, Osteupaische p. 38, 450.

(١٢) Ghevond, Guerres, p. 119; Laurent, Arménie, p.128; Grousset, l'Armenie, p. 321.

(١٣) Cont. Thom. Ardz. p. 707; Toumanoff, Arm. Geor, p. 607.

(١٤) Grousset, l'Arménie, p. 321; Ghazarian Arabischen, p. 49.

(١٥) اليعقوبي : تاريخ : جـ ٢ ، ص ٣٥٨ ، البلاذرى فتوح البلدان ، ص ٢١١ - ٢١٢ ؛ الطبرى : الأمم ، جـ ٧ ، ص ٤٥٨ و ٤٦٠ . كذلك انظر : Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 162. Ghazarian Arabischen, p. 40.

(١٦) Ghevond, Guerres, p. 125; Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 162.

(١٧) Nersessian, Etudes, p. 298; Ghazarian, Arabischen, p. 58.

إلى رد الفعل الأرميني متمثلا في ثورات الأرمن ضد العباسيين[١٨] . هذا ، وإذا نظرنا إلى وضع البيوتات الاقطاعية في أرمينية في فترة حكم خلفاء بني العباس الأوائل ، نلاحظ أنه في عهد الخليفة المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٤ ـ ٧٧٥م) بدأ نجم أسرة أردزروني يتألق ، حيث استطاعت الاستيلاء على إقليم فاسبورا كان في جنوب شرق أرمينية من أسرة بقراط[١٩] .

وكان الصراع بين البيوتات الاقطاعية من العوامل التي استغلتها الادارة الاسلامية لاحكام سيطرتها على ارمينية ، وحاولت استثمار ذلك بقدر استطاعتها . ووضح ذلك جليا في عهد ولاية صالح بن صبيح الكندي ، وكان الأمر لا يخلو من مقاومة بعض أمراء الأرمن لعمليات الادارة الاسلامية ، ومن هؤلاء جاجيك أردزروني أمير فاسبوراكان[٢٠] . ومن بعده أبناؤه الذين استمروا في توسيع ممتلكات هذه الأسرة التي اتسعت اتساعا كبيرا ، وامتدت حول بحيرة فان وأورميه[٢١] .

وعلى الرغم من استرداد الأردزرونيين لفاسبوراكان بعد وقوع جاجيك أميرهم الكبير في أيدي العباسيين ، استمرت الادارة العباسية في سياستها التعسفية تجاه الأرمن ، وخاصة فيما يتعلق بعملية جمع الضرائب[٢٢] . وحاول ممثلو الشعب الأرميني ، وهم ساهاك بقراطوني والبطريرك تريدات الأول Tredat I ، الحصول على موافقة أبي جعفر المنصور على تغيير واليه يزيد بن أسيد السلمى ، الذي كان سببا في الاضطهاد والتعسف في أثناء أخذه الضرائب من الأرمن[٢٣] .

لم يتردد أبوجعفر المنصور في قبول رجاء الأرمن بتغيير واليه يزيد بن أسيد ، وذلك درءا للتمرد العام الذي أخذ يلوح بقوة بين صفوف الأرمن . ولم يجد ذلك التغيير شيئا ، إذ لم يفعل الولاة الذين جاءوا بعد يزيد ما يهدىء الأمور ، بل زاد الطين بلة خلال ولاية الحسن بن قحطبة الطائى الذي أتى إلى أرمينية بصحبة قوة من

---

(١٨) Ghevond, Guerres, p. 133; Laurent, Arménie, pp.91-93; Nersessian, Études, p. 298.

(١٩) Cont. Thom. Ardz, p. 209; Ghevond, Guerres, p. 130; Honigmann, Ostgrenze, p. 29, Grousset, l'Arménie, p. 322.

(٢٠) Ghevond, Guerres, p. 129, Asolik, Univ. (Dulaurier) p.162; Ghazarian, Arabischen, p. 48.

(٢١) Ghevond, Guerres, pp. 129-130; Marquart, Südermenien, p. 510; Toumanoff, Arm. Geor, p. 608; Grousset, l'Arménie, p. 341.

(٢٢) Ghevond, Guerres, pp. 130-131, Asolik, Univ. (Dulaurier) p.162; Ghazarian, Arabischen, p.48

(٢٣) Ghevond, Guerres, p. 131, Issaverdens, Hist. Armenie, p. 145, Grousset, l'Arménie, p. 324.

فرسان خراسان تميزت بالعنف والقسوة[٢٤] .

هكذا تجمعت أسباب الثورة لدى الأرمن ، فاندلعت ثورة سنة ١٥٥/٧٧١م بزعامة ارتفازد ماميكونيان Artavazd Mamikonian ، وهو أحد أمراء هذه الأسرة الذين فروا من قبل إلى أيبيريا أمام وجه ولاة العباسيين المتشددين[٢٥] . ولم تأت هذه الثورة بأية نتائج إيجابية للأرمن ، بل كانت نكبة عليهم ، إذ أثارت غضب المسلمين واستغلها الوالى ابن قحطبة ذريعة لفرض ضرائب جديدة على البلاد[٢٦] .

فكان رد فعل الأرمن هو القيام بثورة أخرى بزعامة فرد آخر من أسرة ماميكونيان هو موشيل Mushal الذي طارده المسلمون ، فاتخذ حرب العصابات أسلوبا له في مقاومة العرب[٢٦] . وسببت ثورته للمسلمين مشكلات كثيرة ، خاصة بعد انتصاره على قوة عربية في أرجيش Ardjech ، مما جعل ثورته تستشرى في كل أرجاء أرمينية ، حتى غدت دوين مقر الوالي العباسي في وسط محيط من المدن الأرمينية المناصرة للثورة . ولم تجرؤ حاميتها العربية على الخروج منها لذلك[٢٧] .

وأدى نجاح موشيل ضد المسلمين في بداية ثورته ، إلى ازدياد اضطرام نيران الثورة ضد الحكم الاسلامي ، خاصة بعد أن تطلع الأرمن نحو بيزنطة آملين الحصول على عون منها للتخلص من السيادة الاسلامية على بلادهم[٢٨] .

ويعدّ الأمير أشوط بقراطوني أحد الأمراء الأرمن القلائل الذين رفضوا الانضمام إلى هذه الثورة ، وأخذ ينصح زعماءها بعدم جدوى القيام بها والاذعان للمسلمين ، مشككا في نية الامبراطور البيزنطي بتقديم أي عون لهم . ويوضح جيفوند الذي امتدح حكمة أشوط أسباب عدم مساندة الامبراطور البيزنطي

---

(٢٤) Ghevond, Guerres, p. 132, Vardan, La Domination, p. 107; Ghazarian, Arabischen, pp. 48-49.

(٢٥) Ghevond, Guerres, pp. 132-133; Canard, Arm. Califate, p. 344; Issaverdens, Hist. Armenie, p.145.

(٢٦) Vardan, La Domination, p. 106; Laurent, Arménie, p. 128, Grousset, l'Arménie, p. 325.

(٢٦) Vardan, La Domination, p. 106; Laurent, Arménie, p. 128, Grousset, l'Arménie, p. 325.

(٢٧) Ghevond, Guerres, pp. 135-136, Gatteyrias, Arm. Armeniens, p. 92; Pasdermadjian., Histoire, p. 130; Canard, Arm Califate, p. 344.

(٢٨) Ghevond, Guerres, p. 138; Toumanoff; Arm Geor, p. 608.

قسطنطين الخامس ، بأنه يخشى الدخول في صراع جديد مع المسلمين(٢٩) . وفي واقع الأمر ، كان الامبراطور البيزنطي منهمكا في حرب طويلة ضد البلغار في عام ٧٧٢م/١٥٦هـ(٣٠) . وكانت نصيحة أشوط للأرمن تتلخص في الكلمات التالية التي سجلها لنا المؤرخ الأرميني جيوفند : « إن لم تتصالحوا مع المسلمين فستضطرون إلى اللجوء إلى الامبراطورية البيزنطية ، ومعكم أسركم كافة ، فتعيشون هناك حياة الغرباء ، تاركين ممتلكاتكم ، وحقولكم التي ورثتموها عن أجدادكم ، بل وستتركون قبور آبائكم ، وينتهى بكم الأمر إلى السقوط في أيدي مضطهديكم ، وان عاجلا أو آجلا فيسومونكم عذابا وتنكيلا ، وأنا أعرف سيد العرب قبل أن ينفذ إرادته »(٣١) .

لم تلق هذه النصيحة الحكيمة آذانا صاغية لدي السادة الاقطاعيين الأرمن ، بل شككوا في إخلاص أشوط نفسه للثورة ولقوميته الأرمينية . والجدير بالذكر أن الأرمن ـ على الرغم من أن الثورة جمعت بينهم ـ إلا أن الخلاف لم يفارقهم ، فآل أردزروني الذين كانوا أول المتحمسين للثورة ضد المسلمين ، ظلوا بمنأى عن الانضمام بفرقهم إلى القوات المتحالفة ، وفضلوا المكوث في حصونهم ، وانتظار ما تسفر عنه نتائج ذلك التمرد(٣٢) . كما تحصن بعض الاقطاعيين التابعين لهم في قلاعهم الجبلية . وبالاضافة إلى هؤلاء ، لم يشارك أيضا أمراء آخرون مثل آل أماتوني Amatuni وتيروني Terouni بقواتهم مع الثوار(٣٣) . ويمكن تفسير موقف الأردزرونيين بعدم انضمامهم إلى الثورة الأرمينية أنهم كانوا يريدون قتال العرب ، ولكن ضمن نطاق مقاطعتهم لمنفعتهم الشخصية .

على أية حال ، أمام هذه الثورة الأرمينية الشاملة ، أخذت الحامية العربية في دويـن بعد أن وصلتها الإمدادات اللازمة ـ تقوم بإغارات متتالية ضد الأرمن

(٢٩) هناك أشوط بقراطوني آخر رفض أيضا الثورة ضد الأمويين في عهد مروان بن محمد . انظر الفصل الثاني من الكتاب ، ص ٨٤ . وانظر ايضا :
Ghevond, Guerres, p. 132; Ghazarian, Arabischen, p. 49.

(٣٠) Theophane Continue, p. 447-448.

(٣١) Ghevond, Guerres, pp. 138-139.

(٣٢) Ghevond, Guerres, p. 139; Canard, Arm. Califate, p. 394; Toumanoff, Arm. Geor., p. 608.

(٣٣) Ghevond, Guerres, p. 139; Grousset, l'Arménie, p. 327.

الثائرين ، ويعدد جيفوند المذابح التي ارتكبتها هذه الحامية ، في القرى الأرمينية المجاورة لدوين بقوله : « كل القوى التي حاولت الوقوف في وجه العرب وسيادتهم تم كسرها كأواني الفخار ، وأصبحت أرمينية مغمورة في العذاب والأسى والأنين الشديد »(٣٤) وعلى الرغم من الدور الذي قامت به حامية دوين الاسلامية ، إلا أنها لم تستطع القضاء تماما على روح التمرد الذي سرى كالتيار الجارف في صفوف الأرمن . لهذا قرر الخليفة المنصور في ربيع سنة ١٥٦هـ/ ٧٧٢م سحق هذا التمرد تماما ، فأرسل جيشا من ٣٠ ألف مقاتل ضم أفضل كتائب خراسان وأحسن تجهيزه ، وأناط قيادته الى قائده المشهور عامر بن اسماعيل(٣٥) .

هذا ، ولم يتخل أمراء الأرمن وزعماء ثورتهم عن تمردهم على الرغم من سماعهم بالأنباء الأولى عن وصول هذا الجيش الكبير ضدهم . وحاول أشوط بقراطوني أن يقنع أولئك الأمراء بتوحيد قواتهم وجمعها في مكان واحد حتى يستطيعوا ملاقاة ذلك الجيش ، وهم على درجة من القوة تمكنهم من قهره ، لكن محاولاته الكثيرة ذهبت أدراج الرياح وفضلوا الحرب منفردين(٣٦) .

ولما كان أمراء اردزروني يفضلون لقاء المسلمين وحدهم ، معتمدين على مساعدة أتباعهم المقربين فقط مثل ، آل أماتوني وغيرهم ، فقد تحركوا لمهاجمة مدينة أرجيش التي تقع على الساحل الشمالي الشرقي لبحيرة فان ، ولكنهم وقبل الوصول اليها فضلوا انتظار بقية الفرق الأرمينية . ولكن تغلبت نزعة الانفرادية لديهم ، فواصلوا الطريق الى أرجيش ، وهناك هاجمتهم على حين غرة منهم ، قوة عباسية كبيرة استطاعت ان توقع بهم هزيمة شديدة في ١٥ ابريل ٧٧٥م/ ٢٠ جمادى الآخرة ١٥٩هـ(٣٧) . وفي ذات الوقت ، كان الأرمن الثائرون في الشمال يحاصرون مدينة

(٣٤) Ghevond, Guerres, p. 140; Catholicos, Hist. Arménie, p.95, Grousset, l'Arménie, p. 328.
عن أسماء القرى التي جرت فيها هذه المذابح انظر : Samuel d'Ani (Brousset), II. pp. 416-417.

(٣٥) يسمى جيوفند هذا القائد بـ « عمرو » ولقد ذكر البلاذري هذه الثورة مشيرا الى أنها حدثت في ولاية الحسن بن قحطبة ، وأنها كانت بقيادة ميخائيل ماميكونيان ، ويسميه موشائيل الأرمني » . أنظر
Ghevond, Guerres, p. 140.
والبلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢١٢ .

(٣٦) Ghevond, Guerres, p. 141; Grousset, l'Arménie, p. 328.

(٣٧) ثار خلاف بين المؤرخين حول التاريخ الذي حدثت فيه هذه المعركة ومعركة بجريفاند التي تلتها بخمسة عشر يوما فقط ، فذهب بعضهم الى أنها وقعت في ١٥ ابريل٧٧٢م/١٧جمادي الأولى ١٥٦هـ ، ومن هؤلاء جروسيه وتومانوف ، أما الفريق الآخر ، فيرى أنها حدثت في ١٥ ابريل سنة ٧٧٥م/٢٠ جمادى الآخرة

ارزن الروم التي تقع في غرب أرمينية ، وكادت هذه المدينة تسقط في أيديهم لولا وصول أنباء هزيمة اخوانهم في ارجيش[٣٨] ، مما أدى الى رفع الروح المعنوية للمحاصرين والى رفع الثوار الحصار عن المدينة والتوجه لمقابلة الجيش العباسي الذي كان قد وصل الى بجريفاند Bagrevand . وفي ٢٥ ابريل عام ٧٧٥م/١ رجب ١٥٩هـ حقق العباسيون نصرا حاسما على الثوار الأرمن الذين قاتلوا ببسالة وراح منهم عدد كبير ، وكان بين القتلى القائد العام للأرمن سمباد بقراطوني[٣٩] ، وموشيل ماميكونيان ، وبلغ عدد قتلى الأرمن حوالي ٣ آلاف رجل[٤٠] .

كان لمعركة بجريفاند التي أعقبت معركة أرجيش مباشرة ، نتائج على جانب كبير من الأهمية ، فقد أدى انتصار العباسيين الى خضوع معظم أرمينية لهم دون مقاومة ، كما أدى الى زيادة اضطهاد العباسيين للأرمن انتقاما منهم على تمردهم ، ولم يسلم من هذا الاضطهاد رجال الدين لأنهم كانوا أهم العناصر المحرضة على ذلك التمرد[٤١] ، كما هدمت كثير من القلاع والحصون ، وكانت هذه من أهم معاقل الثورة والتمرد للأمراء الأرمن ضد الحكم العربي . وأتاح هذا الانتصار ايضا للادارة العباسية أن تقيم حاميات قوية متفرقة في وسط أرمينية[٤٢] .

١٥٩هـ . ومن هؤلاء ، كانار ، وغازريان ، ولوران ، والباحث يؤيد ما ذهب اليه الفريق الثاني ، وذلك لاشارة البلاذري الى هذه الثورة ولذكره انها حدثت في ولاية الحسن بن قحطبة وأنها كانت بقيادة موشيل ماميكونيان ، وأننا نعرف أن موشيل هذا عاصر الحسن بن قحطبة في ولايته الأخيرة وكانت في ١٥٧ ـ ١٥٩هـ/ ٧٧٣ـ ٧٧٥م ، لهذا فالاحتمال الأرجح أنها حدثت في ١٥ ابريل ٧٧٥م/٢٠ جمادى الآخرة ١٥٩هـ .

انظر : Ghevond, Guerres, pp. 141-142; Grousset, l'Armćnie, p. 329; Toumanoff, Arm. Geor., p. 608, Canard, Arm. Califate, p. 394, Ghazarian, Arabischen, p. 49.

انظر البلاذري في اشارته لذكر هذه المعركة : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢١٢ .

(٣٨) Ghevond, Guerres, p. 143; Ghazarian, Arabischen, p. 49.

(٣٩) كان سمباد بقراطوني يعارض القيام بالثورة ضد المسلمين ، وتردد كثيرا قبل الاشتراك فيها ولكن كان هناك ناسك قام بدور كبير في اقناعه بالانضمام للثوار ونحن نعرف أنه ومعظم أمراء أسرته كانوا من المؤيدين المخلصين للمسلمين .

انظر : Ghevond, Guerres, pp. 136-137; Grousset, l'Arménie, p. 326.

(٤٠) Ghevond, Guerres, p. 146; Marquart, Osteuropäishe, p. 37; Daghbaschean, Bragratidenreiches, p. 58.

(٤١) Ghevond, Guerres, pp. 145; Grousset, l'Arménie, p. 329; Ghazarian, Arabischen, p. 49.

(٤٢) يرى تومانوف أن من نتائج هذه المعركة ان الخليفة العباسي حكم أرمينية مباشرة بولاته ولم يعين أحدا من الأرمن كأمير للأمراء كما هي العادة . انظر : Toumanoff, Arm. Geor., p. 608-609.

أما أهم نتائج تلك المعركة - فهي ما انعكس على تغير وضع العائلات الأرمينية الكبيرة فقد أعادت مسألة تفوق آل بقراطوني لبعض الوقت ، على الرغم من مشاركة عدد من أفرادها في الثورة الأخيرة بهدف استرداد فاسبورا كان من الأردزرونيين وخلاط من المسلمين كما يعتقد لوران[٤٣] . ورغم مقتل رأس هذه الأسرة سمباد في ميدان المعركة ، إلا أنها صمدت لكارثة بجريفاند ، وإن أرغمت على التخلي عن مشروعاتها في شرق أرمينية ، وفي الفاسبوراكان ، والاتجاه إلى ضياعها القريبة من الحدود البيزنطية بالقرب من منابع نهر الرس[٤٤] .

قام أشوط مساكر بن سمباد بقراطوني ، باتخاذ قلعة بجران Bagaran ، الواقعة في مقاطعة أرارات Ararat على الضفة الغربية لنهر أخوريان Akhuren ، عاصمة له[٤٥] .

ويلاحظ أن فاساك بقراطوني الأخ الأصغر لسمباد وأمير طارون ، قد ترك إمارته بعد بجريفاند ، وذهب إلى حدود أرمينية الشمالية الغربية المجاورة للإمبراطورية البيزنطية ، مثل ابن أخيه أشوط مساكر[٤٦] ، وهكذا يمكن القول إنّ من نتائج معركة بجريفاند غير المباشرة ، دفع أسرة بقراط إلى شمال غرب أرمينية ، مما سترتب عليه آثار هامة في المستقبل بخصوص علاقات هذا الفرع من الأسرة ببيزنطة .

واذا كان البقراطيون قد لحق بهم ضرر بليغ لبعض الوقت ، فان الأمر كان أكثر سوءا لمنافسيهم القدماء - آل ماميكونيان - الذين انتهوا كأسرة قوية مؤثرة في مجرى الأحداث الهامة في أرمينية في أعقاب كارثة بجريفاند . فهم قد فقدوا نهائيا ضيعتهم الكبرى في طارون ، والتي كانت قلعتهم المنيعة[٤٧] . وكذلك كان قتل زعيمهم الكبير موشيل في ميدان المعركة ثم قتل ابنين له على يد الأردزرونيين بعد المعركة بحجة أن أباهم هو سبب البلاء الذي حل بالجميع[٤٨] وكان ذلك أكبر ضربة

---

(٤٣) Laurent, Arménie, p. 128.

(٤٤) Ghevond, Guerres, pp. 199; Asolik, Univ. (Dulaurie) p. 33, 77; Toumanoff, Studies, p. 324, n. 81; Laurent, Armenie, p. 131.

(٤٥) Ghevond, Guerres, p. 149; Grousset, l'Arméine, p. 330; Laurent, Arméine, p. 129.

(٤٦) Vardan, La Domination, p. 89, n. 2, Laurent, Etudes, p. 7.

(٤٧) Cont. Thom. Ardz, p. 190; Adontz, Taronites p. 545; Toumanoff, Studes, p. 324; Grousset, l'Armenie, p. 331.

(٤٨) Vardan, La Domination, p. 111; Marquart Osteuropaishe, p. 402-403.

وجهت اليهم . أما ابنة موشيل ماميكونيان فقد قبلت وهي في قمة يأسها ، الزواج من شهاب القيسي ، وهو أمير عربي[٤٩] ، وتسميه المصادر الأرمينية بجهاب . وبسبب زواجه من أميرة ماميكونيانية استطاع امتلاك أرشارونيك ، وهي مقاطعة هامة وكذلك معظم ضياع هذه الأسرة تقريبا . وذلك بحجة أنها خاصة بميراث زوجته من أبيها[٥٠] .

وهكذا ، فإن آل ماميكونيان قد منوا بأكبر خسارة دون غيرهم في ثورة سنتي ٧٧٤ - ٧٧٥م / ١٥٨ - ١٥٩هـ . وإذا كان بعض أفراد هذه الأسرة قد تمكن من الاحتفاظ ببعض الإمارات الصغيرة حتى منتصف القرن العاشر الميلادي (منتصف القرن الرابع الهجري) ، إلا أنهم ظلوا تابعين لأمراء إقطاعيين أكثر نفوذا منهم . ولم يتمكنوا أبدا من استرداد المكانة السامية التي كانت لهم من قبل في أرمينية[٥١] .

ولا شك أن آل أردزروني كانوا أقل الأسر الإقطاعية الأرمينية خسارة في أعقاب تلك الكارثة ، فإذا كان همزا سب أردزروني قد هزم في معركة أرجيش ، إلا أنه لم يشارك بعد ذلك بعشرة أيام في معركة بجريفاند ، ولم يتردد في ذبح ابني موشيل ماميكونيان[٥٢] .

وبالطبع فقد جنبهم تصرفهم هذا ، مثل مصير الأسر الإقطاعية الأخرى ، كما أن

(٤٩) استوطنت بعض البيوتات العربية في أرمينية خلال الحملات التي شنها المسلمون فيها لاقرار الأمور واخماد تمرد ثورات الأمراء الأرمن . وبعد معركة بجريفاند الشهيرة استطاع بعض زعماء هذه الأسر العربية تكوين أمرات لهم ، أهمها امارة ملاذكرد التي أسسها شهاب القيسي في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي والنصف الثاني من القرن الثالث الهجري) في اقليم اباهونيك في شمال بحيرة فان ومتخذا من مترْكرت عاصمة له وقد استولى على دوين حوالي ٨١٢م/١٩٧هـ . من قبل الخليفة العباسي الأمين آنذاك ، وتزوج من أميرة ماميكونيانية . وكان من أهم أمراء القيسيين ، هو سوادة حفيد شهاب ، والذي تزوج بدوره من أميرة من آل بقراط . ويسميه الأرمن افرنشان Avaranchann « أي البشر بأعمال النهب » ولقد تحالف هذا مع الأرمن ضد سلطة العباسيين ، هذا ويرجع المؤرخون نسب القيسين الى قبيلة قيس العربية ، وجدير بالذكر أن بعض المؤرخين الأرمن رجع نسبهم الى نسب أرمني كما ذكر يوحنا كاثوليكوس Jean Catholicos . انظر كذلك عن نسب القيسيين : ابن خلكان : وفيات ، جـ ٤ ، ص ٢٣١ .
للمزيد عن القيسيين انظر :
Laurent, Arménie, p. 197; Canart, Arm. Califate, p. 951; Nersessian, Etudes, p. 298; Grousset, l'Arménie, p. 345; Daghbaschean, Bragratidenreiches, p. 45.

(٥٠) Brosset, Histoire Georgie, II, p. 23.

(٥١) Asolik, Univ. (Macler), p. 4, Grousset l'Arménie, p. 332, Laurent, Arménie, p. 130.

(٥٢) Vardan, La Domination, p. 111; Laurent, Arménie, p. 129, Marquart, Osteuropaische, p. 403; Marquart, Südarmenien, p. 510.

السياسة الاسلامية بعد ذلك ، عوضتهم الكثير مما فقد منهم أثناء التمرد . فعندما حل السلام في ربوع أرمينية ، أصبحوا هم سادة بقية الأسر الإقطاعية الأرمينية مثل : أماتوني ورشتوني وتيروني داريونيك Darioung[٥٣] . وأصبحت ممتلكاتهم تمتد من ضفاف بحيرة فان من حدود مقاطعة أرارات وضفاف نهر الرس حتى بحيرة أورمية والزاب الكبير . ولم يكن لآل ماميكونيان أو آل بقراط شيء ضمن هذه المساحات الشاسعة ، وبذلك أصبحوا يمارسون سياسة مطلقة على جنوب شرق أرمينية بأسره[٥٤] .

أما الأسر الأرمينية الصغيرة مثل : آل جمسركان وآل جنوني ، فإن هزيمة بجريفاند قد عملت على تقلصهم . فأما بيت جمسركان ، فان قيام الأمير شهاب القيسي بالاستقرار بالقرب منه بعد زواجه من أميرة ماميكونيانية ، اضطر أفراد هذا البيت إلى بيع ضياعهم في أرشارونيك وشيراك للبقراطيين ، ومن ثم وجدوا أنفسهم مجبرين على الخضوع لحمايتهم[٥٥] . وأما بيت جنوني فقد كان أفراده يمتلكون منطقة اليوفيت Aliovit ومدينة مترْكرت ولكن بعد مقتل زعيمهم قاهان في معركة بجريفاند ، أسرعوا بترك ممتلكاتهم التي سقطت في يد شهاب القيسي الذي أسس في مترْكرت أسرة له[٥٦] .

ومهما كان الأمر ، فلم تكن تلك الثورات سوى تحركات للأسر الأرمينية الكبيرة ، التي كانت تعدّ بقوتها مصدر قوة لأرمينية نفسها ، وفي الوقت نفسه مصدر ضعف وبلاء ، بتنافسها وطموحاتها الكثيرة والكبيرة[٥٧] . ويلاحظ أن من أهم نتائج معركة بجريفاند هي اختفاء قسم من الارستقراطية الأرمينية القديمة ، واستمرار الأسر ذات السيادة والنفوذ ، ومثل ذلك البقراطيون في الشمال والأردزرونيون في الجنوب الشرقي ، بينما اختفت بقية الأسر الأخرى[٥٨] . ومن

(٥٣) Cont. Thom. Ardz, p. 209; Honigmann Ostgrenze, p. 29; Grousset l'Arménie, p. 332.

(٥٤) Nersessian, Arm. Byz., p. 8; Laurent, Arménie, p. 130.

(٥٥) Vardan La Domination, p. 111; Asolik, Univ. (Macler) pp. 76-77; Brousset, Ruines, p. 94; Thopdschian, Kirchingeschichte p. 135.

(٥٦) Ghevond, Guerres, p. 146; Vardan, La Domination, p. 111; Brosset, Historien, p. 333; Daghbas- chean, Bagratidenreiches, p. 65.

(٥٧) Vardan, La Domination, p. 143.

(٥٨) Grousset, l'Arménie, p. 33; Toumanoff, Arm. Geor, p. 609.

نتائجها أيضا تأكيد السيادة العربية في دوين ومنزكرت ، وهما مدينتان هامتان في أرمينية .

والجدير بالذكر أيضا ، أن معركة بجريفاند كانت لها نتائج غير متوقعة فقد شكلت عقبة في وجه السيادة العربية التي نهجت منذ فترة غير قصيرة على بث بذور الفرقة ، وبث روح المنافسة بين الأسر الكبيرة والصغيرة ، ولكن بعد بجريفاند اختفت معظم الأسر الصغيرة من مسرح الأحداث ، ولم تعد لها تلك الأهمية التي كانت لها في السابق ، ولهذا صعب على العرب الاستمرار في سياستهم تلك . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ظهرت أمام العرب أيضا فكرة وحدة أرمينية جزئيا ، تلك التي بدأت تسود في شمال أرمينية لصالح البيت البقراطي ، وفي جنوبها الشرقي للبيت الأردزروني ، وبالطبع كان هذا في صالح الأرمن كافة(٥٩) .

وعلى أية حال ، فلقد شدد المسلمون قبضتهم على أرمينية ، واتبعوا سياسة تأليب الأسر الكبيرة ذات السيادة بعضها على بعض(٦٠) . وأخذوا يشجعون الأسر الموالية لهم على الاستيلاء على أملاك الأسر الأخرى التي ترفض حكمهم ، وتأبى وجودهم ، وتسبب لهم مشكلات كثيرة . وما دفع العباسيين الى اتباع هذه السياسة في أرمينية إلا حرصهم على أن تظل تحت سيطرتهم بموقعها الاستراتيجي ، وثرواتها الحيوية المتعددة ، ولأهميتها الكبيرة في صراعهم التقليدي مع البيزنطيين .

وفي الواقع كانت أرمينية بحكم جغرافيتها أشبه ماتكون بقلعة كبيرة ، لهذا كانت السيطرة عليها صعبة ومكلفة(٦١) . وقد أدرك هذا العرب ، كما أدركه الفرس والبيزنطيون من قبل ، وليس هذا فحسب . بل لقد أدركوا أيضا ، أن اخضاع شعب مثل الشعب الأرميني ليس بالأمر اليسير ، وذلك لطبيعة بلاده الجبلية التي تنتشر بينها السهول العميقة فتجعل مهمة السيطرة عليها صعبة للغاية . لهذا لم يستطع المسلمون بسط نفوذهم بالكامل إلا على بعض المدن ، مثل : دوين وتفليس في حوض نهر الرس ، وسميساط في المنطقة الجنوبية ، وكارين في الفرات ، وأرزن في حوض دجلة . فضلا عن مدن شمال بحيرة فان مثل خلاط ومنزكرت أما بقية

---

(٥٩) Grousset, l'Arménie, pp. 333-334; Nersessian, Arm. Byz., p. 8.

(٦٠) Laurent, Études, pp. 8-9; Pasdermadjian, Histoire, p. 131.

(٦١) يرى باسديرمادجيان أن المسلمين كانوا لا يستطيعون اخضاع شعب أرمينية لهم تماما ، الا اذا أسقطوا مراكز صمودهم في الجبال الشاهقة الارتفاع ، وهذه تتكون من حصون وقلاع متناثرة . انظر :

Pasdermadjian, Histoire, p. 131.

أرمينية فقد استطاع الأمراء الأرمن الاحتفاظ باستقلالهم الذاتي فيها وعدم خضوعهم التام للعرب ، الا أنهم عملوا بقدر استطاعتهم على تلافي المواجهة العسكرية المباشرة مع العباسيين ، حتى لايصيبهم ما أصاب أقرانهم في معركتي أرجيش وبجريفاند في عامي ٧٧٤ - ٧٧٥م / ١٥٨ - ١٥٩(٦٢) .

غير أن ظروف أرمينية الجغرافية والبيئية التي رسخت النظام الاقطاعي فيها ، أدت إلى نمو النزاعات المحلية والفردية ، وإلى تنافس الأمراء الأرمن وحسدهم بعضهم لبعض . مما أدى إلى اختلافهم الدائم ، وهذا أعطى بدوره المسلمين فرصة كبيرة لتوسيع هوة الخلافات بينهم(٦٣) ، وكذلك فعل البيزنطيون .

وعلى هذا يمكن القول إن موقع أرمينية الجغرافي قد جعل كلا من الخلافة العباسية ، والامبراطورية البيزنطية تسعى إلى كسب ود الأسرات الأرمينية إذا أرادت أن تكسب الحرب في أرمينية . ومثال ذلك ماقام به احد أفراد أسرة بقراط في جيورجيا وهو بقراط بن أشوط الذي نقل للعباسيين معلومات دقيقة عن عدد قوات جيرانه من الأمراء وتحركاتهم العسكرية ، وقد قابل العباسيون هذا بالاستحسان وتقديم الهدايا القيمة له(٦٤) . وكذلك قام سمباد بقراطوني بهذا الدور نفسه في أثناء حملة بغا كما سنرى بعد ذلك(٦٥) .

ولكن الأرمن كانوا يخشون الخليفة أكثر من الامبراطور ، لأنه كان هو المسيطر الفعلي على بلادهم بسبب وجود الحاميات العربية المنتشرة في أنحاء أرمينية . وفضلا عن هذا وذاك فقد كان الأمراء الأرمن تراودهم مطامع الارتقاء ، فكان كل أمير منهم يتمنى أن يمنحه الخليفة رتبة أمير الأمراء . ويرى لوران ، أن أمير الأمراء الأرميني كان

---

(٦٢) Laurent, Études, p 26; Laurent, Arménie, pp. 91-92.

ويرى تومانوف أن بقاء منطقة القوقاز مستقلة ذاتيا يرجع أساسا إلى توازن القوى المختلفة الذي حرص سكانها من الأرمن وغيرهم على ايجاده بين القوتين الكبيرتين ، وهما العرب والبيزنطيون ، انظر :

Toumanoff, Arm. Geor, p. 612.

(٦٣) Grousset, l'Arménie, p. 334; Pasdermadjian, Histoire p. 131, Toumanoff, Arm. Geor., p. 131, Laurent, Études, p. 9.

(٦٤) Asolik, Univ. (Macler), p. 107; Marquart, Osteuropäishe, p. 421, Marquart, Sudarmenien, pp. 41-57, Laurent, Études, p. 27.

(٦٥) كان سمباد قد أرسل ابنه أشوط إلى الخليفة ليرشد بغا على الطرق التي سيسير عليها في حملته وأيضا لإعطائه معلومات دقيقة عن عدد قوات الثوار الأرمن وثرواتهم . أنظر :

Cont. Thom. Ardz., p. 733, Laurent, Études, p. 31.

لايستطيع ممارسة سلطاته الفعلية على مواطنيه إلا بعد اعتراف الخليفة المسلم به[٦٦].

كان الأرمن يتمتعون بوضع أهل الذمة في علاقاتهم بالخلافة، كما كانوا يتمتعون بحريتهم الدينية، ولكنهم مُنعوا من بناء كنائس جديدة[٦٧]. ولقد عاش الأرمن في ظل السيادة العباسية، وكانوا في أغلب الأوقات راضين عن تلك السيادة الاسلامية، خاصة إذا ماقارنوها بالسيادة البيزنطية، وذلك لمعاملة العرب الحسنة لهم، والتي تختلف تماما عن تلك التي عرفوها من قبل سواء من جانب الفرس، أو الرومان ومن بعدهم البيزنطيين فقد كانت علاقتهم بهؤلاء سيئة[٦٨]، لهذا لم يبق أحد منهم في بلادهم فترة طويلة، وبقى المسلمون، بل مثلوا أغلبيات كبيرة في كثير من المدن، وأخلى لهم الأرمن ضواحي بأكملها[٦٩]. وأكثر من ذلك، فقد اشترك الأرمن مع المسلمين أكثر من مرة في مواجهة البيزنطيين في آسيا الصغرى. كذلك وافق بعض أمرائهم على تزويج بناتهم من أمراء مسلمين، وحمل بعضهم أسماء عربية، وكانوا في أغلب الأحيان يرحبون بقدوم الولاة المسلمين المعينين عليهم، بل ويستقبلونهم بالحفاوة والهدايا عند الحدود[٧٠]. وبالطبع لايعني تصرفهم هذا أنهم جميعا يكنون لهم الود والاخلاص، ولكن كان أكثرهم في حقيقة الأمر يفرش الورود في البداية تحت أقدام نائب الخليفة لجس نبضه فإذا رأوا منه عفة وصراحة، وكان في قوة وعدة، أدوا إليه الخراج والجزية وأذعنوا له بالطاعة، وإلا اغتمزوا فيه واستخفوا بأمره[٧١].

وهكذا كانت الخلافة العباسية، والامبراطورية البيزنطية لاتستطيعان إغفال أهمية التعامل مع الأسر الأرمينية ذات النفوذ، فلم تكن أي منها قادرة - كما سبق القول - على إحكام سيطرتها الكاملة على أرمينية، دون أن تستعين باحدى هذه

(٦٦) Laurent. Arménie, p. 108.

(٦٧) Canard, Arm. Califate, p. 402; Nasen, Arm. Pro.Ori, p.28; Ghazarian, Arabischen, p. 61.

(٦٨) Nersessian, Arm.Byz. pp. 14-15; Toumanoff, Arm. Geor., p. 608.

(٦٩) Laurent, Arménie, p. 198.

(٧٠) Catholicos, Hist. Arménie, pp. 101-102; Cont. Thom. Ardz., p. 19; Grousset, l'Arménie, p. 350. Laurent, Arménie, p. 216; Thopdschian, Inneren, p. 19.

(٧١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢١٢ ، وانظر : Ghazarian, Arabischen, p. 60.

الأسر أو بعضها[٧٢]. وهذا ما أعطى أمراء هذه الأسر فرصة تقلب ولائهم بين تلك القوتين الكبيرتين، سعيا وراء مصلحتهم الشخصية ولتحقيق مكاسب وطنية. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانوا يستعينون بإحدى هاتين القوتين لطرد الأخرى، أو للتصدي لها حفاظا على نفوذهم من أنيابها «وهما كأسدين رابضين بجوارهم متربصين بهم دائما»[٧٣].

وبالطبع بدت سياسة تقلب الولاء هذه من جانب الأرمن في نظر المسلمين والبيزنطيين غير مستساغة ولا مسّوغ لها[٧٤].

والجدير بالذكر، أن الأرمن الذين عرفوا سيادة الفرس والرومان والبيزنطيين من بعدهم، واصطدموا بكل هذه القوى، يفضلون بصفة عامة السيادة الاسلامية، اذا ماقورنت بسيادة البيزنطيين مثلا، فالعداوة بين هؤلاء والأرمن قديمة، ولم تختف بعد ظهور المسلمين وظلت موجودة طوال العصر الأموى وأدت الى وجود نوع من عدم الثقة المتبادلة بين الطرفين، وذلك لاتباعها سياسة «فرق تسد» بين الأمراء الأرمن، كما يرى تومانوف[٧٥]. وقد أدى هذا إلى استحالة التفاهم الكامل بين الطرفين، وذلك لتضارب أهدافها[٧٦].

فلم يكن بين البيزنطيين الذين يريدون ابتلاع أرمينية وضمها إلى الكيان الامبراطوري والأرمن الذين يتطلعون دائما إلى استرداد استقلالهم المفقود، أرضية مشتركة للفهم الكامل، أو التحالف. ولم يغب عن بال الأرمن ان البيزنطيين حاولوا دائما تحطيم دعامتين اساسيتين لهم، وهما الاقطاع والمذهب المنوفيزيقي الذي ينادي بالطبيعة الواحدة للمسيح والذي تتبعه الكنيسة الأرمينية المخالف لمذهب كنيسة القسطنطينية[٧٧]. لقد كان طبيعيا ان تكون هذه هى اهداف بيزنطة في أرمينية، فالدولة البيزنطية دولة مركزية تعمل ابدا على تأكيد حقيقة عالمية

(٧٢) Laurent, Arménie, p. 133; Morgan, Peuple, p. 125; Laurent, Études, p. 26; Laurent, Féodal, p. 177.

(٧٣) Thorossian, Hist. Arm. Peup., p. 90; Pasdermadjian, Histoire, p. 128, 132.

(٧٤) Thorossian, Hist. Arm. Peup., p. 90; Laurent, Arménie, p. 106.

(٧٥) Toumanoff, Arm. Geor, p. 613.

(٧٦) Nersessian, Arm. Byz., p. 7; Pasdermadjian, Histoire, p. 132.

(٧٧) Morgan, Peuple, p. 125, Pasdermadjian, Histoire, p. 132; Nersessian, Arm. Byz., p. 15.

الامبراطورية وكانت بالطبع معادية لكل اشكال المحلية والاقطاع ولو من الناحية النظرية[٧٨]. وكانت كنيسة القسطنطينية بمذهبها الارثوذكسي حريصة دائما على جعل الكنيسة الأرمينية تابعة لها معتنقة لمذهبها[٧٩]. وكانت بيزنطة من ناحيتها حريصة على تحقيق هاتين الرغبتين في كل مرة تجمعها مع الأرمن مصلحة مشتركة وكان هذا سر نفور الأرمن من البيزنطيين. فالأرمن ماكانوا ليتخلوا عن مذهبهم المخالف للعقيدة الخلقدونية، ففي تمسكهم به أوجدوا لأنفسهم هوية تعطيهم التميز والشخصية المستقلة[٨٠].

أما نظامهم الاقطاعي، فقد كان مرتبطا بظروف بلادهم البيئية والجغرافية ولا يستطيعون التخلي عنه. كذلك كان الأرمن ساخطين على الإمبراطورية البيزنطية التي كانت دائما تسعى إلى اضعافهم أو إلى فرض سيطرتها عليهم، وفي الوقت نفسه لاتعمل على تقديم الحماية الضرورية لهم عندما يستنجدون بها في أثناء تعرضهم لغزو ما أو أثناء انتفاضاتهم ضد العرب[٨١]. ومن الأمثلة العديدة لتصرف بيزنطة السلبي حيال الأرمن، موقف الإمبراطور ليو الأرميني من القربلاط أشوط أمير أيبيريا، عندما استنجد به ضد الأمير شهاب القيسي سنة ٨٢٠م / ٢٠٥هـ[٨٢]، حيث لم يسارع إلى تقديم العون له.

لهذا كان من الطبيعي أن يتقربوا من المسلمين، بل وأن يحاربوا معهم إذا دعت الضرورة ضد البيزنطيين، فما كان من بيزنطة إلا أن اتهمت الأرمن بالخيانة، وأخذت تذكرهم بوجوب التعاون معها لمواجهة خطر المسلمين. ولم يبق بين الطرفين سوي الشك والكراهية وتبادل الاتهامات[٨٣]. فكان البيزنطيون يقولون عن الأرمن

---

(٧٨) Morgan, Peuple, p. 132.

(٧٩) Grousset, l'Arménie, p. 334, Toumanoff, Arm. Geor, p. 606; Morgan, Peuple, p. 132.

(٨٠) يحرص الأرمن على القول بأنهم مينوفيزيقيين قبل ان يكونوا ارمن. انظر: Morgan, Peuple, p. 125.

(٨١) Vardan, La Domination, p. 113; Canard, Arm. Califate p. 391; Laurent, Arménie, p. 209.

(٨٢) Cont. Thom. Ardz, p. 718; Nersessian Arm. Byz., p. 8.

(٨٣) ومن الأسباب العديدة لكراهية الأرمن للبيزنطيين، ماقام به قسطنطين الخامس بتدمير مدينة كارين وكانت من اكبر المدن الارمينية. وذلك في اثناء حملته على ملطية وحصن كلوديا على الفرات، واجبار سكانها الأرمن على النزوح إلى حدود الامبراطورية في آسيا الصغرى. انظر: Ghevond, Guerres, pp. 125-129; Nicephore, p. 62; Cedrenus, II, p. 7, Lombard, Constantine p. 35.

إنه ليس هناك أكثر عداوة من الصديق الأرميني، لأنه جبان وماكر، أما الأرمن من جانبهم فكانوا يقولون عن البيزنطيين إنهم سادة غير جديرين بالاحترام، ويتهمونهم بالبخل[٨٤]. وبالطبع فكلا الاتهامين يفتقران إلى الدقة، ولكنهما يعكسان إلى حد بعيد ماكانت عليه العلاقة بين الطرفين من الشك وسوء الفهم. ولهذا كان الأرمن يخشون المطامع البيزنطية أكثر من المطامع العربية[٨٥].

هذا، وإذا سلطنا الضوء على علاقات الأرمن بالمسلمين، نجد أنها اتسمت بالحذر والحيطة من جانب الطرفين، مع حرص الأرمن على عدم إثارة غضب المسلمين منهم. كما التزم بعض أمرائهم باقامة علاقات طيبة ومثمرة معهم، وخاصة - أمراء أسرة آل بقراط أما بقية الأمراء الأرمن فقد وجدوا في المسلمين خصما لايحبذ سياسة العنف ولايمارسها إلا عند الضرورة وتتمثل عند المسلمين في حركات تمرد الأرمن ومحاولاتهم العديدة للخروج على سلطانهم والاستقلال بكيانهم.

ولقد أدرك المسلمون بسرعة وحنكة سياسية، مايكرهه الأرمن، فاعترفوا بوجود إمارات أرمينية مستقلة ذاتيا، كما فعلوا مع البقراطيين[٨٦]، على الرغم من انتفاضاتهم وثوراتهم عليهم في كثير من الأحيان، وطلبهم مساعدة بيزنطة في أثناء تلك الانتفاضات[٨٧]. كما أدركوا أنه بدون مساعدة بعض أمراء الأرمن أصحاب النفوذ، لايستطيع ولاتهم إقرار الأمور في أرمينية، لهذا أعطوا هؤلاء الأمراء سلطات واسعة وجعلوهم تابعين لهم، وهذه التبعية تضفي على هؤلاء شرعية وتمنحهم نفوذا مطلقا على أقرانهم، وإذا حدث أن استولى أحدهم على السلطة في إحدى الإمارات، فإنه يسعي لاعتراف الخليفة كحاكم عليها. ويحدث أن يعين الخليفة من قبله أميرا آخر بدلا من ذلك المغتصب، يكون راضيا عنه ومتعاونا معه، كما حدث عندما أرسل المتوكل في سنة ٨٥٧م/٢٤٣هـ الأمير جريجورد رونيك الأمير الشرعي لفاسبوراكان بدلا من جورجين بن أبي بلدج الذي استولى على هذه الإمارة بدون وجه حق[٨٨].

---

(٨٤) Asolik, Univ. (Macler), p. 116.

(٨٥) Laurent, Armenie, p. 256; Morgan, Peuple, p. 125.

(٨٦) استارجيان: الأمة الأرمينية، ص١٦٩، وايضا: Laurent, Fèodal, p. 177.

Pasdermadjian, Histoire, p. 132.

(٨٧) Cont. Thom. Ardz., pp. 162-163; Laurent, Arménie, p. 187.

(٨٨)

وكان الخليفة يراقب تصرفات أمير الأمراء المعين من قبله ، وذلك بأن يضعه تحت مراقبة أمير مجاور له ، وحين تزداد قوة هذا الأمير ويصبح خطرا على السيادة الاسلامية يعين له قائدا أرمينيا ، قائدا عاما للجيش الأرميني ، ليحد من خطره .

ولقد سمح الخليفة لأمير الأمراء الأرميني أن يتعامل معه مباشرة دون وساطة الولاة المسلمين وفي بعض الأحيان يسحب الخليفة المسلم اللقب من هذا الأمير ، ويمنحه لأمير أرميني آخر[٨٩] . وهذا ماحدث عندما انتقلت الخلافة إلى بني العباس ، حيث لم يعترفوا بإمارة ميخائيل ماميكونيان (٧٤٨ - ٧٥٣م/١٣١ - ١٣٦هـ) . ولكن العباسين لم يعينوا أميراً آخر بدلا منه ، بل حاولوا إحكام قبضتهم على الأمور بشكل مباشر ، مما أدى إلى انتفاضة الأرمن في العقد السابع من القرن الثامن الميلادي (العقد السابع من القرن الثاني الهجري) ضد الادارة العباسية وما اعقبها من معركة بجريفاند ، وأفول نجم اسرة ماميكونيان ، وارتفاع شأن اسر اقطاعية أخرى ، مثل آل بقراط الذين برز شأنهم بعد أفول مؤقت صاحب بداية الحكم العباسي ، وآل اردزروني[٩٠] الذين اخذوا مكانة بارزة في أرمينية في عهد الخليفة ابي جعفر المنصور ، وثم آل سيوني وهم فرع من أسرة بقراط[٩١] .

ومما لاشك فيه - ان اسرة اردزروني قد اخذت مكانة بارزة بين الأمراء الأرمن في عهد الخليفة المنصور . وازاء زيادة قوة الاردزرونيين ونفوذهم في إقليم فاسبوراكان حرص العباسيون على استخدام أسرة بقراط لمنافستهم ، لهذا قام هارون الرشيد في سنة ٨٠٦م/ ١٩١ هـ بمنح امارة ارمينية ولقب امير الأمراء لاشوط مساكر (٨٠٤ - ٨٢٦م /١٨٩ - ٢١١هـ)[٩٢] . وكان هدف العباسين من جراء ذلك ، يتلخص في العمل على الحد من نفوذ أسرة اردزروني في فاسبوراكان في جنوب أرمينية ، ومحاولة

---

(٨٩) Laurent, Arménie, p. 107.

(٩٠) Thorosian, Hist. Arm. Peup., p. 90, Canard, Arm. Califate, p. 396; Laurent, Arménie, p. 121; Grousset, l'Arménie, p. 342.

(٩١) يري كاناران الخليفة العباسي شجع قيام هذه الأسر ، وذلك لاضعاف نفوذ اسرتي آل بقراط وآل اردزروني . انظر : Canard, Arm. Califate, p. 396; Pasdermadjian, Histoire, p. 121.

(٩٢) يرى باسديرمان جيان ان العباسيين شجعوا تأليب الأسر على الأخرى وذلك باعطاء المنتصر منها املاك الثائرة والمهزومة على يد الأسر الموالية لهم . انظر : Pasdermadjian, Histoire, p. 131; Grousset, l'Arménie, p. 342; Laurent, Arménie, p. 128.

جذب البقراطيين في الوقت نفسه إليهم وإبعادهم عن النفوذ البيزنطي ، خاصة وان ممتلكاتهم في شمال أرمينية تتاخم الأراضي البيزنطية هناك[٩٣] . وفضلا عن هذا وذاك ، فقد ارادوا ضرب نفوذ الامارات العربية التي أخذت تستقل ذاتيا عن دائرة النفوذ العباسي في أرمينية[٩٤] .

لقد كان للسياسة العباسية الرامية إلى اجتذاب أسرة بقراط بعيدا عن دائرة النفوذ البيزنطي مايبررها ، اذ ان فرعا منها ينتمي إلى فاساك وهو أخو سمباد السابع وحفيد اشوط المعروف بأشوط الاعمى ، قد هرب بعد كارثة بجريفاند إلى ارتهان Artahan في جيورجيا ، وهناك استطاع احفاده تأسيس امارة لهم ، وأصبحوا تابعين للامبراطورية البيزنطية التي منحت اميرهم لقب قربلاط[٩٥] .

هكذا أصبح البقراطيون عاملاهاما للتوازن السياسي بين الأسر الأرمينية فاستخدمهم الخليفة ضد الأردزرونين والأمراء المسلمين المتمردين على نفوذه مثلما حدث عندما سمح لاشوط مساكر بتوجيه ضربة قوية لشهاب القيسي ، استطاع على اثرها اخذ مقاطعة شارونيك وغيرها من الأراضي منه[٩٦] . وكانت ثقة العباسيين سببا في ازدهارهم وتفوقهم على الأسر الأرمينية الأخرى .

على اية حال منحت ظروف الخلافة العباسية العصيبة في أثناء الحرب الأهلية التي اشتعلت فيها بسبب فتنة الأمين والمأمون ، واندلاع الكثير من حركات التمرد ضدها[٩٧] ، في أرمينية - أمراء أسرة بقراط فرصة لتقوية مركزهم وإرساء نفوذ أسرتهم في الحكم . كما أدى تدهور نفوذ الخليفة العباسي في أرمينية في ذلك الوقت إلى تخليه عن فكرة تدمير الامارات الأرمينية وإخضاع أمرائها تماما لسلطته ، بل أخذ

Mkhithar, Chronologique, p. 88, Laurent, Arménie, p. 131; Grousset, l'Arménie, p. 345.

(٩٣) Orbelian, Siounie, p. 524; Daghbaschean, Bagratiden, p. 8; Grousset, l'Arménie, p. 342.

(٩٤) Ghevond, Guerres, pp. 141-142; Marquart, Osteuropäishe, p. 414; Toumanoff, Arm. Geor, p. 609.

(٩٥)

(٩٦) كذلك تصدى اشوط لثائر آخر هو سواده عبد الحميد الجحافي فيما بين عامي ٢١٣ - ٢١٤/٨٢٨ - ٨٢٩ ، وسواده هذا غير سواده عبد الملك بن شهاب القيسي . انظر : Laurent, Arménie, p. 136; Ottmazian, Babet, p. 213. وكذلك : اليعقوبي : تاريخ ، جـ٢ ، ص٤٦٣ .

(٩٧) ومن هذه الحركات : حركة إسماعيل بن شعيب فيما بين ١٩٤ - ٢٠٤هـ/٨٠٩ - ٨١٩ . وحاتم بن هرثمه ٢٠١ - ٢٠٢هـ/٨١٦ - ٨١٧م ، وصدقة ابن علي الملقب (بزريق) ، ١٩٩ - ٢١٠هـ/٨١٤ - ٨٢٥م . انظر : اليعقوبي ، **تاريخ** ، جـ٢ ، ص٤٨١ ، الطبري ، **الأمم** ، ج٩ ، ص١٦٤ ، ابن الأثير : **الكامل** ، جـ٥ص٢٧٤ - ٢٧٥ ، وانظر : Cont. Thom. Ardz., p. 718; Outmazian, Babek, p. 213.

بدلا من ذلك يساعدهم في تقوية إماراتهم ، وبالطبع استفاد هؤلاء من جراء هذه السياسة ، ومن هؤلاء أشوط ساكر[٩٨] . وأصبحت مهمة هؤلاء الأمراء هي المحافظة على الأمن والاستقرار في إماراتهم والذود عن نفوذ الخلافة في بلادهم وغيرها من مدن القوقاز[٩٩] .

ويشير اليعقوبي إلى أن الأرمن استفادوا من اندلاع هذه الثورات ضد الإدارة العباسية وأن العباسيين رأوا أن من مصلحتهم اتخاذ حلفاء أقوياء من الأرمن[١٠٠]، ولقد كافأ العباسيون الأمراء الذين اشتركوا في إخماد بعض الثورات ضدهم في أرمينية في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي (النصف الأول من القرن الثالث الهجري) بالاعتراف بهم ، وإغداق الألقاب الرفيعة عليهم مثلما كافأوا أشوط ساكر عندما كسر شوكة الأمير شهاب القيسي ، واقتطع منه إقليم شارونيك سنة ١٩٨/٨١٣هـ ، بأن منحوه لقب أمير أمراء أرمينية[١٠١] .

ويمكن القول أن أشوط ساكر البقراطي أصبح أقوى أمير في أرمينية قبيل وفاته سنة ٨٢٦م/٢١١هـ، وبعد وفاة هذا الأمير حاول العباسيون إضعاف إمارته القوية ، بمنح ابنيه اللذين تقاسما إمارة أبيهما ، ألقابا متباينة ، لزرع بذور الشقاق بينهما ، وإضعافهما حتي لايكونا كما كان أبوهما قوة في وجههم ، وإن كان قد أسدى خدمات جليلة لهم . وهكذا كان العباسيون لايطيقون الإبقاء على اية قوة قد تقف حجر عثرة أمام نفوذهم المطلق في أرمينية[١٠٢] .

ومهما اتخذ العباسيون من تدابير كثيرة لتوطيد نفوذهم في أرمينية ، فلم يهنأ لهم بال مطلقاً ، اذ إنهم ما ينفكون في إخماد ثورة حتى تثور اختها ومن أمثلة هذه الثورات

---

(٩٨) Varden, La Domination, p. 112; Thosdschian, Inneren, p. 23.

(٩٩) Varden, Domination, pp. 111-112; Canard, Arm. Califate, pp. 395, 403; Laurent, Arménie, p.135; Grousset, l'Arménie, pp. 348, 377.

(١٠٠) تحدث اليعقوبي عن الثورات التي اندلعت ضد الحكم العباسي قائلا : « تغلب ملوك الجبال والباب والأبواب على مابليهم . وضعف امر السلطان » اليعقوبي تاريخ ، جـ٢ ، ص٤٨١ ، وانظر :
Thosdschian, Inneren, p. 23; Canard, Arm. Califate, p. 403.

(١٠١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٦٣ ، وانظر :
Varden, La Domination, p. 112; Laurent, Arménie, pp. 134-146; Grousset, l'Arménie, p. 376.

(١٠٢) Cont. Thom.Ardz., p.141; Brosset, Historiens, p. 104; Vardan, La Domination pp. 112-113; Asolik, Univ. (Macler), p. 77; Marquart, Osteuropäishe, p. 453; Thopdschian, Inneren, p. 25.

التي اقلقت بال العباسيين كثيرا ثورة بابك الخرمي[١٠٣] . التي اندلعت بعيدا عن أرمينية ولكنها انعكست بكل أخطارها عليها ، حيث أثرت فيها وتأثرت بها ، بل وكانت في بعض الأحيان مسرحا لها . فقد سببت الحركة الخرمية مشكلة كبيرة للخلافة العباسية في عهدى المأمون والمعتصم ، وترجع خطورة هذه الحركة إلى تأثيرها على العلاقات السياسية بين الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية من ناحية ، ومن ناحية أخرى في موقف الأمراء الأرمن منها .

وثورة بابك أو الحركة الخرمية ، هي حركة دينية لها أبعاد سياسية واجتماعية بدأت في أذربيجان وامتدت إلى الأقاليم الأرمينية المجاورة لها . وقد تمكن مؤسسها من الاستقلال الداخلي عن الخلافة العباسية مدة اثنين وعشرين عام (٢٠١ -

---

(١٠٣) تنسب هذه الحركة لمؤسسها بابك الذي كما يدعى انه استمد شرعيته من استاذه الجاويذان بن سهل صاحب البذ ، وأن روحه حلت فيه بعد موته ، وتأكيدا لهذا المعنى ، تزوج من ارملته التي أكدت بدورها تلك الشرعية فيه . ابن الاثير : جـ ٥ ، ص ١٨٤ ، Leurent, Armenie, P. 375 — 388 وترجع اصول هذه الحركة الى عقيدة مزدك ، والتي ظهرت في العهد الساساني الفارسي ، ولهذا عرفت حركة بابك بالمزدكية الجديدة Bunijatov, Babukit Byz. P. 235. وتعني كلمة خرم الفارسية والتي سميت بها هذه الحركة ، فرح او نشوة ، لهذا كان اتباعها لا يتورعون عن ممارسة أى شيء يمنحهم السعادة مهما كان مصدرها . وربما ارتبط اسمهم باسم منطقة خرم في مقاطعة بن في اذربيجان وذلك لانها منبع هذه الحركة . اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٦١ ؛ الطبرى ، الامم ، جـ ٩ ، ص ١١ . وتدعو هذه الحركة الى بعض ما ذهبت اليه الديانات الفارسية القديمة مثل المزدكية والزرادشتيه كتقديس النور و الظلام وعبادة النار ، كما تسمح لاتباعها بالزواج من الأم والأخت والابنة . واتباعها متسامحون مع جميع الديانات الاخرى ، ويبيحون شرب النبيذ ومن المرجح أنهم استمدوا هذا من المسيحية .Laurent, Armenie, P. 359 ويشير الاصطخرى ، بان لهم مساجد في قراهم ، كما انهم كانوا يحفظون القرآن الاصطخرى : مسالك الممالك ، والجدير بالذكر ان اتباع بابك قدسوا ابا مسلم الخراساني ، ونادوا بوجوب حصر أمامة المسلمين في نسله من ابنته فاطمة . الدينورى : الاخبار ، ص ٣٩٧ . ومما يلفت النظر ان هذه الحركة تأثرت بالكثير من مبادىء الحركات الدينية والاجتماعية الاخرى التي ظهرت في القرن الثامن الميلادي ـ القرن (الثاني الهجري) ، وهي على كل حال حركة دينية فارسية ضد السلطة العباسية العربية .Laurant, Arménie P. 354 — 359 للمزيد عن هذه الحركة واتباعها ومؤسسها بابك أنظر : الدينورى : الاخبار ، ص ٤٠٤ ؛ الطبرى : الامم ، جـ ٨ ، ص ٥٥٦ ، المسعودى : التنبية ، ص ٣٥٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٨٤ وما بعدها ؛ البغدادي : عيون الأخبار ، مخطوط ، لوحة رقم ١٨٥ ، وانظر :
Moses Khorenais'i, p. 156; Canard, Hamdanides, p. 193; Grousset, l'Arménie, pp. 346-349; Laurent, Arménie, pp. 357-363.

٢٢٢ هـ/٨١٦ - ٨٣٧ م)[١٠٤] . ولقد نادت هذه الحركة بمبادىء وأفكار متطرفة ، هددت الصرح الديني للإسلام ، كما هددت أيضا الكيان السياسي للدولة العباسية[١٠٥] ، وحملت بعدا اجتماعيا خطيرا ، حيث نادت بالغاء الملكيات الكبرى ودعت أيضا إلى إباحة حرية العقيدة وأفكار أخرى لا يقرها الاسلام[١٠٦] .

وفي هذه الدراسة لن نتطرق لتفاصيل الحركة الخرمية بصفة عامة ، ولكننا سنتتبع انعكاس آثارها على الأرمن من ناحية ، وموقفهم بالتالي من كل من الخلافة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية من ناحية أخرى[١٠٧] .

كان هدف بابك من ثورته ، أخذ زمام الحكم من العباسيين ، وإعطاء الفرس الحرية الدينية والسياسية من جديد . ولقد أدى نجاحه في هزيمة الحملات التي أرسلها المأمون ضده إلى ازدياد قوته ، وانعكاس صدى نجاحه هذا في أرمينية[١٠٨] ، حيث شدت نجاحاته المتكررة على جنود الخلافة انتباه أمرائها ، ولم يستطيعوا تجاهلها كثورة كبيرة ضد السيادة العباسية . وجريا على عادة الأرمن التي أملتها عليهم طبيعة موقعهم الجغرافي ، بدأوا في التحالف مع بابك الواحد تلو الآخر ، على أمل التخلص من هيمنة الخليفة عليهم ، وإعادة امتيازاتهم القديمة التي حرموا منها[١٠٩] .

على هذا فقد كان موقف أمراء الأرمن اتخاذ جانب التأييد لهذه الثورة ضد العباسيين حدث في المرحلة الأولى منها ، وذلك للانتصارات المتلاحقة التي حققتها خلال

(١٠٤) يرجع بعض المؤرخين المسلمين بداية هذه الحركة إلى عام ١٩٢ هـ/٨٠٨ م أى في عهد هارون الرشيد ، انظر : ابن خلدون : العبر ، جـ٣ ، ص ٢٢٧ ، ومنهم من يرى أنها بدأت منذ سنة ٢٠٤ هـ/٨٠٩ م ، أنظر : المسعودى : مروج ، جـ٢ ، ص ٣٤٨ ، وهناك فريق يرى أنها بدأت سنة ٢٠١ هـ/٨١٦ م ومن هؤلاء الطبري ، الأمم ، جـ٨ ، ص ٥٥٦ .

(١٠٥) انظر من مبادىء وأفكار الحركة الخرمية ص ٢٤ر هامش ١٠٣ من الفصل نفسه .

(١٠٦) Outmazian, Babek, p. 209; Laurent, Arménie, pp. 360-361.

(١٠٧) يرى لوران أن من آثار هذه الحركة المباشرة ، ازدياد قوة أمراء أرمينية في مواجهة سلطة الخليفة العباس . أنظر : Laurent, Arménie, p. 134.

(١٠٨) من انتصارات بابك ضد الحملات التي أرسلها كل من المأمون والمعتصم ، انظر : اليعقوبى : تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤٦٢ ؛ المسعودى : التنبيه ، ص ٣٥٢ ؛ الطبرى : الأمم ، جـ٨ ، ص ٥٨٠ ، ٦٠١ ، ٦١٤ ، ٦١٧ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٣ ، ص ٢٦٨ ، وانظر كذلك : Vardan, La Domination , p. 19; Orbelian, Siounie, p. 528.

(١٠٩) Orbelian, Siounie, p. 158; Outmazian, Babek, p. 205; Toumanoff., Arm. Geor., p. 609.

الفترة الواقعة بين عامي ٢٠٤ و٢٠٩ هـ (٨١٩ - ٨٢٤ م) . ومما لا شك فيه أنهم استفادوا من عجز الخلافة العباسية عن فرض سيطرتها المباشرة على أرمينية خلال الفترة التي ركزت كل جهودها لقمع تلك الحركة ، لا سيما أنها احتاجت لمساعدتهم للدفاع عن سلطتها ضد بابك على أرضهم[١١٠] . وكانت هذه فرصة طيبة أتيحت لهم للتخلص من الحكم العباسي . وكان فاساك أمير سيوني هو أول من اتصل ببابك وتحالف معه ، وذلك بحكم قرب إمارته من المناطق التي فرض بابك سيطرته عليها . وكان الدافع الذي جعل فاساك بقراطونى يتحالف مع الخرميين ، تعرض إمارته لأطماع سوادة بن شهاب القيسي ٨٢١ م/٢٠٦ هـ[١١١] ، وعجز بغداد عن إحكام قبضتها على أرمينية بسبب الظروف التي فرضتها عليها ثورة بابك . فلم يكن أمامه سوى اللجوء إلى ذلك المتمرد الذي كان في أوج قوته ، لمساعدته للتصدى للخطر الذي كان يهدده[١١٢] .

رحب بابك كثيرا بطلب أمير سيوني ، وعرض عليه مساعدته فورا ، لأنه كان في حاجة ماسة إلى عمق أرمينية الاستراتيجي لتأمين ظهره . فموقع إمارة سيوني ، يعطى لبابك عمقا هو في أشد الحاجة اليه ، إذا ما نجح العباسيون في تهديد ظهره من الجنوب . وبالفعل أرسل بابك قوات كبيرة استطاعت هزيمة سواده القيسي وطرده خارج إمارة فاساك سنة ٨٢١ م/٢٠٦ هـ[١١٣] .

وبهذا نجح بابك في كسب أمير سيوني إلى جانبه ، ولكنه أمام موت هذا الأخير المفاجىء في السنة نفسها التي تم فيها التحالف بينهما ، سارع بالزواج من ابنه فاساك ليضمن السيطرة على تلك الإمارة الهامة بالنسبة له[١١٤] ، ومن سيونى استطاع أن

(١١٠) Outmazian, Babek, p. 212; Grousset, l'Arménie, p. 350; Daghbaschean, Bagratidenreiches, p. 7.

(١١١) تزوج سواده القيسي من أميرة بقراطية اسمها أروسياك Arousiac ، وتحالف مع الأرمن أكثر من مرة ضد العباسيين ، انظر : Cont. Thom. Ardz., p. 718; Outmazian, Babek 213.

(١١٢) Kalankatuac'i, Aghouans, p. 267; Vardan, La Domination, p.121; Laurent, Arménie, p. 362; Grousset l'Armenie, p. 347.

(١١٣) يرى تشاميتشيان ، أنه كان من أهداف بابك ، إخضاع كل أرمينية لنفوذه وانتزاعها كلية من سبطة الخلفاء العباسيين ، انظر : Tschamischean, Arménie, II, p. 442.

(١١٤) Kalankatuac'i, Aghouans, XIX; Orbelian, Siounie p. 95-96; Obelian, Sisakan, p. 158; Marqaurt, Osteuropäishe, p. 416; Outmazian, Babek, p. 206.

يمد نفوذه على الأقاليم الأخرى التابعة لهذه الإمارة . كما تحالف أيضا مع أمراء بلازكان Balasakan وألبانيا في سنتي ٨٢١ - ٨٢٢ م/٢٠٦ - ٢٠٧ هـ(١١٥) ، ومن المحتمل أن يكون نفوذه قد وصل عن طريق عقد هذه التحالفات مع أمراء الأرمن إلى شمال شرق أرمينية في حوض نهر الرس ، إذ استمر نفوذه في هذه المناطق اثني عشر عاما (٨٢٤ - ٨٣٦ م/٢٠٩ - ٢٢٢ هـ)(١١٦) .

وجدير بالذكر أن بابك لم يأت إلى هذه الأقاليم غازيا ، بل إن أمراء الأرمن هم الذين دعوه وتحالفوا معه . ويذكر الطبرى أنه تزوج بنات وأخوات هؤلاء الأرمن وأنجب منهم أولادا(١١٧) . ويبدو أن سيادة بابك على كل الأقاليم التابعة لسيونى قد تعرضت لتمرد أمراء الأرمن بعد ذلك في الفترة من ٨٢٥ الى ٨٢٧ م/٢١٠ - ٢١٢ هـ ، وهذا ما دعاه إلى محاربتهم وردهم بالقوةلا إلى سيطرته ، واستعمل في سبيل تحقيق ذلك كل وسائل العنف والشدة(١١٨) .

وربما تكون محاولات الخروج على سلطان بابك من جانب الأرمن ، راجعة إلى سياسة المأمون التي سعت إلى إثارة الأرمن ضده(١١٩) . ويلاحظ أن أكثر أتباعه من الأرمن كانوا من الفلاحين ، وسبب ذلك يرجع إلى نشره أفكار العدل والمساواة وإلغاء الملكيات الكبرى في الإمارات الأرمينية التي مد نفوذه عليها . ولقد وجدت هذه الأفكار قبولا من أولئك الفلاحين الذين دخلوا بأعداد كبيرة في جيشه . ويرى بعض المؤرخين الحديثين أن الأرمن الذين انخرطوا في جيشه قد دخلوا في

---

(١١٥) Kalankatuac'i, Aghouans, p. 376; Outmazian, Babek, pp. 205-206.

(١١٦) Kalankatuac'i, Aghouans, p. 376; Orbelian, Sakan, p.159; Laurent, Arménie, p. 134, Outmazian, Babek, p. 206.

(١١٧) انظر الطبرى ، الأمم ، جـ ٩ ، ص ٤٨ ، وأيضا :

Vardan, La Domination pp. 120-121, Outmazian, Babek, p. 207.

(١١٨) ويرى جروسيه أن بابك اتبع سياسة العنف والشدة مع الأرمن الذين انضووا تحت نفوذه ، وهذا ما أثارهم ضده وجعلهم يثورون عليه ، وذلك لأنه قتل ما يقارب ١٥٫٠٠٠ منهم وأحرق أحد الأديرة . أنظر :

Grousset, l'Arménie, p. 348; Laurent, Arménie, p. 362.

كما أشارت المصادر الأرمينية لقسوة بابك مع الأرمن : أنظر :

Kalankatuac'i, Aghouans, p. XIX; Orbelian, Siouni, pp. 96-97.

(١١٩) Cont. Thom. Ardz., p. 439; Vardan, La Domination , p.120. Tschamischian, Arménie, II, p. 439.

عقيدته(١٢٠) .

على أية حال ، بعد أن قمع بابك ثورة الإمارات الأرمينية ، وأمن ظهره ، استعد لمواجهة جيوش الخلافة التي بدأت تنشط ضده . ولقد وصلت حركته إلى أوج عظمتها في سنة ٨٣٠م/٢١٥هـ(١٢١) . وانتهز بابك فرصة انشغال المأمون في حربه ضد البيزنطيين وهاجم فارس واحتل همذان ، وبذلك أصبح موقف الخلافة العباسية حرجا للغاية ، لتعرضها لضغط بيزنطي من ناحية ، ولانتصارات بابك المتزايدة من ناحية أخرى ، ولموقف الأرمن منها من ناحية ثالثة .

وفي خضم هذه الأحداث ، انتهز الأرمن هذه الظروف فقاموا بعدة ثورات ضد النفوذ العباسي ، آملين في إزاحته نهائيا عن كاهلهم ، وشاركهم في ثوراتهم هذه أمراء عرب مثل : سواده القيسى ، الذي تحالف مع ساهاك أمير سيونيه الغربية في سنة ٨٢٥ - ٨٢٦م/٢١٠ - ٢١١هـ ، وقاموا بثورة ضد الوالى العباسي عبدالعلي بن أحمد بن يزيد السلمى ، ولكن الأخير استطاع قمع هذه الثورة بمنتهى القسوة ، مما جعل الأمير القيسي يتظاهر بالخضوع لسلطة الخلافة ، ويرضخ لنفوذ وهيمنة الوالى الجديد خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني في خلاط سنة ٢١٤ - ٢١٥هـ/٨٢٩ - ٨٣٠م(١٢٢) . ولكن بعد انتصارات بابك وتعرض العباسيين لهجوم بيزنطي(١٢٣) ، تمرد من جديد بعد أن تحالف مع ساهاك أمير سيوني الغربية وسمياد بقراطوني في سنة ٨٣٣م/٢١٨هـ .

وكان مصير هذا التمرد مثل مصير سابقه ، حيث استطاع خالد بن يزيد

---

(١٢٠) انظر : المسعودى : التنبيه ، ص ٤٥٣ ، Laurent, Arménie, p. 36. Outmazian, Babek, p. 221.

ويذكر المسعودى أن أتباع الخرمية انتشروا في كثير من البلاد بما فيها أرمينية . ويذكر ابن الأثير ، أن الكثيرين من أهل الجبال وهمذان واصبهان وغيرها دخلوا في ثورة بابك ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٣١ ؛ ابن كثير : البداية ، جـ ١٠ ، ص ٢٨١ .

(١٢١) وفي هذا يشير المسعودى بقوله « واشتد أمر بابك الخرمي ببذ والران والبيلقان ، وكثرت غترته في تلك البلاد ، وسارت عساكره نحو تلك الأمصار ففرق الجيوش ، وهزم العساكر ، وقتل الولاة ، وأفني الناس » . مروج ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ . وانظر :

Laurent, Arménie, p. 362.

(١٢٢) يشير جروسيه إلى أن سواده القيسى هو الذي قام بهذه الثورة ، ولكن اليعقوبي ذكر أن الذي قام بهذه الثورة هو سوادة بن عبدالحميد الجحافي . اليعقوبي : تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٦٤ ، وانظر :

Grousset, l'Arménie, p. 351.

(١٢٣) وانظر : الطبرى ، الأمم ، جـ ٤ ، ٥٥ - ٥٦ ؛ وابن الاثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٤٧ .

Theoph. Cont., p. 124, Cedrenus, Historiarum, p. 130.

الانتصار على الخلفاء من عرب وأرمن في موقعة جرت بالقرب من نهر أرازدان Hrazdan بالقرب من قرية كواكرت Kawakert ، وفيها قتل أمير سيونيه ساهاك ، ونجا سمباد وسواده القيسى من الموت بأعجوبة(١٢٤) .

وهكذا ، كان تحالف أمراء المسلمين في أرمينية محاولة جادة منهم للتخلص من النفوذ العباسي هناك ، وهو أمر شجعهم عليه نجاح بابك وانتصاراته المتتالية على جيوش الخليفة العباسي . ولقد توفي الخليفة المأمون والخلافة العباسية تمر بوقت عصيب ، حيث كانت تواجه خطرين في آن واحد ، خطرا من جانب الامبراطورية البيزنطية(١٢٥) وآخر يتمثل في بابك ، فضلا عن الثورات التي قامت ضدها بين الحين والاخر في أرمينية والامارات القوقازية الأخرى .

ومما لا شك فيه أن خطر بابك كان أكبر تلك الأخطار جميعها ، لهذا كانت وصية المأمون لأخيه المعتصم ، أن يحارب بابك ، وإذا لزم الأمر أن يتولى بنفسه أمور القتال ضده(١٢٦) .

عمل المعتصم بوصية أخيه ، فأرسل على الفور جيشا كبيرا معدا أفضل إعداد ، هيأ له من أسباب النجاح ما استطاع ، حيث عين عليه القائد التركي الكبير الأفشين ، وفتح خزائنه عن آخرها ووضع تحت إمرته أعداد كبيرة من الجند المرتزقة ومن بينهم الأتراك ، الذين قاموا بدور كبير ، وأعطاه سلطات لا حدود لها منها تعيين الولاة على أرمينية(١٢٧) .

---

(١٢٤) تسمى المصادر الأرمينية خالد بن يزيد الشيباني بـ « هول » ، ويرى البعض ان المقصود بـ « هول » هو الوالى عيسى بن محمد بن علي الخالد . Outmazian babek .p. 211. ، ولكن اليعقوبي أشار إلى خالد بن يزيد من ضمن الولاة الذين تولوا في الفترة من ٨٣٠ إلى ٨٣٣ ، وقد حدثت هذه الثورة فيها ، انظر : اليعقوبي : تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٦٤ ، وانظر :
Vardan, La Domination, pp. 109-110; Outmazian, Babek, p. 213; Issaverdense, Histoire, p. 134; Daghbaschean, Bagratidenreiches, p. 9.

(١٢٥) تمثل هذا الخطر في الحملة التي شنها ثيوفيل في سنة ٨٣١م/٢١٦هـ على طرسوس والمصيصة ، وذلك انتقاما من حملة المأمون التي شنها على بيزنطة في سنة ٨٣٠م/٢١٥هـ وسقطت بيده عدة حصون أهمها حصن قره وحصن سندس . انظر : الطبرى : الأمم ، جـ ٨ ، ص ٦٢٣ ـ ٦٢٤ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢١٩ ، انظر عن موقع هذه الحصون : ابن خرداذبه ، المسالك ، ص ٩٩ .
Theop. Cont., p. 390.

(١٢٦) الطبرى : الأمم ، جـ ٨ ، ص ٦٤٦ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٢٧ ؛ وكذلك
Outmazian, Babek, p. 217.

(١٢٧) الطبرى : الأمم ، جـ ٩ ، ص ١٤ ؛ اليعقوبي : تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٤ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٣٥ ، وانظر :
Outmazian, Babek, p. 217.

استطاع الأفشين تحقيق أول انتصار على بابك سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦م ، وأجبره على الفرار إلى موقان(١٢٨) ، ثم حاول الأفشين أيضا القضاء على مؤخرة جيشه ، بأن هاجم سيونى وألبانيا ، ثم عمل على جذب الأمراء الأرمن إليه بأن وعدهم بمنحهم الاستقلال في حكم إماراتهم وإلغاء الخراج عنهم ، فضلا عن جائزة قيمة لمن يقبض على بابك ويسلمه حيا إليه(١٢٩) . وكان هذا بداية لتبدل ميول أمراء سيونى وغيرهم من الأرمن ، وذلك جريا على عادتهم في تأييد جانب المنتصر وما يتفق ومصالحهم الخاصة ، خاصة وأنهم رأوا أن الخلافة العباسية أصبحت جادة تماما في القضاء على بابك ، فقد تغيرت به الأحوال فأصبح مهزوما مطاردا بعد أن كان منتصرا متسلطا . لذا لم تعد مصلحتهم معه ، بل مع الخليفة العباسي الذي أخذ يتنسم رياح انتصارات قائده الأفشين على ذلك الثائر . لذا أخذ هؤلاء الأمراء جانب المنتصر ، رغبة في رضاه أو خوفا من انتقامه بعد ذلك . وربما كان هناك سبب آخر وراء تبدل موقفهم ، وهو أنهم كانوا من رجال الاقطاع ، ومن أجل ذلك لم يشعروا بالارتياح أبدا من أفكار بابك التي تنادى بالمساواة وإلغاء الملكيات الكبرى ، والتي تمس املاكهم الاقطاعية التي ورثوها أبا عن جد(١٣٠) .

وعلى الرغم من أنهم ناصروه في البداية لانه كان عدوا لعدوهم وحقق انتصارات كبيرة عليه ، إلا انهم تخوفوا منه بعد ذلك لأفكاره التحررية الاجتماعية ، وما أن حقق الأفشين أولى انتصاراته عليه ، حتى سارع هؤلاء الأمراء بالتخلى عنه ، وإعلان الثورة عليه وطرد نوابة من أقاليمهم الواحد تلو الآخر(١٣١) . ومن المرجح

---

(١٢٨) يروي ابن الاثير : أن بابك هرب إلى جبال أرمينية « مستخفيا » فاحتاج إلى طعام وكان بطارقة أرمينية قد تحفظوا بنواحيهم وأوصوا أن لا يجتاز بهم أحد الا أخذوه حتى يعرفوه ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٤٤ ؛ والطبرى ، الأمم ، جـ ٩ ، ص ٤٥ . هذا وكان أول انتصار حققه العباسيون على بابك ، بيد إسحق بن إبراهيم في سنة ٢١٩هـ/ ٨٣٤م . انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧١ ؛ الطبرى : الأمم ، جـ ٩ ، ص ١١ ؛ مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، جـ ٣ ، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ ٣ ، ص ٣٥٢ .

(١٢٩) تروي المصادر الاسلامية أن الأفشين كتب إلى أمراء الأرمن يطلب إليهم القبض على بابك وتسليمه إليه نظير مكافأة مالية ضخمة وضمن لمن جاء به ألف ألف درهم (مليون) والصفح عن بلادهم . اليعقوبي : تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٤ ؛ الطبرى : الأمم ، جـ ٩ ، ص ٤٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٤٤ .

(١٣٠) Outmazian, Babek, p. 219.

(١٣١) Outmazian, Babek, p. 220.

أن رجال الدين الأرمن رفضوا تعاليم بابك الدينية والاجتماعية ، وربما كان هذا سبب قيام بابك بتدمير المركز الروحي لاقليم سيوني وهو دير ماكينوتز Mahkenots(١٣٢) ، لكل هذا تخلى أمراء الأرمن عن تأييدهم لبابك ، ووقفوا بجانب ولاة الخليفة العباسي ضده بعد أن طردوا نوابه من أقاليمهم ، بل بذلوا ما في وسعهم لمساعدة جيش الخلافة ضد ذلك الثائر(١٣٣) .

ومهما كان الأمر ، فإن موقف الأرمن من بابك في هذه المرحلة ، مرجعه إلى رغبتهم في كسب ود الخلافة التي بدأت تأخذ زمام المبادرات في القتال ضد بابك . لهذا فر عدد من هؤلاء ، وعلى رأسهم سمباد بقراطوني أمير أمراء أرمينية ، تأييد الخلافة ، بل ذهب مع وفد منهم إلى المعتصم ليخبره بمساندتهم له . وهناك فريق آخر منهم بزعامة بقراط أمير طارون فضل البقاء على الحياد ، وانتظار ما تسفر عنه الأمور(١٣٤) .

أدت هزيمة بابك وتبدل موقف الأرمن منه إلى حاجته الماسة لمساندة خارجية تقوي وضعه المتدهور ، فلم يجد أفضل من الامبراطور البيزنطي ثيوفيل ، الذي رحب بدوره بالقيام بهذه المهمة خاصة بعد تحريض بابك له على غزو أراضي الخلافة العباسية واستغلال انشغال جيش بني العباس بقتاله . وكان هدف بابك من ذلك التحريض هو تشتيت قوات المعتصم في أكثر من جهة لتخفيف العبء عنه(١٣٥) .

---

(١٣٢) يذكر أوربيليان أن بعض رجال الدين أيدوا بابك ، بل ذهبوا إليه في البذ ليطلبوا له عن تأييدهم ضد موسى كلنكتوي ، أن امارة سيوني استطاعت الانتصار على بابك وهزيمة تلك هزيمة نكراء .

Orbelian, Sioumie, p. 155, Outmazian, Babek, p. 211.

Kalankatuatsi, Aghouans, p. 264; Dughtaschean, Bagratidenreiches, p. 452.

(١٣٣) Orbelian, Sioumie, p. 159, Outmazian, Babek, p. 220.

(١٣٤) Dughtaschean, Bagratidenreiches, pp. 5-7; Outmazian, Babek, p. 220; Canard, Arm. Califate, p. 390; Laurent, Arménie, p. 196.

(١٣٥) عن طلب بابك المساعدة من ثيوفيل ، انظر :

Laurent, Arménie, p. 249; Rékaya, Théophobe, p. 58.

الطبري ، الأمم ، جـ٩ ، ص٥٦ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٤٧ . وعن هدف بابك من تلك المساعدة .

يقول محمد ريكايا Rékaya الرأي القائل إن بابك كان يود الذهاب إلى ثيوفيل بعد هزيمته أمام الأفشين . ولم يثبت رأيه هذا بدليل مقنع ، حيث ذهب إلى أن بابك لو كان أراد الذهاب إلى ثيوفيل لاتصل بفلّته نصر التي سبق أن هربت منه وطلب الدخول في خدمة الامبراطور البيزنطي ويرى الباحث أن بابك ، ان لم يكن يريد الذهاب بنفسه إلى ثيوفيل ، فهو قد سعى إلى طلب مساعدته ، وتحريضه لشن هجوم على بني العباس ، وذلك كي يخفف العبء عن كاهله ، خاصة بعد تعرضه للهزيمة على يد الأفشين ، وليقع الجيش العباسي

وجد طلب بابك هوى في نفس ثيوفيل ، خاصة وأنه قد فرغ من مشكلاته في صقلية ، وأصبح بإمكانه الأخذ بزمام المبادرة بتجديد القتال ضد العباسيين . لهذا قرر مساعدة بابك(١٣٦) ، وانتهز الفرصة ، وهاجم شمال الفرات مستعينا بفرق من الخرمية . وكان هؤلاء قد تركوا بابك بعد هزيمته الأولى(١٣٧) ، واتجهوا بزعامة أحد قادتهم ويدعى نصر إلى الامبراطورية البيزنطية طالبين الالتحاق بخدمتها . فرحب بهم ثيوفيل وكون منهم فرقا في جيشه .

على أية حال ، هاجم ثيوفيل حصن زبطرة وسمياط وألحق بها أضرارا جسيمة ، ثم تعرض لمدينة ملطية ولكنها نجت من بطشه بإطلاق أهلها سراح الأسرى البيزنطيين الذين كانوا لديهم(١٣٨) . ولقد استهدف ثيوفيل من حملته هذه تقديم المساعدة للأرمن ، وإثارتهم ضد النفوذ العباسي ايضا . إلا أن هؤلاء على الرغم من أنهم كانوا يخشون بأسه وانتقامه منهم ، فضلوا البقاء تحت ظل السيادة الاسلامية ، وعدم مجاراة الامبراطور فيما طلب منهم . بل عملوا على عرقلة مشاريعه بمساعدتهم لأمير تفليس المسلم ضده(١٣٩) .

هذا ، وقد توالى ضغط الأفشين على معاقل بابك ، حتى سقطت « البذ »

بين فكي كماشة بينه وبين جيش الامبراطور البيزنطي ، وذلك لاضعاف قوة الجيش العباسي بارغامه على الحرب في جبهتين في آن واحد . الطبري : الأمم ، جـ٨ ، ص٦٦٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٣١ .

(١٣٦) الشيخ : سياسة ثيوفيل ، ص ١٤٩ . وانظر : Rékaya, Théophobe, p. 59.

(١٣٧) كانت أول هزيمة كبيرة وجهت لبابك على يد القائد العباسي اسحق بن ابراهيم في سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م في أول عهد المعتصم بالله ، انظر : الطبري : الأمم ، جـ٨ ، ص ٦٦٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٣١ .

(١٣٨) الطبري : الأمم ، جـ٩ ، ص ٥٦ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ؛ مجهول : العيون والحدائق ، ص ٣٨٩ . وانظر :

Leo Grammaticus, Chronographia, p. 220.

Symeon Magistre, Chronographia, p. 634.

(١٣٩) يروى ميخائيل السرياني أن ثيوفيل انتقم من الأرمن بسبب مساعدتهم أمير تفليس ضده بأن طلب منهم إعطاءه الجزية قبل موعدها ، وبأنهم رضخوا لطلبه خوفا منه ، انظر :

Michel Le Syrien, p. 88.

ويذكر أسوليك أن هدف ثيوفيل من حملته على ملطيه كان نشر الدمار والخراب فيها وجعلها خالية من السكان . انظر :

Cont. Thom. Artz., pp. 171-172, Marquart, Südermenien, pp. 41-57; Honigmann, Ostgrenze, p. 58.

ويروي توماتوف أن اعراض الأرمن عن مساعدة ثيوفيل ضد المسلمين كان لخوفهم من انتقام المسلمين ، ثم

معقل بابك الحصين في يده في ١٠ رمضان ٢٢٢هـ/ أغسطس ٨٣٧م ، ونتج عن ذلك هروب بابك بصحبة أخيه عبدالله إلى أرمينية[١٤٠] . وكان يأمل من هروبه إلى أرمينية في الوصول إلى الامبراطور البيزنطي ثيوفيل . ولكنه في أثناء هروبه لجأ ، بعد أن أخذ التعب منه كل مأخذ ، إلى أمير شاكى الأرمني سهل بن سمباد ، الذي استطاع إقناعه بالمكوث عنده حتى يستريح ثم يواصل طريقه[١٤١] . ولكن بابك نصح أخاه عبدالله بالذهاب إلى عيسى بن يوسف أمير البيلقان ، وذلك من باب الحذر .

ويبدو أن بابك لم يفكر في الذهاب بنفسه إلى ثيوفيل[١٤٢] ، ولكنه طلب مساعدته فقط كما سبقت الاشارة ، وأنه عندما قبل عرض أمير شاكى بالمكوث عنده بعض الوقت كان يبحث عن ملجأ مؤقت حيث يفكر فيما عساه أن يفعل بعد ذلك . وربما كان يأمل أن تصله إمدادات ثيوفيل وهو في مقره هذا ليواصل ما نذر نفسه من أجله . وعلى الرغم من كل احتياطات بابك فإنه لم يسلم من الخديعة التي أوقعها به أمير شاكى سهل بن سمباد حيث قام بتسليمه إلى الأفشين ،كما سلم أمير البيلقان شقيقه عبدالله إليه أيضا في سبتمبر سنة ٨٣٧م/ ذي القعدة ٢٢٣هـ[١٤٣] .

العرض بلادهم على يده للكثير من الدمار .
انظر :
Toumanoff, Arm. Geor., p. 911.

هذا وقد انضم كبار أمراء الأرمن مثل بقراط الطاروني وأشوط أمير فاسبوراكان وغيرهم إلى صف المسلمين ضد البيزنطيين في أثناء هجوم ثيوفيل على زبطرة وملطيه . انظر :
Grousset, l'Arménie, p. 354, Canard, Arm. Califate, p. 390.

(١٤٠) الطبرى : الأمم ، جـ٩ ، ص ٤٦ ـ ٤٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ٢٤٠ ـ ٢٤٣ .
وانظر :
Cont. Thom. Ardz., p. 725; Vardan, La Domination, p. 120, Rékaya, Théophobe, p. 59.

(١٤١) اليعقوبي : تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤٧٤ ؛ الطبرى ، الأمم ، جـ ٩ ، ص ٤٧ ـ ٤٨ ، وانظر :
Rékaya, Théophobe, pp. 58-59.

تطلق المصادر الاسلامية على عيسى بن يوسف أمير البيلقان ابن اسطفانوس انظر : الطبرى : الأمم ، جـ٩ ، ص ٤٨ ؛ ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ، ص ٢٤٤ .

(١٤٢) ويرى هذا الرأي كل من المؤرخ بونياتوف وريكايا ، بل يجزمان أن بابك لم يفكر أبدا في الذهاب إلى ثيوفيل ، ولكنهما في الوقت نفسه لم ينفيا ما إذا فكر في طلب المساعدة منه أم لا . انظر :
Buniuatove, Azerbaydjan., p. 60; Rékaya, Théophobe, p. 59.

(١٤٣) خليفة : تاريخ ابن خياط ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ، جـ ٥ ، ص ٢٤٥ .
لقد كافأ الافشين الامير الارمني سهل بن سمباد الذي سلم إليه بابك ، بأن أعطاه ألف ألف درهم

هذا ، وقد تم إرسال الاثنين إلى سامرا في يناير ٨٣٨م/صفر ٢٢٣هـ ، ثم قُتل بابك بعد تعذيبه في الشهر نفسه ، كما قُتل أخوه في بغداد . واحتفل الخليفة بالنصر الذي حققه الافشين على بابك في مارس ٨٣٨م/ جمادي أول ٢٢٤هـ[١٤٤] . ثم انشغل المعتصم بعد ذلك بتجهيز حملة ضد عمورية انتقاما من الحملة التي شنها ثيوفيل ضد زبطره وسميساط وملطيه[١٤٥] .

ومهما كان الأمر ، فقد كان للثورة الخرمية آثار كبيرة في النفوذ العباسي في أرمينية ، واذا كان الأمراء قد ناصروا بابك في البداية ، حينما كان النصر حليفه ، فانهم سرعان ما تخلوا عنه ، عندما وجدوا ان التوفيق قد خانه ، وذلك جريا على عادتهم[١٤٦] . ولكنهم اصبحوا بعد هذه الثورة أكثر قوة وتطلعا لتحقيق شخصيتهم الذاتية : لهذا بدأوا يثيرون المشكلات للحكم العباسي طوال عهد الواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ ـ ٨٤٧ م)[١٤٧] . واستغلوا التوتر الذي اصاب العلاقات البيزنطية العباسية ، بعد هجوم ثيوفيل على زبطرة وانتقام المعتصم بحملته ضد عمورية ، وأخذوا يتذمرون من معاملة بعض الولاة العباسيين المتشددين معهم مثل خالد بن يزيد الذي جاء بعد الوالي المتساهل على بن الحسين ، ولم يكن امام المعتصم سوى الرضوخ لمطلبهم حرصا من جانبه على عدم إثارتهم في وقت وصل فيه التوتر في علاقاته مع الامبراطورية البيزنطية الى مداه[١٤٨] .

(مليون) ، ومنطقة بالجواهر وتاج البطرقة (أي جعله أميرا للأمراء) انظر :
ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٣٩ . أما المؤرخ الأرمني فاردان فيذكر أن سهل قد تلقى هدايا قيمتها ١٠٠ ألف قطعة من الفضة ومثلها أخرى كهدية ، انظر :
Vardan, La Domination, p. 120; Grousset, l'Arménie, p. 354, Canard, Arm. Califate, p. 390.

(١٤٤) خليفة : تاريخ ابن خياط ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ ؛ اليعقوبي : تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ص ٢٤٦ ؛ مجهول : تاريخ المعتصم ، ورقة ٢٥ .

(١٤٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ؛ النويري : نهاية الارب ، جـ ٥ ، مطبوع ، ص١٤٨ ؛ البغدادي ، عيون الأخبار ، جـ١ ، مخطوط ، لوحة ٨٦ .

(١٤٦) Grousset, l'Arménie, pp. 347-348.

(١٤٧) Laurent, Arménie, p. 205; Canard, Arm. Califate, p. 366; Gatteyrias, Arm. Arméniens, p. 93.

(١٤٨) يروى اليعقوبي أن المعتصم عندما ولي خالد بن يزيد في المرة الأولى ، خافه الأرمن وتحصن كل أمير من أمرائهم في قلعته ، « واشتد خوفهم منه ، وعملوا على العصيان » لهذا اضطر الى اعادة واليه السابق على بن الحسين الذي اشتهر بضعفه بين الأرمن حتى اطلقوا عليه لقب« اليتيم » اليعقوبي : تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٥ . ويرى داغيشيان أن تصرف المعتصم دل على معاملته الطيبة مع الأرمن —

هذا ، وقد استمرت الاضطرابات في عهد الواثق ، خاصة ان الأرمن انتهزوا انشغال الخلافة العباسية بالفتن التي اثيرت ضدها في المشرق[١٤٩] ، وقاموا بالثورة على ولاتها لديهم ، مما دفع الواثق الى ارسال واليه القوى خالد بن يزيد الشيباني . ولم تكن حملة خالد موجهة ضد امراء الأرمن فحسب ، بل ضد الأمراء العرب المسلمين ايضا ، لاستقلالهم بامارات لهم في ارمينية وايبيريا[١٥٠] ، وبالذات ضد إسحق بن إسماعيل امير تفليس الذي تمرد على نفوذ الخليفة في سنة ٢٢٩ هـ / ٨٤٣ م[١٥١] .

بدأ خالد بن يزيد حملته بالتوجه الى تفليس لقمع تمرد اميرها إسحق بن إسماعيل ، وكاد ان ينتصر عليه لولا أن عاجله الموت إثر مرض قصير . فتفرق جيشه وعادت الفوضى تضرب أطنابها في أرجاء أرمينية من جديد ، وكما يقول اليعقوبي : « عاد البلد الى اقبح احواله »[١٥٢] وامام هذا الموقف ، عين الواثق ابن قائده المتوفي حديثا ، محمد بن خالد بن يزيد الشيباني ، وكان هذا الأخير أهلا للمسؤولية التي القيت على عاتقه ، حيث استطاع تحقيق عدة انتصارات على المتمردين « وضبط البلد » كما ذكر اليعقوبي[١٥٣] .

ومما هو جدير بالذكر ان بقراط بن اشوط امير امراء ارمينية ، قد ساعد محمد ابن خالد في حملته هذه ضد المتمردين ، وخاصة اسحق بن اسماعيل[١٥٣] .

Daghbaschean, Bagratedenreiches, p. 9 ويرى الباحث ان المعاملة الطيبة لا تجدى مع الارمن ، لانهم بعد ان عين علي بن الحسين مرة اخرى عليهم ، امتنعوا عن دفع كل ما عليهم وحاولوا الخروج على نفوذ الخليفة وهذا ما يؤكده مورجان ، الذي يرى أن الوالى خالد بن يزيد عامل الأرمن بلطف واتسم عهده بالعطف عليهم ، ، ولكنهم رغم هذا تمردوا عليه وطالبوا بتغييره انظر :

Morgan, Peuple, p. 125.

(١٤٩) وعن هذه الفتن : انظر الطبري ، الأمم ، جـ ٩ من ص ١٧٠ - ١٨٤ .

(١٥٠) اليعقوبي : تاريخ ، جـ ٢ ص ٤٨١ ، وانظر : Laurent, Arménie, p. 205.

(١٥١) كان إسحق بن اسماعيل اميرا على تفليس طوال عشرين سنة (٢١٨ - ٢٣٩ هـ ٨٣٣ - ٨٥٣ م) . وقد نجح في تأسيس اسرة حاكمة له فيها . ونجح في الاستقلال عن سلطة الخليفة العباسي ، وقام بعدة ثورات على نفوذ الخليفة ، واستطاع توسيع امارته على حسابه . انظر المزيد عنه :

Mkhithar, chronologie, p. 85; Ghazarian, Arabischen, pp. 53-55; Laurent, Arménie, p. 196; Grousset, l'Arménie, p. 363.

(١٥٢) اليعقوبي : تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٨٠ ، وانظر : Ghazarian, Arabischen, pp. 48-49.

(١٥٣) اليعقوبي : تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٨١ - ٤٨٢ . وكذلك :

Laurent, Arménie, p. 138; Ghazarian, Arabischen, p. 49.

هذا ، وعلى الرغم من الانتصارات التي حققها والي الخليفة على المتمردين ، الا ان الامور لم تسر كما يجب بعد ذلك ، بسبب شدة محمد بن خالد وقسوته على الأرمن . وكان وفقا لرواية لوران : يسعى لصبغ الأرمن بالصبغة العربية الاسلامية ، وهذا ما كان ينفر منه الأرمن ، بل ويفضلون الموت عليه . ومن أجل هذا الغرض جلب محمد بن خالد معه الى أرمينية جماعات من المسلمين لتستقر في منطقة كانزاك Kandzak في سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م ، كما غالى في جمع الضرائب منهم[١٥٤] .

ويرى غازريان : ان ما أثار الأرمن ودفعهم الى القيام بالثورة على سلطة بني العباس ، هو قرار المتوكل بعدم الاستعانة بأهل الذمة في أى امر يتعلق بالادارة ، وهدم الكنائس والأديرة الجديدة وعدم السماح ببناء الجديد منها[١٥٥] .

وفي الواقع لا يمكن أن يكون هذا هو الدافع الحقيقي لثورتهم ضد سلطة الخلافة ، فهم كانوا غير مهيئين في الأصل لتقبل أي سلطة تفرض عليهم ، كما كانوا يرون في الضرائب التي يدفعونها عبئا ثقيلا عليهم . هذا ، بالاضافة الى مغالاة جامعي الضرائب العباسين معهم في الفترات التي يتولى العباسيون جمع الضرائب بأنفسهم دون تكليف احد امراء الأرمن بها ، كل تلك الأسباب مجتمعة دفعتهم الى القيام بكثير من حركات التمرد واعمال الشغب ، وخاصة في المناطق الشمالية لأرمينية .

ومن تلك الثورات وحركات التمرد التي قامت ضد النفوذ العباسي هناك ثورة امير البانيا سهل بن سمباد ، وقيامه بطرد الوالي العربي في ارزن محمد بن سليمان . ويشير اليعقوبي لهذه الثورات بقوله : « ولي أرمينية عمال كانوا يقبلون من أهلها بالعفو ويرضون من خراجها بالميسور »[١٥٦] . وقد حرص الخليفة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م) على تأكيد السيادة العباسية على أرمينية ، متبعا سياسة متشددة حيالهم كما سبقت الاشارة . لهذا عندما بلغته انباء تمرد الأرمن

---

(١٥٤) Kalankatuac'i, Aghouans, p. 58. Brosset, Hist. Georgie, p. 494; Marquart, Osteuropäische, p. 462; Grousset, l'Arménie, p. 355.

(١٥٥) وعن قرار المتوكل هذا انظر :

الطبري : الأمم ، جـ ٩ ، ص ١٧١ - ١٧٤ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٨٥ .

(١٥٦) اليعقوبي: تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٨٩ ، ابن الأثير : الكامل . جـ ٥ ، ص ٢١٣ ، وانظر :

Ghazarian, Arabischen, p. 50.

الأخير ، أرسل على الفور أبا سعيد المرزوي[١٥٧] وأوصاه بعدم التهاون بجمع الضرائب كافة منهم ، الكبير منهم قبل الصغير . وكعادتهم تمنعوا وماطلوا في دفع كل ما هو مقرر عليهم ، وامام تعنتهم اضطر ابوسعيد الى استعمال العنف معهم لارغامهم على الدفع[١٥٨] . وكلف نائبه علاء بن محمد الصوافي بجمع الضرائب المقررة على امراء فاسبورا كان ، وكان هؤلاء على درجة من القوة والمنعة ، استطاعوا معها التصدي لمحاولات علاء الصوافي لارغامهم على دفع ماعليهم . بل وهزموه في سنة ٨٥٠ م / ٢٣٦ هـ[١٥٩] . واضطر ابوسعيد الى تكليف امير عربي آخر هو امير ارزن موسى بن زرارة للقيام بهذه المهمة[١٦٠] . ولم تكن مهمة امير ارزن احسن حالا من سابقه ، إذ تحالف أمراء اسرتي ارد زروني وبقراط معا ضده ، واستطاعوا هزيمته . وامام هذا الموقف عاد ابوسعيد الى سامرا ليخبر المتوكل عن احوال ارمينية ، ومدى الازدهار ، والقوة التي بلغتها اسرة اردزروني في الفاسبوراكان . كما أكد له ضرورة القضاء على قوتهم هذه ، لعداوتهم الشديدة للمسلمين[١٦١] .

---

(١٥٧) هناك خلاف كبير بين المصادر الأرمينية والعربية حول مجيء ابي سعيد المرزوي الى ارمينية كوال مكلف من قبل المتوكل . فهناك فريق من المؤرخين الأرمن يرى : ان ابا سعيد جاء الى ارمينية بالفعل ، ولكنه قتل . وعلى رأس هذا الفريق : اوربليان ، ومختار . والفريق الآخر يرى انه لم يأت أصلا ، ويمثله يوحنا كاثوليكوس وفاردان . .Orbelian, Siounie, p. 536 Catholicos, Hist. Arméini, p. 105

اما ما روته المصادر العربية في هذا الشأن فهو تأكيد قاطع على ان ابا سعيد لم يقم بحملته البتة وذلك لموته المفاجيء وهو يستعد للقيام بها حيث « سقط ميتا من غير علة » .

ويرجح الباحث : الرأي القائل بذهاب أبي سعيد ، في المرة الأولى ، ثم عودته بعد أخذه بنصيحة امراء الأرمن له ، بعد ان ضمنوا له جمع ما عليهم من الضرائب وتسليمها لنائبه علاء محمد الصوافي ، وموسى بن زرارة امير ارزن ، ولم يستطع هؤلاء القيام بهذه المهمة ، لعدم وفاء امراء الأرمن بتعهدهم لأبي سعيد ، حينئذ قرر ابوسعيد الذهاب بنفسه مرة اخرى ، ولكنه مات فجأة كما ورد في المصادر الاسلامية . انظر :

اليعقوبي : تاريخ جـ٢ ص ٤٨٩ ، الطبري : الامم ، جـ ٩ ، ص ١٨٥ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٨٨

(١٥٨) Cont. Thom. Ardz., p. 707, Canard, Arm. Califate, p. 396.

(١٥٩) انتصروا عليه في معركة جرت غرب بحيرة فان . انظر :

Cont. Thom. Ardz., p. 707, Grousset, l'Arménie,p. 356.

(١٦٠) يرى غازريان ان تكليف امير ارزن بهذه المهمة جاء من قبل المتوكل مباشرة ، وليس من ابي سعيد انظر :

Ghazarian, Arabischen, p. 51.

(١٦١) Cont. Thom. Ardz., p. 707, Laurent, Arménie, p. 197; Issaverdense, Histoire, p. 151.

وفي العام التالي ، أي في سنة ٢٣٧ / ٨٥١ هـ ، قرر المتوكل الانتقام من أشوط أردزروني ، وبقراط بقراطوني زعيمي أسرتي بقراط وأردزروني الكبيرتين ، واللذين قادا حركة التمرد ضد الخلافة . فكلف أبا سعيد المرزوي بالتوجه إلى أرمينية للمرة الثانية على رأس حملة قوية لتأديب المتمردين عليه من أمرء الأرمن ، وإثر وفاة أبي سعيد المفاجئة أوكل الخليفة قيادة هذه الحملة لابنه يوسف ، والقيام بالمهام نفسها التي أنيطت بأبيه[١٦٢] .

بذل يوسف جهدا كبيرا للقبض على أشوط أردزروني ، وبقراط بقراطوني تنفيذا لأوامر المتوكل الذي وعده باعطائه ممتلكاتهما في حالة نجاحه[١٦٣] . وحاول يوسف في البداية أن يجمع ما على هؤلاء من ضرائب متأخرة بالطرق الودية دون اللجوء إلى استعمال العنف ، فاستدعى إليه أشوط أمير فاسبوراكان ، ولكن الأخير أرسل والدته بدلا عنه ، والتي استطاعت أن تقنعه بالرجوع وأخذ الرهائن ، فوافق[١٦٤] على ذلك ، وتحرك باتجاه خلاط ودعا إليه بقراط بقراطوني ، فذهب إليه وكان يوسف يسيء الظن به ، لهذا كبله بالأغلال وأرسله هو ونبلاءه إلى سامرا[١٦٥] .

قرر يوسف ـ بعد أن أنجز الجزء الأكبر من مهمته ، قضاء فصل الشتاء القادم في مدينة موك Mook إلا أن الطريقة التي عامل بها الوالي العباسي يوسف الأمير الارميني بقراط بقراطوني أدت إلى اثارة الاستياء بين سكان منطقة خويث الجبلية ، مما جعلهم يهاجمونه ويحاصرونه في تلك المدينة ، ثم يقتلونه وهو مختبيء في الكنيسة في مارس ٨٥١م/شوال ٢٣٧ هـ .[١٦٦] وكان توماس أردزروني شاهد عيان لهذا الحادث ، اذ قال :

---

(١٦٢) Cont. Thom. Ardz., p. 707, Laurent, Arménie, pp. 197-198.

(١٦٣) Cont. Thom. Ardz., p. 707, Laurent, Arménie, p. 198; Grousset, Arménie, p. 357.

(١٦٤) Catholicos, Hist. Arménie, p. 105; Canard, Arm. Califate, p. 396; Issaverdens, Hist. Arménie, p. 153.

(١٦٥) Cont. Thom. Ardz., p. 708 ; Ghazarian, Arabischen, p. 51; Grousset, l'Arménie, p. 358; Issaverdens, Histoire, p. 154.

(١٦٦) يرى لوران أن من أسباب قتل يوسف ، قيام ـ أحد قادته ويدعي العلاء ابن أحمد الأزدي ـ بنهب دير في السيسجان Siskan ـ وتسميه المصادر العربية « دير الأقداح » ـ في منطقة خويث الجبلية ، تعرض رهبانه على أيدي قواته للاضطهاد والتعذيب . إلا أنه يرى أن السبب المباشر الذي أدى إلى انتقام سكان جبل سيم Sim ، وهم الساسون Sasouns القاطنين في منطقة خويث الجبلية ، وتقع في شمال غرب كردستان الحالية ، هو انتقامهم منه بسبب غدره بزعيمهم بقراط بقراطوني وأسره ، وارساله ألى سامرا Ghazarian' Arabischen' p. 51. ويشير البلاذرى الى حادثة نهب ذلك الدير ، ويرجع السبب المباشر لقتل يوسف لتلك الحادثة بقوله :

لقد رأيت بعيني الرجل الذي سدد الحربة إليه » ويقصد يوسف «[١٦٧].

وبعد مقتل يوسف هاجم الأرمن قواته المنتشرة بخطة محكمة أدت إلى تفرقها وانكسارها[١٦٨].

هكذا منيت قوات المتوكل بكارثة مروعة ، زادت من حدة الاضطرابات والقلاقل في أرمينية ، وجعلت علاج الموقف أكثر صعوبة ، كما أدت إلى ازدياد قوة مركز أمراء أسرتي أردزروني وبقراط ، وإلى قيام الأمراء العرب المسلمين المستقلين في بعض الإمارات هناك ، بالاستقلال بإماراتهم عن النفوذ العباسي . حيث استقل موسى بن زرارة أمير أرزن[١٦٩] ـ حليف بغداد بالأمس ـ وتحالف مع الأمراء الأرمن لتدعيم موقفه[١٧٠].

أمام هذه التطورات الخطيرة التي حدثت في أرمينية ، لم يكن أمام المتوكل سوى الإعداد لحملة تأديبية ، ينتقم بها من الأمراء الأرمن والعرب المسلمين ، ويعيد

« ثم أنه عمد عامل له يقال العلاء بن احمد إلى دير بالسيسجان يعرف بدير الأقداح لم تزل نصارى أرمينية تعظمه .. فأخذ منه جميع ماكان فيه وعسف بأهله فاكبرت البطارقة ذلك .. ودسوا إلى الخويثية .. في الوثوب بيوسف وحرضوهم عليه لما كان من حمله بقراط بطريقهم » . البلاذري : تاريخ ، ص ٢١٣ . ويرى جروسيه أن يوسف كان يعتقد بعد أسره أمير طارون بقراط ، أنه قد أخضع كل المتمردين لسلطته ، ولم يضع في حسابه شعب طارون نفسه ، لا سيما سكان الجبال في خويث .

ولقد روى ابن الأثير : أن يوسف قد ضبط تلك الناحية » ويقصد أرمينية « ووجه عماله إلى كل ناحية » . ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ١٨٦ . وهذا يعني أن يوسف استطاع تنفيذ المهمة التي كلفه بها المتوكل ، وأنه لم يقتل إلا عندما هوجم بغتة من قبل سكان جبل سيم . للمزيد حول هذه الحادثة : انظر :

Cont. Thom. Ardz., p. 708; Vardan, La Domination. p. 122; Ghazarian, Arabischen, p. 51; Grousset, l'Arménie, p. 358; Laurent, Arménie, p. 201.

(١٦٧) Cont. Thom. Ardz., p. 708; Vardan, La Domination, p. 122; Ghazarian, Arabischen, p. 51.

(١٦٨) Catholicos, Hist. Arménie, p. 96; Cont. Thom. Ardz., p. 708.

وانظر :

البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢١٣ ؛ اليعقوبي : تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤٨٩ ؛ الطبري ، الأمم ، جـ ٩ ، ص ١٨٧ .

(١٦٩) يذكر البلاذري ، أن موسى بن زرارة كان « ممن هوى قتل يوسف وأعان عليه غضبا لبقراط » فتوح البلدان ، ص ٢١٣ . وتؤكد اشارة البلاذري هذه أن هناك صلة ما بين بقراط وامير أرزن موسى بن زرارة ، وقد أوضحت المصادر الأرمينية هذه الصلة بأنها صلة نسب ، حيث تزوج موسى بن زرارة أخت بقراط وبعضهم ذكر أنها ابنته : انظر ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢١٣ ، وكذلك

Cont. Thom. Ardz., p. 6; Brousset, Historiens. p. 104.

(١٧٠) Grousset, l'Arménie, p. 359; Thopdschian, Inneren, p. 17.

للادارة العباسية مكانتها هناك . لذا أرسل قائده الفذ بغا الكبير عام ٢٣٧ هـ / ٨٥١ م . وبغا غلام تركي ، ارتقى في عهد المتوكل حتى أصبح من عداد القادة العظام عنده . واختاره الخليفة المتوكل ، وكله ثقة في قدراته العسكرية وكفاءته ودبلوماسيته[١٧١].

وتروى المصادر الأرمينية أن أوامر الخليفة العباسي لبغا كانت إخضاع أرمينية بالحديد والنار ، والقبض على كل أمرائها المتمردين على سلطته ، وفضلا عن هذا وذاك أرغام أمراء الأرمن على اعتناق الاسلام . وقد تكون تلك المصادر محقة فيما ذهبت إليه بشأن أوامر المتوكل لبغا بخصوص قمع تمرد المتمردين من أمراء الأرمن ، كسر شوكتهم بالقوة لأنهم أزعجوا الخلافة لفترة طويلة . ولكن فيما يتعلق بارغامهم على الدخول في الاسلام ، فهذا أمر نشك في صحته كثيرا . ثم من أين جاءت تلك المصادر بمعلوماتها هذه ؟ فهي من جهة ـ بعيدة جدا عن الأحداث التي دارت على أرض الإسلام ، ومن جهة أخرى لم تشر المصادر العربية إلى ذلك بكثير أو قليل . وكادت أن تجمع على أن سبب إرسال بغا بحملته هذه المطالبة بدم يوسف . ويميل الدارس إلى الأخذ بما جاء في هذه المصادر ، خاصة أنه لم يحدث أي نوع من هذا القبيل مع الأرمن عند فتح العرب لبلادهم أول مرة . وكان العرب حينذاك في أوج قوتهم ، وفي المقابل كان الأرمن ومن يناصرهم من البيزنطيين يمرون بمرحلة ضعف ، وليس لهم حول ولا طول لو أراد العرب إرغامهم على الدخول في الاسلام[١٧٢].

وأيا كان الأمر ، فقد زحف بغا إلى أرمينية على رأس جيش جرار ، وعند وصوله اتخذ من خلاط مقرا لقيادته ، وتقع شمال بحيرة فان[١٧٣] . وبدأ بغا بالخويثين سكان جبل سيم الذين قتلوا يوسف ، فقتل منهم عددا كبيرا . ثم انطلق منها إلى أمارة طارون ، لكي يأسر بقراط بقراطوني ـ الذي خلصه من أسره سكان

---

(١٧١) اليعقوبي : تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤٨٩ ؛ الطبري : الأمم ، جـ٩ ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ، وكذلك :

Catholicos, Hist. Arménie, pp. 105-106; Cont. Thom. Ardz., p. 731; Grousset, l'Arménie, p. 358;359.

(١٧٢) Catholicos, Hist. Arménie, pp. 105-106; Cont. Thom. Ardz. pp. 731-732; Laurent, Féodal, p. 163; Grousset, l'Armenie, p. 359.

(١٧٣) Laurent, Études, pp. 26-27, Laurent, Féodal, p. 163; Grousset, l'Arménie, p. 359.

الجبال بعد قتلهم يوسف المرزوي في موك ـ وولديه أشوط وداود وشقيقه سمباد بقراطوني . ونجح بغا في أسر بقراط بعد أن استدعاه بحجة تسليم أمور أرمينية إليه[١٧٤] . وبعد ذلك استطاع أسر معظم الأمراء الأرمن ، بعد أن أرسلهم إلى سامرا ، أرسل قائدا من قواده يدعى زيرك إلى إقليم شارونيك فتمكن من إخضاعه ، وفي الوقت نفسه سار بغا بنفسه إلى فاسبوراكان لأهمية هذا الإقليم ، وذلك لأنه مقر أسرة أردزروني الشهيرة . وبعد معارك ضارية مع أمرائها أسر كل زعماء هذه الأسرة باستثناء أمير منها يدعى جورجين بن أبي بلدج الذي نجح في الهرب مع بعض أتباعه إلى باجريفاند Bagrevand عند خاله وهو أمير من امراء ماميكونيان[١٧٥] .

وهكذا نجح بغا في إحكام قبضته على معظم أرمينية ، كما نجح في القبض على أكبر أمرائها . بعد ذلك ذهب ليستريح في دوين فيما بين سنتي ٨٥٢ ـ ٨٥٣ م / ٢٣٨ ـ ٢٣٩ هـ[١٧٦] .

وفي مطلع ربيع العام التالي توجه بغا شمالا إلى أيبيريا ، واستولى على العديد من الحصون ، ثم زحف على تفليس ، وافتتحها عنوة ، وقضى على ٥٠ ألفا من سكانها ، كما أسر أميرها المسلم إسحق بن إسماعيل وقتله ، لأنه تحالف مع بقراط بقراطوني ضد يوسف وساعد سكان الجبال على قتله . وهذا دليل على أن حملة بغا لم تكن موجهة ضد الأمراء الأرمن فقط ، بل أيضا كانت موجهة إلى الأمراء المسلمين

---

(١٧٤) Cont. Thom. Ardz., p. 725-726; Laurent, Féodal, p. 163.

(١٧٥) Catholicos, Hist. Arménie, p. 107; Cont. Thom. Ardz., p. 732; Laurent, Féodal, p. 164; Daghbaschean, Bragratidenreiches, p. 25; Canard, Arm. Califate, p. 396

ويشير البلاذري إلى الانجازات التي حققها بغا في حملته ضد أمراء أردزروني بقوله « ثم حاصر أشوط بن حمزة بن جاجق بطريق البسفرجان وهو بالبلق فاستنزله من قلعته وحمله إلى سر من رأى » فتوح البلدان ، ص ٢١٣ ؛ اليعقوبي : تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤٨٩ ؛ الطبري : الأمم ، جـ٩ ، ص ١٨٨ ؛ وابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٨٩ .

(١٧٦) يرى لوران أن سبب تفوق بغا على الأرمن ، أن جيشه بلغ تعداده ٢٠٠,٠٠٠ ، كما كان مسلحا تسليحا جيدا ، ومن ضمن أسلحته النار والكبريت المخلوطين بالنفط ، وقارورات زجاجية تحتوي على مواد سائلة بها خليط من الكبريت المسحوق ، وهذه وضعت على آلات القذف ، ونار جاهزة لالقائها على الأماكن الحصينة ، وأن هذه الأسلحة أدخلت الرعب في نفوس الأرمن . ويضيف أن من أهم الأسباب كذلك عدم توحدهم كقوة واحدة ، بل واجهوا بغا متفرقين ، كل يدافع عن حصنه على انفراد ، وهذا ما جعلهم فريسة سهلة لبغا ، فقام بأسرهم الواحد تلو الآخر . انظر :
Laurent, Féodal, pp. 164-166.

الذين تمردوا على حكومة سامرا من أمثال اسحق بن اسماعيل أمير تفليس وموسى بن زرارة أمير أرزن[١٧٧] .

وواصل بغا بعد ذلك سيره إلى أعماق أرمينية شمالا وشرقا مدمرا ومستوليا على العديد من الحصون ، ولم يقتصر على أرمينية وحدها ، بل عبرها إلى ألبانيا ، وقبض على أميرها أبا موسى عيسى[١٧٨] . وبعد تلك الإنجازات العظيمة التي حققها عاد إلى بلاط الخليفة في سنة ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م ، ومن خلفه أعداد هائلة من الأسرى الأرمن والأليان ، وبعد أن أخضع إمارات طارون ، وفاسبوراكان ، وسيوني ،وألبانيا وتفليس[١٧٩] .

وتشير المصادر الأرمينية إلى أن الأسرى الأرمن تعرضوا لألوان مختلفة من التعذيب في سبيل ارغامهم على الدخول في الاسلام ، وأن منهم من أذعن ، لكي يتخلص من التعذيب ، ومنهم من صمد على موقفه وتحمل شتى أنواع العذاب ومات في سبيل التمسك بدينه[١٨٠] .

---

(١٧٧) جاء في المصادر العربية وصف لحملة بغا هذه على أرمينية كالآتي :
بدأ بارزن ، وبعد أسر أميرها موسى بن زرارة ، توجه إلى سكان الجبال الذين قتلوا يوسف ، وبعد الانتقام منهم يمم شطر وجهه إلى الفاسبوراكان .
واستطاع أسر أميرها بالحيلة وهو أشوط أردوزروني وتسميه « أشوط بن حمزة ابن جاجيق » ، ثم ذهب بعد ذلك ليستريح في دوين قرابة شهر ، بعد ذلك انطلق منها إلى تفليس وبعد حرقها وقتل أميرها اسحاق بن اسماعيل ، وجه قائده زيرك لقلعة الجردمان ـ ويذكر الطبري أنها تقع بين بردعة وتفليس ، ـ وبعد أسر أميرها ، سار بغا إلي أمير البانيا عيسى بن يوسف الذي نجح في أسره . وبعد ذلك رجع إلى سامرا ومعه معظم أمراء الأرمن كأسرى . وقد فضل الباحث الأخذ بالوصف الذي جاء في المصادر الأرمينية لسير هذه الحملة ، وذلك لأن أحداثها جرت في أرمينية ، وهناك من المؤرخين الأرمن من عاصر تلك الفترة مثل توماس أردزروني وكان شاهد عيان لبعض أحداثها ، كما كان هناك المؤرخ الأرميني يوحنا كاتوليكس وهو الآخر معاصر لهذه الأحداث . انظر :
Cont. Thom. Ardz., pp. 731-735; Catholicos, Hist. Arménie, pp. 106-121.
وأيضا البلاذري : فتوح ، ص ٢١٣ ؛ اليعقوبي : تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤٨٩ ـ ٤٩٠ ؛ الطبري : الأمم ، جـ٩ ص ١٨٩ و ١٩١ ـ ١٩٣ .

(١٧٨) البلاذري : فتوح ، جـ ١٢٣ ؛ اليعقوبي : تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤٨٩ . وانظر :
Catholicos, Hist. Arménie, p. 114, Laurent, Études, p. 27, Ghazarian, Arabischen, p. 53.

(١٧٩) Cont. Thom. Ardz., pp. 731-735; Catholicos, Hist. Arménie, pp. 106-119; Laurent, Études, pp. 27-28; Toumanoff, Arm. Geor, p. 611.

(١٨٠) Cont. Thom. Ardz., p. 732 ; Catholicos, Hist. Arménie, pp. 108-110; Laurent, Études, p. 36; Grousset, l'Arménie, p. 362.

وما ترويه المصادر الأرمينية بخصوص تعذيب الأسرى الأرمن في سامرا ، أمر مشكوك فيه ، لأن هذا يخالف روح الاسلام الذي ينادي بالتسامح الديني ، ولكن هذا لا ينفي وقوع كثير من حوادث العنف والقسوة والسلب والنهب في أثناء حملات بغا على أرمينية . وهذا ما يفعله أي جيش يكون هو الطرف المنتصر في أي معركة ، وخاصة في العهد الذي جرت فيه هذه الأحداث . ولا شك أن العنف الذي اصطبغت به حملة بغا كان مرجعه المقاومة العنيفة التي أبداها الأرمن(١٨١) . فضلا عن اصرار الخليفة على تأكيد سلطة الخلافة العباسية ، وتأكيد سلطته شخصيا على أمراء الأرمن .

وكما حوت حملة بغا صورا من العنف مع الأرمن ، كانت لها جوانب طيبة مع بعض أمرائهم ، وتمثل هذا في تكريم بغا لسمباد بقراطونى ، وهو من أسرة بقراط وأميرموك في جيورجيا - حيث أضاف إلى إمارته إقليم أبليسياكس Upliscixc وهذا الأمير شارك باخلاص صادق المسلمين في هذه الحملات ، مما جعل بغا يكافئه ويستثنيه من المصير الذي تعرض له معظم أقرانه من الأمراء . وهناك أمير أرميني آخر هو سمباد أبو العباس ساعد هو الآخر المسلمين في أثناء هذه الحملات ، ولكن بغا لم يمنحه ثقته التي منحها لقربلاط جيورجيا ، وذلك لأنه احتال عليه حتى يصاحبه إلى سامرا ، وهناك القى عليه القبض وسجنه مع بقية الأمراء الأرمن(١٨٢) .

على أية حال ، بعد حملات بغا العنيفة على أرمينية ، وبعد توجهه عائدا الى سامرا ، عهد إلى إبراهيم بإمارة نقهتشفان Nakhichevan بعد أسر أميرها أرتفازد Artavazd كما وكل إليه إدارة أرمينية نيابة عنه في سنة ٢٤١ - ٢٤٢ هـ / ٨٥٥ - ٨٥٦ م(١٨٣) .

وقد شمل المتوكل بعطفه معظم الأمراء الأرمن الذين كثيرا ما تصدوا لقادته ، إلا أنه قتل هوفهانيس Hovhannius أمير خويت ، بسبب قتله قائده يوسف بن أبي سعيد ، كما قتل استيفانوس كون Stephannos Koun ، وهو أيضا من سكان الجبال

---

(١٨١)
Laurent, Féodal, pp. 164-165.

(١٨٢) الطبرى : الأمم جـ ٩ صـ ١٩٣ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٥ صـ ٢٨٩ انظر :
Laurent, Féodal, p. 164; Laurent, Études, pp. 26-27; Issaverdense, Histoire, pp. 158-159; Grousset, l'Arménie, pp. 364-367.

(١٨٣) Ghazarian, Arabischen, p. 54.
Cont. Thom. Ardz., p. 145; Laurent, Études, p. 38;

الذين أوقعوا خسائر جسيمة في جيش المسلمين في أثناء حملة بغا (١٨٤) . أما الآخرون فبعد قضائهم فترة ٦ سنوات سمح لهم بالعودة إلى إماراتهم ، بعد أن أغدق عليهم الكثير من المنح والهدايا الثمينة(١٨٥) . ويرى لوران أن هناك أسبابا كثيرة وراء تبدل سياسة المتوكل تجاه أسراه من الأمراء الأرمن . إلا أنه على الرغم من أن بغا قام بإخضاع أرمينية تماما للحكم العباسى ، فقد استمرت أعمال الشغب بعد عودته بفترة وجيزة ، وذلك لعدم تمكن الولاة العباسيين وحدهم من السيطرة على الأمور هناك ووضح أيضا للمتوكل أهمية وجود أمراء أرمن متحالفين معه ، لمساعدة ولاته في ضبط الأمور في بلادهم . كما تكشف للخليفة أن ترك أمراء الأرمن مذبذبي الولاء بينه وبين البيزنطيين ، هو أمر لا يخدم مصالح الادارة العباسية في أرمينية . وكان يفضل إبدال هؤلاء بآخرين ليس هناك شبهة في ولائهم له(١٨٦) .

وأيا كان الأمر ، فقد كانت حملات بغا ضد أرمينية ، آخر صحوة من جانب الخلافة العباسية لتأكيد سلطتها المركزية عليها ، إذ بدأ الضعف يدب في أوصال دولة بنى العباس ، وأخذت مشكلاتها تزداد ، والحركات المناوءة لها تشتد وتقوى(١٨٧) ، واستغلت بيزنطة حالة الضعف هذه ، وقررت استثمار الموقف لصالحها .

كما ازدادت أهمية الأمراء الأرمن في ظل هذا التطور الجديد . وأصبحوا مرغوبين من جانب العباسيين أكثر من ذى قبل ، كى يحافظوا على نفوذهم في أرمينية ، لهذا جاء إغداق الألقاب والخلع الثمينة على أولئك الأمراء من جانبهم ومن جانب الأباطرة البيزنطيين أيضا في محاولة جادة من كلا الطرفين لجذبهم إليهم . وأصبح كل طرف يحاول ما أمكنه كسب أكبر عدد ممكن من هؤلاء الأمراء إلى صفه . وهذا يعكس حرص المسلمين والبيزنطيين على ألا يتركا أرمينية تقع فريسة سهلة للطرف الآخر .

على أية حال ، كان مقتل الخليفة العباسي المتوكل تأكيدا لنهاية سلطة الخليفة وقوة الخلافة ، حيث أصبح الخليفة العباسي صنيع القادة العسكريين الأتراك الذين

---

(١٨٤) Catholicos, Hist. Arménie, p. 114, 117; Cont. Thom. Ardz., p. 152; Asolik, Univ. (Macter, p. 135, 137; Grousset, l'Arménie, p. 388.

Cont. Thom. Ardz., p. 162; Laurent, Féodal, p. 40.
(١٨٥) Laurent, Féodal, pp. 39-40.
(١٨٦)
(١٨٧) فاروق عمر : الخلافة العباسية ، ص ٦٦ .

غدوا يقيمونه ويعزلونه بقوة سيوفهم وبرماح جنودهم . وكان اغتيال المتوكل أول مؤامرة قتل ، تم تدبيرها ضد خليفة عباسي[188] . ويمكن القول إنه منذ مؤامرة القتل التى راح ضحيتها المتوكل في العاشر من ديسمبر سنة ٨٦١ م / الثالث من شوال سنة ٢٤٧ هـ ، وقعت الخلافة العباسية فريسة لتنازع القادة العسكريين ، وعلى رأسهم الأتراك للهيمنة على السلطة فيها ، وما تبع ذلك من اضطراب في أحوال الخلافة . وانشغل الخلفاء بمشكلاتهم مع الجند الأتراك ، فتراخت قبضتهم على الأقاليم ، وتغيرت بالتالي سياسة الخلافة العباسية تجاه أرمينية من شدة إلى لين[189] . وهـذا مـا شجـع الامبـراطـور البيـزنـطي ميخـائيـل الثـالـث (٨٤٢ - ٨٦٧م / ٢٢٨ - ٢٥٣ هـ) على انتهاز هذه الظروف ليشن هجومه على حدود الدولة العباسية قرب الفرات الأعلى في سنة ٨٦٣ م / ٢٤٩ هـ ، وقد تصدى له والى ارمينية العباسي على بن يحيى الأرميني ، الذي قتل في هذا الاشتباك[190] .

كانت النتيجة الحتمية لضعف نفوذ الخلافة العباسية على أقاليمها أن حاول خلفاؤ ها استمالة الأمراء الأرمن حيث بعد أن أخفق منطق القوة وأسلوبها لم يبق الا أسلوب المصانعة والسياسة عن طريق مداهنة كبار الامراء الأرمن ، فأطلقت سراح من بقى منهم في سجون سامرا وبغداد ، وسمحت لهم بالعودة مرة اخرى الى إماراتهم[191] وأملاكهم . وفي نهاية خلافة المستعين بالله (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ / ٨٦٢ - ٨٦٦ م) وفي أثناء ولاية على بن يحيى الأرميني ، تم تعيين أشوط

---

(١٨٨) المسعودى : مروج جـ ٢ ، ٤١ ، الطبرى: الأمم جـ ٩ ، صـ ٢٢٦ . ابن الاثير : الكامل جـ ٥ ص ٣٠١ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٣ صـ ٢٧٩ .

(١٨٩) اليعقوبي : تاريخ جـ ٢ ، ص ٤٩٦ . وانظر .
Laurent, Arménie, p. 218, Daghbaschean, Bragratidenreichis, p. V.

(١٩٠) اليعقوبي : تاريخ ، جـ ٢ صـ٤٩٦ ؛ الطبرى الأمم جـ ٩ صـ ٢٦١ ؛ ابن الاثير الكامل جـ ٥ ص ٣٣١ - ٣١٢ . وانظر :
Laurent, Arménie, pp. 250-253; Thopdschian, Inneren, p. 123; Grousset, l'Arménie, p. 378.

(١٩١) ارتد معظم هؤلاء عن الاسلام بعد عودتهم الى بلادهم انظر :
Catholicos, Hist. Arménie, pp. 121-122; Brosset, Historiens, p. 426; Canard, Arm. Califate, p. 397. Grousset, l'Arménie, p. 369.

الخامس - أو آشوط الكبير - أميرا على أمراء أرمينية وجيورجيا وبلاد القوقاز[192] .

ولقد أدى هذا إلى علو مكانة أسرة بقراط ، وارتقائها مرتبة سامية من جديد بين الأسر الاقطاعية الأخرى ، ويبدو أن أشوط هذا استعمل دبلوماسية نشطة لتدعيم مركزه ، فعمل على الارتباط بروابط المصاهرة مع أسرة أردزرونى في فاسبوراكان ، والأسرة الحاكمة في سيونى ، بأن زوج بنتيه من أميريها فضمن بهذا عدم اعتراضهما على تعيينه أميرا للأمراء[193] . وحصل كذلك على تأييد جاثليق أرمينية ، فأصبح موقفه قويا في بلاده، واتخذ جانب الحياد والحذر في الصراع البيزنطى الاسلامي بعد ذلك ، فالتف حوله الأمراء الأرمن وساندوه وأيدوا سياسته[194] .

ولا شك أن الأسباب التي ساعدت أشوط على تدعيم مركزه ، وزيادة قوته ، عجز الخلافة العباسية عن إقرار الأمور في أرمينية بسبب مشكلاتها العديدة ، وانشغال بيزنطة بخطر البلغار . كذلك كان حرص أشوط على أتباع سياسة حيادية متوازية ومتوازنة بين جارتيه القويتين ، كان عاملا من عوامل نجاحه . ولقد ساعد هذا على تمسك أرمينية بفضل شخصيته وسياسته الحكيمة التى حرصت أيضا على ربط الأسر الكبيرة بعضها بعض بروابط المصاهرة[195] .

وأخذت بيزنطة تراقب نمو سلطة أشوط بقراطوني باهتمام ، وفي الوقت الذي أدركت فيه بغداد أن ايجاد دولة قوية في جنوب القوقاز تتبع نفوذها ، يمكن أن تؤدى دور الدولة الحاجزة ، فتكون بذلك الدرع الواقي لها ضد أي هجوم قد يفكر فيه

---

(١٩٢) عين المستعين عاملة يحى بن على الأرميني واليا على أرمينية سنة ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م وكان تعيينه قد سبق تعيين أشوط بقراطوني بسنة كاملة .
ومن المحتمل أنه جاء من الشام سنة ٨٦١ م / ٢٤٧ هـ ليعلن لأشوط أميرا للأمراء ويرجح ان يكون هذا قد حدث في أواخر عهد المتوكل . ولكن من الثابت أن التعيين الرسمي لأشوط تم في عهد المستعين ، وهذا ما أجمعت عليه المصاد العربية الأرمينية ، انظر :
Catholicos, Hist. Arménie, p. 122; Brosset, Historiens, p. 427, Mikhtar, Chronologique, p. 120; Thorossian, Hist. Arm. Peup. p. 95; Thopdschian, Inneremp. p. 22.

(١٩٣) بهذا الزواج الدبلوماسي استطاع اشوط تدعيم مصالح الأسر الأرمينية ، بعضها مع بعض وبهذا مهد لقيام الدولة الأرمينية فيما بعد انظر .
Catholicos, Hist. Arménie, p. 122; Cont. Thom. Ardz., p. 166; Orbelian, Siounie, p. 102; Daghbaschean, Pragratidenreich, p. 44.

(١٩٤) Catholicos, Hist. Arménie, p. 120; Laurent, Arménie, p. 107; Nersessian, Etudes, p. 300.

(١٩٥) Catholicos, Hist. Arménie, p. 123;

البيزنطيون . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى أدرك البيزنطيون كذلك في ظل المتغيرات الطارئة في القرن التاسع الميلادي (القرن الثالث الهجري) أن من الأفضل لهم الاحتفاظ بجيوشهم في آسيا الصغرى للدفاع عنها ضد أطماع المسلمين ، مع ترك أرمينية تنمو ، ولقد حاولت القوتان كسب ود الأرمن ، بل تسابقتا إلى ذلك[١٩٦] .

وفي ظل هذا التطور الذي بلغته أرمينية في عهد أمير الأمراء أشوط بقراطوني ، أصبحت سلطة الولاة المسلمين ظاهرية أو اسمية ، بل إن بقاءهم غدا مرتبطا برغبة أمير الأمراء الأرمني ، الذي كان بامكانه عزلهم عندما يشعر بخطورتهم عليه[١٩٧] . ولقد استفادت الخلافة العباسية من نمو سلطة أشوط ، بسبب تصديه للامارات العربية المستقلة في أرمينية ، والمعروف أنه دخل في حرب ضد القيسيين ، وانتصر عليهم[١٩٨] .

هذا ، وبعد نجاح أشوط بقراطوني ، وعلو مكانته ، وانتصاراته التي حققها على الامارات العربية ، التف حوله الأمراء الأرمن ، وانتخبوه ملكا عليهم ، وأرسلوا إلى الخليفة العباسي المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ / ٨٧٠ - ٨٩٢ م) يطلبون تأييده ، وأن يرسل له تاج الملك . وأكدوا للخليفة أنهم ما زالوا أتباعه ، بدليل استمرارهم في دفع الجزية له[١٩٩] .

على أية حال ، تم انتخاب أشوط ملكا على يد الجاثليق الأرمني جورج الثاني George II في احتفال مهيب في سنة ٨٨ م / ٢٧٢ هـ . ولقد استجاب الخليفة العباسي لمطلبهم هذا ، وأرسل إلى أشوط بتاج الملك مع واليه عيسى بن شيخ الشيباني (٢٥٦ - ٢٦٦ هـ / ٨٧٩ - ٨٧٩م) الذي منحه التشريفات والخلع والهدايا الثمينة ، ثم تم تتويج أشوط رسميا في الكنيسة الأرمينية ، وهكذا عادت الملكية إلى أرمينية بعد غياب طال أربعة قرون[٢٠٠] .

---

(١٩٦) Morgan, Peuple, p. 125.

(١٩٧) Thopdschian, Inneren, p. 25; Toumanoff, Arm. Geor. p. 612.

(١٩٨) Issaverdens Hist. Arménie, p. 177; Grousset, l'Arménie, p. 376.

(١٩٩) Catholicos, Hist. Arménie, pp. 122-123; Mikhtar, Chronologique, p. 42; Brosset, Collection, p. 427.

(٢٠٠) Catholicos, Hist. Arménie, p. 123; Brosset, Collection, p. 427; Morgan, Peuple, p. 416; Vasiliev, Empire, p. 416; Bŕehier, Vie, p. 118; Nersessian, Études, p. 300.

كان اختيار اشوط ملكا على أرمينية اختيارا موفقا من جانب الأرمن ، لأنه عرف كيف يتبع سياسة متوازية ومتوازنة بين الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية ، وقد مكنته هذه السياسة من اعادة التكوين السياسي لمملكة أرمينية . ولكن يلاحظ أنه على الرغم من اتساع أملاكه ، ألا أن سلطته ظلت محدودة ، بسبب النظام الاقطاعي ، ولأنه كان ملتزما بدفع الجزية للعباسيين . وكان عليه التزامات معنوية نحو الامبراطور البيزنطى هذا اذا أراد الاحتفاظ بسياسة التوازن التي انتهجها كملك لأرمينية[٢٠١] .

ومما لا شك فيه ان التطور الذي حدث في أرمينية ، وقيام الخليفة بمنح تاج ملكي لاشوط ، أثار الامبراطور البيزنطي باسيل الأول (٨٦٧-٨٨٦م / ٢٥٣ - ٢٧٣هـ) فسارع بدوره الى ارسال تاج مماثل الى الملك أشوط بقراطوني[٢٠٢] .

وهكذا اصبح متوجا من قبل العاهلين الاسلامي والبيزنطي ، وهذا ما سيحدث مع خلفاء أشوط فيما بعد . ولا شك أن دوافع الامبراطور باسيل الأول تنحصر في تثبيت النفوذ البيزنطي في أرمينية ، وأن قبول أشوط التاج البيزنطى كان يعني أنه لازال تابعا للامبراطورية ولو تبعية اسمية[٢٠٣] .

بعد تعيين اشوط ملكا ، قام بتعيين ابنه وليا للعهد ، ومنحه لقب أمير أمراء أرمينية . كما عين أخاه عباس في منصب القائد العام ، ويلاحظ أن الملك الأرمني أصبح بمقدوره منح الألقاب ، وكان هذا من اختصاص الخليفة العباسي من قبل[٢٠٤] .

ومهما كان الأمر ، فقد ظل البقراطيون تابعين لسلطة الخليفة ، وكان البيزنطيون يسمحون لهم بالاحتفاظ بلقب الملك ، ويلاحظ - أن أول ملكين من البقراطيين فقط خضعا لنفوذ الخليفة ، ولكن في ظل الضعف المتزايد للعباسيين لم يخضع بقية ملوكهم ، بل امتنعوا عن دفع الجزية التي كانت مقررة عليهم . كما استطاع الملك

---

(٢٠١) Morgan, Peuple, p. 130, Laurent, Arménie, pp. 123-125.

(٢٠٢) Catholicos, Hist. Arménie, pp. 124-125; Mkhithar, Chronologique, p. 126; Thorossian, Hist. Arm. Peop., p. 90; Issaverdens, Hist. Arménie, p. 178; Nersessian, Études, p. 30.

(٢٠٣) Morgan, Peuple, p. 125; Thorossian, Hist. Arm. Peup., p. 90.

(٢٠٤) Toumanoff, Arm. Geor, p 612; Thopdschian, Inneren, p. 35; Canard, Arm. Califate, p. 403.

أشوط الثاني (٩١٤ - ٩٢٩ م / ٣٠٢ - ٣١٧هـ) أن يستقل عن الخليفة والامبراطور معا[٢٠٥] .

والجدير بالذكر أن قيام الخلافة العباسية بتتويج أشوط ملكا على أرمينية ، جاء متمشيا مع التطورات السياسية المعاصرة آنذاك ، والتي كان من أهمها ظهور الحركات الاستقلالية في الخلافة ، فضلا عن احساس الخلفاء بالعجز عن الوقوف في وجه النزعات الاستقلالية في أرمينية ، لهذا لم ير الخليفة المعتمد غضاضة في الاستجابة لمطلب الأمراء الأرمن بمنح أشوط تاج الملك وهذا يعني أن الخلفاء صاروا عاجزين عن تأكيد نفوذهم في أرمينية ، فاذا كان ولاتهم أصبحوا أضعف من أن يؤدوا هذه المهمة لهم ، فليؤدها ملك من الأرمن .

ودلت مسارعة باسيل الأول بمنح التاج الى أشوط على عجزه عن استثمار مشكلات الخلافة العباسية الداخلية والخارجية ، وحاجته لحلفاء له في أرمينية . وهذا ما دفعه الى عقد معاهدة صداقة مع أشوط ، دعاه فيها بابنه العزيز ، وأعلن خلالها أن المملكة الأرمينية البقراطية هى حليف خاص لبيزنطة[٢٠٦] .

وتوطيدا لهذا التحالف قام الملك أشوط برحلة الى القسطنطينية في عهد الأمبراطور ليو السادس المعروف بليو العاقل (٨٨٦ - ٩١٢ م / ٢٧٣ - ٣٠٠ هـ) . .[٢٠٧] .

ولكن اشوط مات في رحلة عودته سنة ٨٩٠ م / ٢٧٧ هـ[٢٠٨] .

وهكذا نجح أشوط في استغلال الظروف المواتية ، فجعل جارتيه القويتين تكرسانه ملكا على بلاده في وقت واحد . وكان كل من المسلمين والبيزنطيين يهدفون من جراء منحه تاج الملك الى جذبه اليهم لتدعيم نفوذهم في أرمينية ، وكان هذا كله قبل كل شيء في صالح أرمينية ، وفي سبيل أن تبقى دولة حاجزة بين الخلافة الاسلامية والامبراطورية البيزنطية .

---

(٢٠٥) Daghbaschean, Bragatidenreiches , p. V.

(٢٠٦) Catholicos, Hist. Arménie, p. 140; Grousset, l'Arménie, pp. 395-396.

(٢٠٧) Thorossian, Hist. Arm. Peup., p. 50; Nersessian, Études, p. 301.

(٢٠٨) Catholicos, Hist. Arménie, pp. 128-129; Cont. Thom. Ardz., p. 182.

ظل اشوط هذا - أميرا للأمراء لمدة ٣٢ سنة وملكا لمدة خمس سنوات . انظر :

Thorossian, Hist. Arm. Peup., pp. 90-91.

الفصل الرابع

أرمينية بين انحسار النفوذ العباسي ومد النفوذ البيزنطي
(٨٨٥ - ٩٥٣م/ ٢٧٢ - ٣٤٢هـ)

يعدّ القرن العاشر الميلادي (القرن الرابع الهجري) نقطة تحول هامة في تاريخ منطقة الشرق الأدنى بصفة عامة ، وتاريخ العلاقات البيزنطية الاسلامية الأرمينية بصفة خاصة . فقد شهد هذا القرن زيادة الاضمحلال الذي أصاب الخلافة الاسلامية ، كما شهد أيضا بداية استرداد الامبراطورية البيزنطية لقوتها . وكان لهذا التطور الخطير أثره الكبير في أرمينية بحكم موقعها بين هذين الكيانين السياسيين الكبيرين .

ففي هذا القرن كان عهد قوة الخلافة العباسية قد ولى ، وبدأت الخلافة فيه عصرا جديدا من الضعف والاضمحلال ، الذي ترجع جذوره الى عصر الخليفة المعتصم بالله (٢١٨ - ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ - ٨٤٢م) بسبب اعتماده على الأتراك ، واستبعاده عنصري الفرس والعرب[1] . وبالتدريج أوكلت الى الأتراك المناصب العليا في الدولة ، ففرضوا سيطرتهم ، وتدخلوا في كل أمور الخلافة ، فضاعت هيبة الخلفاء ، وتطور الأمر فيما بعد الى تدخل قوادهم في اختيار الخليفة بأنفسهم ، مما جلب على الخلافة أعظم الشرور ، وأصبح الخليفة ألعوبة في أيديهم ، وغدا بقاؤه

---

(١) يرى الدكتور فاروق عمر : أن ظهور الأتراك في بلاط الخلافة العباسية بدأ منذ عهد المنصور ، **الخلافة العباسية** ، ص ٣٧ . ويرى الدكتور علي الخربوطلي : أن استخدامهم الفعلي كان في عهد الخليفة المأمون ، وذلك لكي يحد بهم من المنافسة التي استعرت بين العرب والفرس في عهده ، اثر الفتنة التي اندلعت بينه وبين شقيقه الأمين ، والتي كانت نتيجتها تغلب المأمون بمساندة العنصر الفارسي على شقيقه الأمين ومؤيديه من العرب . ولكن الأتراك لم يصبحوا خطرا على الدولة وقتها ، لأنها كانت في أوج قوتها وعظمتها . **غروب الخلافة** ، ص ١٢٣ . عن استخدام المعتصم للأتراك ؛ انظر : الطبري : الأمم ، جـ ١٠ ، ص ٣١٠ - ٣١١ ؛ المسعودي : مروج ، جـ ٢ ، ص ٣٦٦ ؛ عبدالمقصود نصار : **العصر العباسي الأول** ، ص ١١٨ - ١١٩ .

مرهونا برضاهم[٢] .

وتعددت المنازعات بين الجند الأتراك الذين قاموا بالكثير من الثورات ، ليس ضد الخليفة العباسي فقط ، بل ضد رؤسائهم ، مما جعل هؤلاء الرؤساء يشعرون بعدم الاطمئنان على مستقبلهم في بغداد . وقد دفعهم هذا الى البحث عن ولايات يحكمونها في جنوب العراق ، أو الشام ، أو مصر ، أو في أطراف الدولة[٣] .

وزاد الأمر سوءا ظهور الكثير من الفتن في هذا العصر ، فضلا عن بوادر الانفصال ، في العديد من ولايات الخلافة ، وكانت في معظمها تستهدف الاستقلال بالحكم مع الاعتراف بالسلطة الروحية للخليفة فقط[٤] . فظهرت امارة الحمدانيين في الجزيرة ، وسيطر البويهيون على فارس ، واستقل البريديون في خوزستان ، والطولونيون في مصر والشام[٥] . وهكذا انفصلت عدة ولايات عن كيان الدولة العباسية ، وأصبح نفوذ الخليفة الفعلي قاصرا على بغداد وحدها ، وان بقي له النفوذ الروحي على الولايات التي استقلت بأمورها[٦] . إلا أن الأمر لم يقتصر عند هذا الحد ، بل أصبح أكثر سوءا بالنسبة للخلفاء ، وذلك عندما امتنع الكثيرون من ولاة تلك الأقاليم عن دفع ما عليهم من الضرائب المقررة على أقاليمهم الى بغداد . وترتب على ذلك عجز الخليفة عن مواجهة متطلبات حكومته ، كما أثر هذا على قدرة الحكومة على تجنيد قوات للمحافظة على سلطانها والدفاع عن نفسها .

---

(٢) وعن سيطرة الأتراك على مقاليد الأمور في الخلافة العباسية ، انظر :
الطبري : الأمم ، جـ ١٠ ، ص ٢٤٤ - ٢٤٦ ؛ المسعودي : التنبيه ، ص ٣٣٠ - ٣٣٣ ؛ مسكويه : تجارب الأمم ، جـ ١ ، ص ٢٦٤ وما بعدها ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٧٣ ؛ المقدسي : البدء في التاريخ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ؛ ابراهيم العدوي : التاريخ الاسلامي ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ وانظر :
Bowen, Life and Times, p. 321. ff.

(٣) فاروق عمر : الخلافة العباسية ، ص ٩٥ .

(٤) انظر عن الفتن التي ظهرت في هذا العصر : الطبري : الأمم ، جـ ٩ ، ص ٤١٠ ؛ المسعودي : مروج ، جـ ٢ ، ص ٣٤٦ ، ٤٧٠ وما بعدها ؛ ابن الأثير : الكامل : جـ ٥ ، ص ٣٣٣ - ٣٤٦ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ص ٢٤٠ .

(٥) كان بعض قادة هذه الحركات الاستقلالية ، الذين انفصلوا عن جسد الخلافة العباسية لا يعترفون بالسلطة الروحية للخليفة : مثل الدولة الأموية بالأندلس ١٣٩هـ/٧٥٦م ودولة الأدارسة في المغرب ١٧٢هـ/٧٨٨م ، والأغالبة في تونس ١٨٤هـ/٨٠٠م . للمزيد عن هذه الحركات . انظر :
ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٣ ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ ؛ المسعودي : مروج ، جـ ٢ ، ص ٢٣٤ .

(٦) ويذكر المسعودي في معرض كلامه عن استقلال ولايات الخلافة عن بغداد ، وتغلب ولاتها عليها ، وتمردهم على نفوذ الخلفاء العباسيين ، قائلا : « أمّا ما نأى عنهم من البلدان ، فتغلب على أكثرها المتغلبون ، واستظهروا بكثرة الرجال والأموال ، واقتصروا على مكاتبتهم بامرة المؤمنين والدعاء لهم . وأما بالحضرة ، فتفرد بالأمور غيرهم ، فصاروا مقهورين خائفين ، قد قنعوا باسم الخلافة ورضوا بالسلامة » . التنبيه ، ص ٣٦٢ .

والجدير بالذكر أن خزانة الحكومة المركزية كانت عند مجيء الخليفة المعتضد الى الحكم في سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م ، خاوية بلا أية أموال لأول مرة في تاريخ الخلافة العباسية[٧] . ولقد شجعت هذه الظروف على زيادة الاتجاه نحو الاستقلال بولايات الدولة ، بعد أن أدرك القادة عجز الحكومة المركزية عن اخضاعهم .

ومن بين القادة الذين انتهزوا فرصة ضعف الخلفاء وحكومتهم المركزية ، محمد بن ديوداد بن يوسف المعروف بالأفشين ، أو بابن أبي الساج[٨] . ولقد استطاع هذا القائد أن يرغم المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩هـ/ ٨٩٢ - ٩٠٢م) على التخلي له عن ولاية أذربيجان كاقطاع اداري عسكري . ومنذ ذلك الوقت استقلت أسرة الساجيين بمنطقة أذربيجان ، كما هيمنت على أرمينية بحكم تبعيتها الادارية بأذربيجان . وكان لهذا الموقف عواقب وخيمة على أرمينية التي أصبحت لفترة من الزمن تتبع أمراء أذربيجان المستقلين عن بغداد استقلالا ذاتيا ، وان كانوا يتبعون الخلافة العباسية تبعية اسمية[٩] .

---

(٧) الصابي : الوزراء ، ص ٩ - ١٠ .

(٨) الساجيين : هم من الأتراك القيسيين ، وقد جاءوا من شمال شرق فارس ، واستقروا في اقليم أبا هونيك في غرب بحيرة فان ، انظر :
Brosset, Siounie, pp. 37-38, 55 .
وأبرز شخصيات هذه الأسرة أبو الساج ديوداد (ديفداد) بن يوسف ابن ديوروست (ديودست) وولداه : محمد ويوسف . وكان أبو الساج ديوداد أحد كبار قادة الخليفة العباسي المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ/ ٨٤٧ - ٨٦١م) الذي عهد اليه امارة طريق مكة في سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م ورغم ذكر الطبري لهذا التاريخ ، الا أنه يرجح توليه هذه الامارة في سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م انظر : الأمم ، جـ ٩ ، ص ٢١٠ . وتوفي أبو الساج ديوداد في سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م ، وترك وراءه ابنين هما : محمد ويعرف بالأفشين ويلقب بأبي عبدالله ، أما الابن الثاني فيدعى يوسف . وقد حل محمد (الأفشين) محل أبيه ، في تولي حراسة طريق مكة .
وحوالي سنة ٢٧٩هـ/٨٩٠م عينه الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩هـ/ ٩٠٢ - ٩٠٨م) واليا على أذربيجان وتوابعها ، ومنها أرمينية . فأعاد الاستيلاء على دوين من الملك الأرميني سمباد الأول (٨٩٠ - ٩١٣م/ ٢٧٧ - ٣٠١هـ) ، وجعلها مرة أخرى عاصمة للحكم العربي في أرمينية في سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م . ولقد توفي محمد هذا في سنة ٢٨٨هـ/٩٠١م في برذعة اثر انتشار وباء الطاعون في تلك المنطقة ، وكان يستعد لشن حملة جديدة على الملك الأرميني سمباد . ومن بعده أرغم شقيقه يوسف ابن أخيه دفداد - الذي تولى بعد والده حسب رغبة جند أبيه - على التنازل له عن الحكم ، وخيره بين البقاء معه ، أو الذهاب الى بغداد ، فاختار الأخيرة . انظر للمزيد عن الساجيين :
الطبري : الأمم جـ ٩ ، ص ٣٧١ ، ٥١٣ وما بعدها ، ٦١٣ وما بعدها ، جـ ١٠ ، ص : ٨ ، وما بعدها ؛ ابن الأثير : الكامل : جـ ٥ ، ص ٣٣٤ ، جـ ٦ ، ص ٢ ، وما بعدها ، وانظر :
Catholicos, Hist. Arménie, pp. 177-178; Cont. Thom. Adrz., p. 724; Asolik, Univ. (Dulaurier), 13, n. 3; Defrémery, Sadjides, p. 410.

(٩) p. Defremery, Sadjides, p. 434.

هذا ، ومن بين النتائج المباشرة التي نتجت عن ضعف الخلافة ، اهمال الخلفاء تدعيم الثغور[10] ، تلك الثغور التي كانت حصونا أمامية لدار الاسلام. وحين توقف دعم الحكومة المركزية لتلك الثغور لم يكن أمامها سوى الاعتماد على امكاناتها المحلية المحدودة ، ولم تكن لتستطيع الاستمرار بهذا الشكل لفترة طويلة فقد كانت صغيرة وموقعها مكشوف ، لهذا لم يكن بوسعها الصمود لوقت طويل دون دعم عسكري ومالي كبير من جانب الحكومة المركزية ببغداد ، فكان سقوطها أمام المد البيزنطي مسألة وقت لا غير[11] .

وبينما كانت الخلافة العباسية تعاني من عوامل الضعف والانحلال ، دخلت الامبراطورية البيزنطية مرحلة جديدة تميزت بالقوة والحيوية في القرن العاشر الميلادي (القرن الرابع الهجري) . وترجع الأسباب الكامنة وراء هذا إلى دخول دماء جديدة إلى الكيان الامبراطوري ، والتي كانت في أغلبها دماء عنصرين : هما الأرمن والسلاف[12] .

ولا شك أن الامبراطورية البيزنطية تدين لهذين العنصرين الجديدين بالكثير ، لأنهما جددا شباب الامبراطورية .

والجدير بالذكر أن باسيل الأول المقدوني مؤسس الأسرة المقدونية التي شهد عهدها العصر الذهبي للامبراطورية البيزنطية ، كان يجسد حقيقة التجديد الذي حدث في الكيان الامبراطوري . فالأسرة المقدونية سميت بهذا الاسم ، لأن باسيل الأول ولد في مقدونيا من أب أرميني وأم سلافية[13] ، ففي هذا الرجل اتحد

(١٠) يعرف ياقوت الثغور بقوله انها « كل موضع قريب من أرض العدو . . . وهو في مواضع كثيرة : وتعرف بالثغور الشامية والثغور الجزرية » ، للمزيد عن الثغور ، أنظر :
ياقوت : معجم ، جـ ٢ ، ص ٧٩ - ٨١ ؛ فتحي عثمان : الحدود ، جـ ١ ، ص ٢٨٥ - وما بعدها .

(١١) يشير ابن العديم إلى حالة الضعف التي وصلت اليها الثغور بقوله « مازال مشحونا من ملوك المسلمين بالراجل والراكب ، إلى أن قصرت الهمم ، وولي من تعلق وظلم ، واشتغلوا باللذات ، وتعاطوا الأمور النكرات ، فضعف أمر الثغور واختل ، ووهي عقد نظامها وانحل . . . وحل بالمسلمين من أعداء الله الشدة والبؤس » . انظر : بغية الطلب ، ورقة ٨ ؛ فتحي عثمان : الحدود ، جـ ١ ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(١٢) Charanis, Arm. Byz. Emp., pp. 17-28.
وانظر : وسام عبدالعزيز : دراسات ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

(١٣) Vasiliev, Macedonian, pp. 148-165; Adontz, Origine, pp. 475-477.
وانظر أيضا :
وسام عبدالعزيز : دراسات ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

العنصران الرئيسيان وهما : الأرمن والسلاف ، وكان اتحادهما هو الذي أدى إلى العظمة البيزنطية ، بحيث مال مركز الثقل في الصراع بينها وبين الخلافة العباسية إلى جانبها .

ولم يكن هذا هو السبب الوحيد وراء ذلك التجديد الذي أصاب كيان الامبراطورية البيزنطية في القرن العاشر ، إذ كان يقابله من الجانب الآخر اضمحلال الخلافة العباسية وضعفها[14] . وإذا كانت الامبراطورية البيزنطية ، والخلافة العباسية ، قد شكلا نوعا من توازن القوى في القرن التاسع الميلادي (القرن الثالث الهجري) ، يشبه إلى حد بعيد ذلك التوازن الذي وجد بين البيزنطيين والفرس من قبل ، فان اضمحلال الخلافة العباسية من ناحية ، وازدياد قوة الامبراطورية البيزنطية من جهة أخرى ، أدى إلى تغير في ميزان القوى لصالح الجانب البيزنطي[15] حسبما أسلفنا ، وذلك بسبب الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي احاطت بكل منهما ، وقتذاك .

وكان هذا تحولا خطيرا في العلاقات الاسلامية البيزنطية . فلأول مرة منذ ثلاثة قرون تقريبا ، يرجح فيها ميزان القوى لصالح الامبراطورية التي كانت منذ القرن السابع في وضع دفاعي امام الحملات الكبرى ، والصوائف والشواتي التي قام بها العرب المسلمون ضد اقاليمها[16] . ولقد صمدت بيزنطة للخطر الاسلامي واحتوته ، ثم جددت شبابها بدماء جديدة ، واستغلت الضعف والانحلال الذي

(١٤) عن ضعف الخلافة العباسية انظر : اليعقوبي : البلدان ، جـ ٢ ، ص ٤٩٤ وما بعدها ؛ الطبرى : الأمم ، جـ ٩ ، ص ٢٣٤ - ٤٧٤ ؛ المسعودى : مروج ، جـ ٢ ، ص ٤٣٣ - ٤٧١ وما بعدها ؛ السيوطي : تاريخ ، ص ٣٥٦ - ٣٦٣ ، ٣٧٦ وانظر :
Canard, Arm. Califate, p. 404; Runciman, Lecapenus, p. 123.
وانظر كذلك : علي حسني الخربوطلي : غروب الخلافة الاسلامية ، ص ١٢٤ - ١٢٩ ؛ فاروق عمر : الخلافة العباسية ، ص ٧٠ - ٧٦ ، ٨٩ - ١٠٦ .

(١٥) Canard, Arm. Califate, p. 404.
وانظر أيضا :
نبيه عاقل : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢١٧ ؛ وسام عبدالعزيز : دراسات ، ص ٢٥٧ .

(١٦) Runciman, Lecapenus, pp. 136-137.
وانظر أيضا : محمد شعبان : الدولة العباسية ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ؛ نبيه عاقل : الامبراطورية البيزنطية ، ٢٢٢ - ٢٢٦ ؛ وسام عبدالعزيز : دراسات ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

أصاب السلطة المركزية للخلافة العباسية ، وما ترتب عليه من ظهور كيانات سياسية صغيرة كانت أعجز من أن تدافع عن نفسها . فانتهزت الامبراطورية البيزنطية هذه الفرصة وتخلت عن سياسة الدفاع وتبنت سياسة الهجوم[١٧] .

ولقد تناولنا في الفصول الثلاثة السابقة وضع أرمينية بين الكيانين السياسيين المجاورين لها : الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية . وتبين لنا أن الخلافة الاسلامية سواء الأموية ، أو العباسية في عصر قوتها ، كانت لها اليد العليا في أرمينية ، بسبب الضغط الاسلامي العام الذي تمثل في الحملات الكبرى والاغارات المستمرة الصغرى التي استهدفت آسيا الصغرى ، وأيضا بسبب حرص الامبراطورية على اتباع سياسة دفاعية لامتصاص هذا الخطر الاسلامي المتدفق[١٨] .

هذا ، وكان طبيعيا بعد أن تغير ميزان القوى لصالح الدولة البيزنطية أن تنبذ سياسة الدفاع ، وتلجأ إلى سياسة الهجوم . كما كان طبيعيا أن يكون لهذا التغير آثار كبيرة وعميقة على أرمينية بشكل عام[١٩] . وقبل التعرض لرد الفعل الأرميني حيال ذلك المنعطف الخطير ، الذي أصاب العلاقات البيزنطية الاسلامية ، يجدر بنا أن نتناول بايجاز أهم مظاهر هذا التحول الكبير ومراحله المتمثل في سياسة التوسع والفتح التي اتبعتها الامبراطورية البيزنطية ضد الشرق الأدنى الاسلامي .

لقد بدأ الهجوم البيزنطي بشكل واسع النطاق ضد المسلمين في الربع الثاني من القرن العاشر الميلادي (الربع الثاني من القرن الرابع الهجري) الا أن مقدمات هذا الهجوم ترجع إلى عهد الامبراطور ميخائيل الثالث من الأسرة العمورية . ففي عهده بدأت الادارة البيزنطية ترد على الاغارات الاسلامية باغارات

---

(١٧) Runciman, Lecapenus, p. 136; Canard, Arm. Califate, p. 404.

وانظر أيضا :

وسام عبدالعزيز : دراسات ، ص ٢٥٨ . Runciman, Byzantine, p. 287.

(١٨) Runciman, Lecapenus, p. 124.

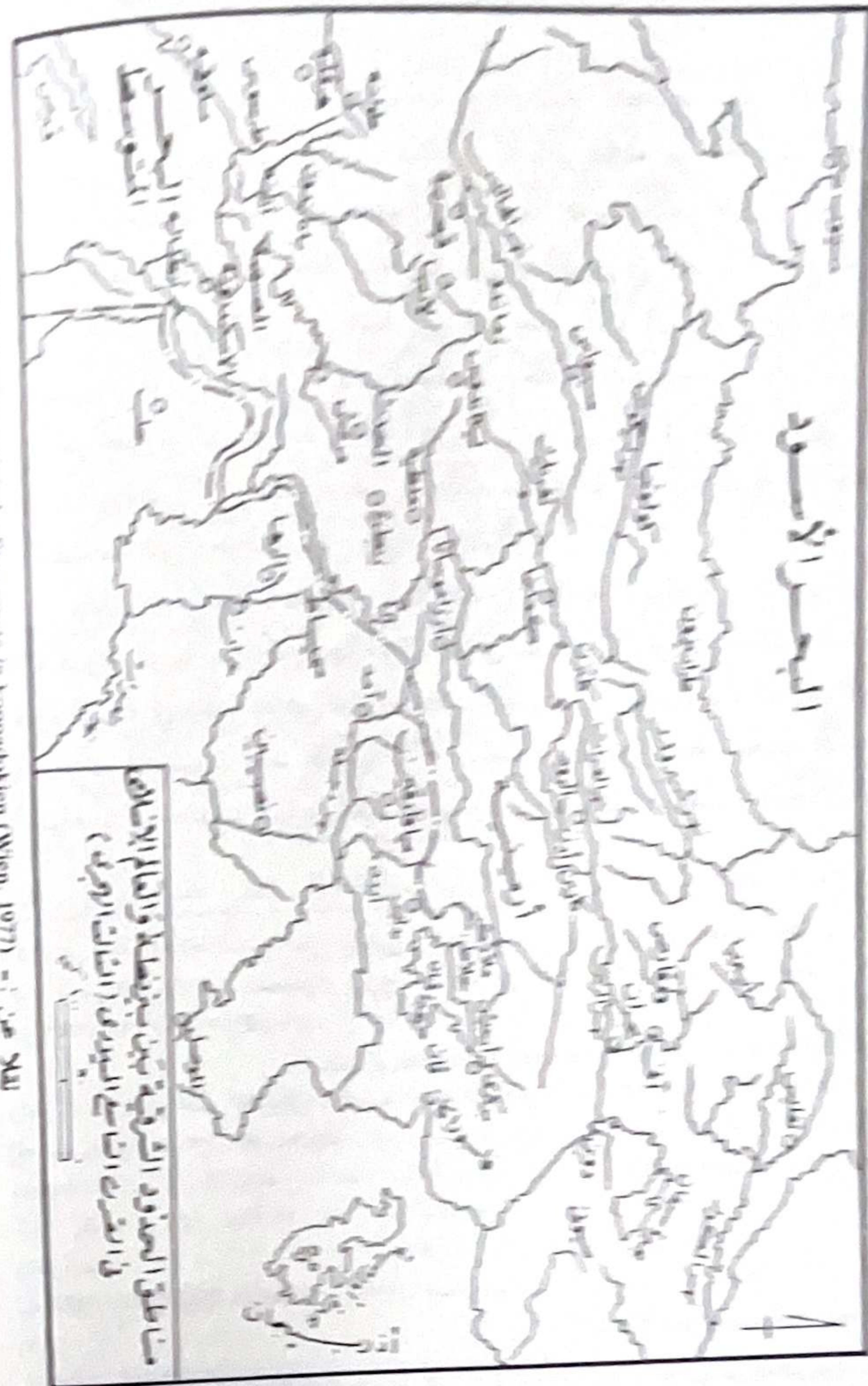
وانظر : وسام عبدالعزيز : دراسات ، ص ٢٥٧ .

(١٩) Jenkins, Byzantium, p. 246; Canard, Arm. Califate, p. 404.

وكذلك :

فتحي عثمان : الحدود ، جـ ٢ ، ص ٢٢٩ .

خريطة رقم (٦) مناطق الحدود الشرقية بين بيزنطة والعالم الاسلامي في القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري)



نقلا عن : F. Hild, Das Byzantinische Strassennetz in Kappadokien (Wien, 1977).

مماثلة برا على منطقة الثغور[٢٠] وبحرا على موانىء مصر[٢١] .

وليس أدل على نجاح الرد البيزنطي على الاغارات الاسلامية في عهد هذا الامبراطور ، من تلك المعركة التي وقعت سنة ٨٦٣ م/٢٤٩ هـ ، والتي قررت فيها القيادة العسكرية البيزنطية أن تتصدى لجيش أمير ملطية المسلم عمر بن عبيد الله الأقطع الذي أغار على آسيا الصغرى ، ووصل حتى ساحل البحر الأسود[٢٢] ففي تلك المعركة استطاع الجيش البيزنطي أن يحرز نصرا حاسما على المسلمين الذين قتل قائدهم أمير مطلية فيها[٢٣] . وكانت هذه المعركة نقطة تحول هامة في

(٢٠) يضم اقليم الثغور في القرن العاشر ، طرسوس وأدنه والمصيصة وزبطرة ومرعش وملطية وحصن منصور ، ويمتد حتى يصل إلى سميساط على الفرات ، ويواصل امتداده على طول الرافد الغربي لهذا النهر متجها جنوبا حتى بالس . انظر للمزيد عنه :
الاصطخرى : **مسالك الممالك** ، ص ٧٥ ؛ ابن حوقل : **صورة الأرض** ، ١٦٥ - ١٦٩ ، ١٧٨ - ١٨٣ ، ١٩٢ - ٢٠٧ ؛ وانظر :
فتحي عثمان : **الحدود** ، جـ ١ ، ص ٣٨٦ .

(٢١) من الحملات البحرية التي شنها البيزنطيون على السواحل الاسلامية ، حملتهم على دمياط عام ٨٥٢/٢٣٨ هـ . انظر : فازيليف : **العرب والروم** ، ص ٢٧٥ . ويوضح الدكتور جوزيف نسيم في كتابه **العدوان الصليبي على مصر** ، الأسباب والدوافع الحقيقية وراء توجيه البيزنطيين حملاتهم على مصر منذ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي (أواسط القرن السادس الهجري) ص ٢٣ - ٢٧ . ويذكر الطبرى بعض الاغارات البيزنطية على الثغور الاسلامية مثل عين زربه في ٨٥٥ م/٢٤١ هـ ، واغاراتهم على الثغور الجزرية حيث تمكنوا من انتهاب « عدة قرى ، وأسروا نحوا من عشرة آلاف انسان » ، انظر : الطبرى : **الأمم** ، ج ٩ ، ص ٢٠٧ ؛ فازيليف : **العرب والروم** ، ص ٢٧٥ ؛ فتحي عثمان : **الحدود** ، جـ ٢ ، ص ١٥٥ - ١٥٨ ، ٢٢١ - ٢٢٤ .

(٢٢) بلغ أمير ملطيه بحملته هذه إلى عمق أراضي الامبراطورية البيزنطية ، كما قام بتدمير جزء من ثيم الأرمنياق ، وهو من الثيمات البيزنطية الهامة ، ثم وصل إلى ساحل البحر الأسود واستولى على مدينة أميسوس Amysus وهي الآن سمسون .Samsun ، وكانت من أكبر موانىء ساحل آسيا الصغرى الشمالي وقبدوقيه . ويرى الدكتور فتحي عثمان أن خطة عمر بن الأقطع كانت الوصول إلى قلب آسيا الصغرى والعودة إلى الأراضي الاسلامية عن طريق الابواب الكليكية ، انظر : **الحدود** ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ عن حملة عمر بن الأقطع انظر : الطبرى : **الأمم** ، جـ ٩ ، ص ٢٦١ ؛ نبيه عاقل : **الامبراطورية البيزنطية** ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ؛ فتحي عثمان : **الحدود** ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ .
وعن الثيمات البيزنطية بشكل عام وثيم الأرمنياق بشكل خاص ، انظر : فتحي عثمان : **الحدود** ، جـ ١ ، ص ٩٣ - ١٠٣ ؛ وسام عبدالعزيز : **دراسات** : ٢٦٠ - ٢٦٣ .

(٢٣) يذكر الطبرى : أن المعركة التي قتل فيها أمير ملطية عمر بن عبدالله الأقطع جرت في ارز من مرج الاسقف ، **الأمم** ، ص ٢٦١ . وهناك اختلاف بين المؤرخين الحديثين حول المكان الذي جرت فيه المعركة ، ويرى فتحي عثمان في كتابه **الحدود** ،جـ ٢ ، ص ٢٢٦ ، أن الموقع الذي جرت هذه المعركة على أرضه يقع قريبا من الحدود بين ثيمي بافلاجونيا والأرمنياق عند موضع يسمي بوزن Poson .

الصراع البيزنطي الاسلامي ، فقد أصبح واضحا بعدها مدى الضعف الذي وصلت اليه الخلافة العباسية[٢٤] في وقت بدأت فيه الدولة البيزنطية تسترد انفاسها وتستعيد قوتها بعد فترة من الضعف مرت بها .

وفي عهد الامبراطور باسيل الأول (٨٦٧ - ٨٨٦ م/ ٢٥٣ - ٢٧٣ هـ) أصبحت الاغارات البيزنطية على الثغور الاسلامية أكثر تركيزاً وعمقاً عما قبل وبدأت الحرب بين الطرفين تتحول بوضوح لصالح بيزنطة . وأدرك هذا الامبراطور أن ضرب الثغور الاسلامية يجب أن يسبقه القضاء على البيالصة[٢٥] . الذين كانت معاقلهم تجاور ملطيه ويربطهم بأميرها نوع من التحالف . وكان زعيمهم الشجاع كريسوكير Chrysocheir يمثل مع أتباعه خطراً مستمراً على الأراضي البيزنطية بسبب اغاراته المستمرة عليها . على أية حال ، نجح مؤسس الأسرة المقدونية في القضاء عليهم في سنة ٨٧٥ م/ ٢٦٢ هـ ، واستولى على معاقلهم ، وأهمها قلعة تفريك وكل توابعها[٢٦] . وكانت النتيجة المباشرة للقضاء على البيالصة أن أصبح القطاع الأوسط من حدود بيزنطة الشرقية يجاور مباشرة امارة ملطية الاسلامية . واعتقد باسيل الأول أن الوقت قد أصبح مناسبا لاحتلال هذا الثغر الاسلامي الهام ، ولكنه أخفق في تحقيق ذلك[٢٧] . ولم يثن هذا الاخفاق البيزنطيين عن انتهاز فرصة الاضطرابات التي سادت العالم الاسلامي آنذاك ، فحولوا هجومهم الى الثغور الشامية مهاجمين أدنه وسميساط وحصن اللؤلؤة الذي استولوا عليه في عام

(٢٤) الطبرى : **الأمم** ، جـ ١٠ ، ص ٢٦١ ؛ وسام عبدالعزيز : **دراسات** ، ص ٢٥٩ .

(٢٥) **البيالصة** : (Paulicians) ويصفهم المسعودي بأنهم اتبعوا مذهبا بين النصرانية والمجوسية . **مروج** ، جـ ٢ ، ص ٤٨٣ . وهم من الأرمن ، ويسميهم الكتاب العرب (البيالقة) ، وتعدهم كنيسة القسطنطينية هراطقة لأنهم رفضوا مذهبها . وهؤلاء كانوا قد استقروا في منطقة الحدود الشرقية للامبراطورية المجاورة للمسلمين ، واتخذوها نقطة انطلاق لهجماتهم ضد الأراضي البيزنطية . كما اتخذوا لهم عدة حصون في هذه المنطقة أهمها حصن تفريك Tephrike . ولقد جمع بينهم وبين أهل ملطية العداء للبيزنطيين . انظر للمزيد عنهم : قدامه بن جعفر : نبذ من كتاب الخراج ، ص ٢٥٤ ؛ المسعودي : **مروج** ، جـ ٢ ، ص ٤٨٣ ؛ وأيضا فتحي عثمان : **الحدود** ، جـ ٢ ، ص ٢٢٨ ، راجع كذلك :
Faraq, Byzantium, p. 8.

(٢٦) تفرق البيالصة بعد هزيمتهم وسقوط أهم معاقلهم تفريك في عام ٨٧٥ م/ ٢٦٢ هـ ، وتحول قسم منهم الى الأرثوذكسية ، والتحق قسم آخر بديار المسلمين في ملطية ، انظر :
Theoph. Cont. p. 267, 274-276; Genesius, Regna, pp. 122-128
وأيضا أسد رستم : **الروم** ، جـ ٢ ، ص ٦؛ وسام عبدالعزيز : دراسات : ص٢٥٩ .

(٢٧) أحمد عبد الكريم : المسلمون والبيزنطيون ، ص ٥٠ .

٨٧٦ م/ ٢٦٣ هـ[٢٨] . وحين بلغت أخبار هذه الاغارات البيزنطية مسامع الخليفة المعتمد كلف احمد بن طولون بضبط الثغور ، ولكنه أخفق في مهمته[٢٩] .

هذا ، ولقد أدى اخفاق باسيل الأول في الاستيلاء على ملطية للمرة الثانية في سنة ٨٨١ م/ ٢٦٨ هـ ، إخفاق الحملة التي أرسلها ضد طرسوس عام ٨٨٢ م/ ٢٦٩ هـ الى ادراك الادارة البيزنطية صعوبة تحقيق أي توسع على حساب المسلمين قبل التمهيد له بتركيز الجهد في اتجاهين : الأول تدعيم النفوذ البيزنطي . فطالما أن العمليات العسكرية التي ستدور ضد الثغور الاسلامية ستجري فوق أرض أرمينية ، اذن لابد من كسب الأرمن الى جانبها ، ولهذا بادر باسيل الأول بالاعتراف بأشوط الأول البقراطي ملكاً على أرمينية سنة ٨٨٦ م/ ٢٧٣ هـ ، كما فعلت الخلافة قبل ذلك بعام[٣٠] . وكان هذا الاعتراف يستهدف كسب تأييد الأرمن ، وعدم ترك المجال للمسلمين . وربما كانت دوافع باسيل الأول عندما اتخذ هذا الاجراء القضاء على المخاوف التي ربما تكون قد ساورت الأرمن تجاه البيزنطيين بعد ضم قلاع البيالصة ، وكل الأراضي المحيطة بها الى الكيان الامبراطوري[٣١] .

هذا عن الاتجاه الأول ، أما الاتجاه الثاني ، الذي سارت فيه الادارة البيزنطية تمهيدا لاستئناف الهجوم على الثغور الاسلامية ، فهو ذلك الاتجاه الذي تبناه

---

(٢٨) تمثلت هذه الاضطرابات بتفاقم الثورات الكبرى في الدولة الاسلامية مثل ثورتي الزنج والقرامطة . انظر للمزيد عن هذه الاضطرابات : الطبري : الأمم ، جـ ٩ ، ٤٣١ - ٤٣٧ ، ٥٣٢ ؛ المسعودي : التنبيه ، ص ٣٣٣ - ٣٣٥ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٣٤٦ ، وما بعدها ؛ جـ ٦ ، ص ٦٩ ؛ اسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ٦ .

(٢٩) الطبري ، الأمم ، جـ ٩ ، ص ٦٦٦ ؛ البلوي : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٨٩ - ٩١ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ، ص ٤٠ ، ٥٥ ؛ احمد عبد الكريم المسلمون والبيزنطيون ، ص ٨٩ - ٩١ .

(٣٠) لم يشر المؤرخ الأرمني توماس أردزروني ، وهو مؤرخ معاصر للأحداث ، الى حادثة تتويج أشوط الأول سنة ٨٨٥/٢٧٢ هـ . ويرجع الباحث أن السبب هو منافسة الأمراء الأردزرونيين للبقراطيين ، وبالطبع كان وصول أشوط الأول إلى درجة الملكية أمرا يستاء منه الأرودزرونيون ، لهذا تجاهل مؤرخهم ذكر تتويج أشوط عن قصد حتى لا يعلي من شأن البقراطيين . انظر :

Cont. Thoms. Ardz., p. 18, n. 2, Catholicos, Hist. Armenie, p. 120-126.

ويرى جروسيه أن أشوط الأول سعى للحصول على موافقة الامبراطور باسيل كي يوافق على تتويجه .

Grousset, Levant, p. 134.

(٣١) Thorossian, Hist. Arm. Peup., p. 90; Tournebize, Religieuse, p. 106; Brehier, Vie, 118 n. 802; Grousset, l'Arménie, p. 395.
Runciman, Lecape.ıus, p. 126; Brehier, Vie., p. 118, Nersessian, Etudes, p. 300.

الامبراطور ليو السادس المعروف باسم ليو العاقل ، وعلى الرغم من أنه لم يكن في مقدرة أبيه الحربية ، الا أن الفضل يرجع اليه في القيام بعمل تنظيمي هام بالنسبة لادارة الثيمات في آسيا الصغرى[٣٢] ، كان الهدف منه هو زيادة فاعلية الدور الدفاعي لها ، وفي الوقت نفسه دفع الحدود الشرقية للامبراطورية مزيدا الى الشرق على حساب ضعف الخلافة العباسية .

ويتلخص اصلاح ليو السادس في هذا المجال في قيامه بتحويل الكليزورات الى ثيمات جديدة مثلما تم في سلوقية Seleucia ، وسيواس Sebastea في آسيا الصغرى[٣٣] . وكان هدف هذا التنظيم ، التقليل من حجم الثيمات ، بفصل بعض المناطق عنها ، فضلا عن زيادة حجم الوحدات الادارية العسكرية المتمركزة على الحدود مباشرة ، والتي تسمى كليزورات ، وذلك بضم مناطق جديدة اليها ، وزيادة قدرتها العسكرية بتحويلها الى ثيمات جديدة[٣٤] .

هذا ، وقد نتج عن تطبيق الاصلاح الذي قام به الامبراطور البيزنطي ، امتداد ممتلكات بيزنطة الى الشرق بالتدريج ، ومن النتائج المباشرة لهذا الاصلاح ، أيضا ، انشاء ثيم الجزيرة سنة ٩٠١ م/ ٢٨٩ هـ[٣٥] . وبالطبع كان لتنظيم

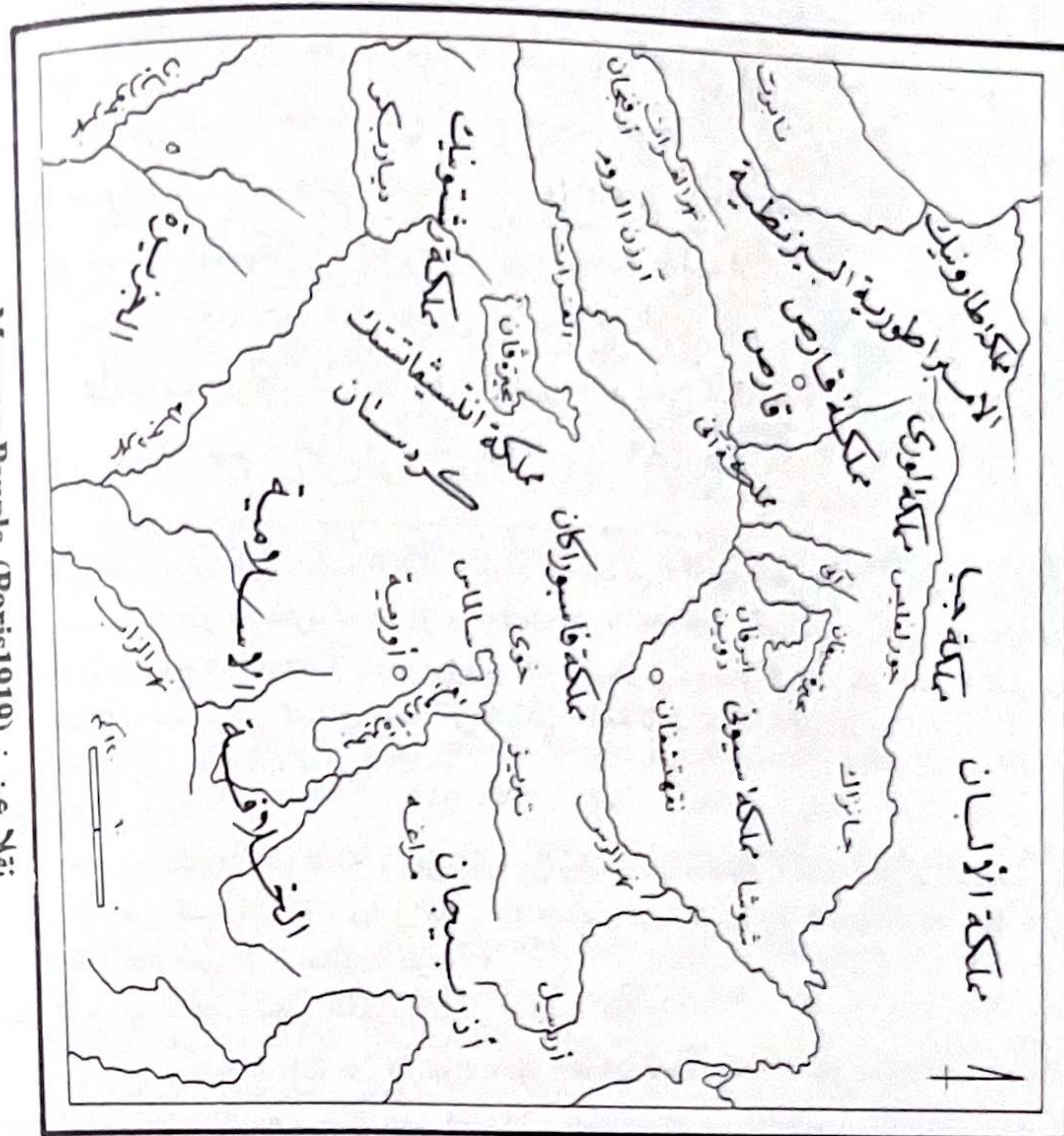
---

(٣٢) الثيمات : عرفها العرب باسم الأجناد أو البنود ، المسعودي : التنبيه ، ص ١٦٦ . وكان كل ثيم ينقسم الى عدد من المناطق العسكرية تعرف كل واحدة منها بتورما Tourma ، أي كتيبة ، ويتولى المسؤولية فيها قائد برتبة تورمارخ Tourmarch ، وهو مرؤوس للاستراتيجوس ، وتستقر في الثيم فرق عسكرية تضم عددا من الكتائب تعسكر كل كتيبة في منطقة من المناطق التابعة للثيم نفسه . انظر للمزيد
وسام عبد العزيز : دراسات ، ص ٢٦١ .

(٣٣) الكليزورات :
وهي جمع كليزورا Kleisoura ، وهي عبارة عن وحدات ادارية عسكرية أصغر حجما من الثيمات ، وتوجد غالبا على الحدود الشرقية ، ويتولى قيادتها قائد عسكري برتبة كليسورارخ Kleisourarch . انظر للمزيد :
وسام عبد العزيز : دراسات : ص ٢٦١ .
وعن تحويل ليو السادس بعض الكليزورات الى ثيمات ، انظر :
Runciman, Lecapenus, pp. 122-123; Ostrogorsky, Hist. Byz. St., p. 219, n. 4.
وانظر : أسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ١٨ - ١٩ ؛ وسام عبدالعزيز : دراسات ، ٢٦٠ - ٢٦١ ؛ عمر كمال : مقدمات ، ص ٩ .

(٣٤) Ostrogorsky, Hist. Byz. St., p. 247; Bury, Administrative, pp. 146-147; Brooks, Themes, p. XXI.

(٣٥) Ostrogorsky, Hist. Byz. St., p. 247.
لقد ضم لهذا الثيم اقليم تكيس Tekis التابع للأمير الأرميني مانويل Manuel ، وكان هذا الأمير خاضعا للنفوذ الاسلامي . ولكن بيزنطة نجحت في اقناعه بالتنازل عن اقليمه لها . ثم حولته الى وحدة ادارية عسكرية =



خريطة رقم (٧) الممالك الأرمينية في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري)

نقلا عن : Morgan Peuple (Paris1919)

الثيمات البيزنطية أثر كبير على زيادة فاعليتها وصمودها أمام الهجمات الاسلامية . ولم يقتصر دورها على ذلك فحسب ، بل اصبحت هذه الثيمات ـ وخاصة الجديدة منها قواعد عسكرية هامة للتوسع صوب الشرق فيما بعد(٣٦) .

ولا شك أن جهود باسيل الأول وابنه ليو السادس وضعت الامبراطورية على أبواب عصر جديد من الفتح والتوسع ، في اتجاه الشرق(٣٧) . ولما كانت أرمينية تقع بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، فمن الطبيعي أن تنعكس عليها آثار اضمحلال الخلافة العباسية من ناحية ، ونمو وازدياد قوة الامبراطورية من ناحية أخرى .

وكما سبق القول ، فقد كانت ظروف الموقع الجغرافي لأرمينية بين كيانين سياسيين كبيرين جعلها دائما تتأثر بالأحداث الكبرى التي تجري على أرض جارتيها القويتين . فلم يكن لأرمينية سياسة ثابتة تجاه المسلمين أو البيزنطيين ، بل كان الموقف الأرميني دائما هو رد فعل تلقائي للأحداث التي تجري من حولها . فكان من الطبيعي أن يكون هناك رد فعل أرميني لضعف الحكومة المركزية في الخلافة العباسية ، تمثل في انتهاز الأرمن لهذه الفرصة ، فطلب أمراؤهم من الخليفة رفع مرتبة أميرهم الى رتبة ملك ، وهو الطلب الذي استجاب اليه الخليفة .

ويرى بعض المؤرخين أن تتويج أشوط ملكا على أرمينية من قبل بغداد ، عكس ضعف الخلافة ، فحينما عجز الخليفة عن اخضاع أرمينية اعتقد أن من السياسة أن

= « كليزورا » . وحين قام ليو السادس بتنظيمه للثيمات ، ضم هذا الكليزور الى اقليم توروماكلتزين Tourma Keltzine . الذي اقتطعه من ثيم خالديا Chaldia . كما اقتطع تورما كماخه Kamacha من ثيم كولونيا Kolonia وكون منها ثيم الجزيرة . انظر :

Constantine Porphyrogenitus, Dethem, 73 and 139-140; DAI. I, 238-239; Honigmann, Ostgrenze, p. 148-149.

وانظر : وسام عبدالعزيز : دراسات ، ص ٣٦٢ ؛ فتحي : الحدود ، جـ٢ ، ص ٢٥٧ .

(٣٦) شكل انشاء ثيم الجزيرة الجديد خطرا ليس على المسلمين فقط ، بل وعلى الأرمن أيضا . فقد امتدت حدوده الى الغرب من بحيرة فان حيث اقليم طارون الأرميني ، لهذا وبعد أن نجحت بيزنطة في ضم ملطية فيما بعد تطلعت مباشرة الى ضم اقليم طارون اليها أيضا . انظر :

Constantine Porphyrogenitus, DAI. pp. 188-198; Honigmann, Ostgrenze, p. 148-149.

وانظر : وسام عبد العزيز : دراسات ، ص ٣٦٢ .

(٣٧) Runciman, Lecapenus, pp. 122-123.

وانظر : أسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ٦ ؛ عمر كمال : مقدمات ، ص ١٠ .

يكسب ودها[٣٨] . وكانت هذه هي فرصة أرمينية الذهبية كي تنهض وتتوحد على حساب ضعف المسلمين في الشرق ومشاغل البيزنطيين الأخرى في الغرب . ولكن تفرق كلمة أمرائها ، فضلا عن طبيعة تضاريسها ، والنظام الاقطاعي المستشري فيها - حال دون اغتنام الأرمن لتلك الفرصة[٣٩] .

على أية حال ، استفاد أشوط الأول من ضعف العباسيين وانشغالهم بالحروب الأهلية والفتن ، فحاول نشر السلام بين الأمراء الأرمن المتنافرين ، كما حاول أن ينهض بالزراعة ، وقام بشق طرق جديدة في ربوع مملكته ، فعم الرخاء في أرجائها[٤٠] .

ويرى بعض المؤرخين الحديثين أن ما حققه أشوط الأول ، ونسبه اليه المؤرخون الأرمن ، مبالغ فيه بعض الشيء ، فالملكية الأرمينية لم تكن مطلقة أو مركزية ، وانما كانت ملكية اقطاعية ، ولم تكن سلطة آل بقراط تشمل كل بلاد الأرمن ، فاسرة أردزروني كانت هي الأخرى مهيمنة على إقليم هام الا وهو اقليم فاسبورا كان . وإذا كان أميرها من ضمن الذين طلبوا التاج لأشوط الأول ، الا أنه ما كان أبدا يتخلى عن حكمه الذاتي النافذ في منطقته ، وكان مثله في هذا القبيل مثل بقية أمراء الأرمن[٤١] .

ولكن على الرغم من كل هذا فقد أضفت شخصية أشوط على الملكية المظهر المهيب ، فكانت أفعاله تتسم بجلالة الملوك ، كما عمل على نشر العمران وسعى لجعل النظام يستتب في أنحاء البلاد كافة . كذلك كانت أخلاقه الطيبة وعطفه على الجميع - وخاصة الفقراء - من أسباب شعبيته الكبيرة بين الأرمن[٤٢] . أما في

(٣٨) Runciman, Lecapenus, p. 126; Grousset, Levant, p. 134; Toumanofff, Arm. Geor., p. 612.

(٣٩) Tournebize, Religieuse, p. 106; Nersessian, Études, p. 9, Brehier, Vie, p. 118; Laurent, Arménie, p. 44.

(٤٠) Catholicos, Hist. Arménie, p. 126; Allen, Georgian, p. 86; Canard, Arm. Califate, p. 403.

Grousset, l'Arménie, p. 397; Tournebize, Religieuse, p. 105.

(٤١) ويرى المؤرخ الأرميني داجباشيان Daghbashian أن الملوك الأرمن كانوا ملوكا يحملون اللقب الملكي فقط ، دون أن يكونوا ملوكا بالمعنى الصحيح ، وخاصة على الأقاليم التي تتبعهم ، كما كانوا أداة مسخرة في يد الأباطرة البيزنطيين .

وانظر في هذا المعنى : Daghbashian, Bragatidenreiches, p. V.

Matthew of Edesse, Chronique, p. IV; Nansen, Arm. Pro. Ori, p. 29;

Laurent, Arménie, 44; Crousset, l'Arménie, p. 395.

(٤٢) Catholicos, Hist. Arménie, pp. 126-127; Thorossian, Hist. Arm. Peup. p. 90;

الخارج فقد اتبع أشوط سياسة متوازنة بين المسلمين والبيزنطيين ، وإن كان يميل قليلا إلى إرضاء بغداد ، بدليل قيامه بدفع جزية سنوية منتظمة لحاكم أذربيجان ممثل الخليفة في أرمينية[٤٣] . وكانت هذه السياسة التي تميل قليلا إلى المسلمين هي السياسة التي تحظى بأكبر شعبية بين الأرمن الذين كانوا يفضلون المسلمين من الناحية النظرية على البيزنطيين الذين كانوا يخالفونهم في المذهب الديني[٤٤] . ولكن من الناحية العملية ، كانت هناك فترات يبدي فيها المسلمون عنفا وتعصباً يخالف طبيعتهم ، وفي تلك الفترات القليلة كان الأرمن يميلون إلى الجانب الآخر[٤٥] .

لقد كان نمو وازدياد قوة البقراطيين نتيجة طبيعية لضعف السلطة المركزية للخلافة ، كما أدى الى تخليص الامبراطورية البيزنطية من مخاوفها من أن ترتمي أرمينية كلية في أحضان المسلمين . وحين قضى الامبراطور باسيل الأول على البيالصة ، وضم معاقلهم الى الكيان الامبراطوري عام ٨٧٥ م / ٢٦٢ هـ[٤٦] ، انتابت الأرمن الهواجس من امتداد التوسع البيزنطي على حسابهم ، فجاء منح باسيل الأول التاج الى أشوط الأول ليخفف من تلك المخاوف .

ولكن حين أدخل ليو السادس تلك التعديلات على التنظيم الاداري العسكري للثيمات البيزنطية ، واستولى على ممتلكات الأمير الأرميني مانويل سلميا ، وصنع منها بعد ذلك ثيم الجزيرة[٤٧] ، ثارت هواجس الأرمن من جديد وعلى رأسهم ملكهم أشوط ، الذي سارع الى القسطنطينية ليقنع امبراطورها بأهمية السلام . وعلى الرغم من كبر سنه فقد ذهب إلى عاصمة الامبراطورية عام ٨٨٨ م / ٢٧٥ هـ لهذا الهدف . وهناك استقبله الامبراطور ليو السادس بحفاوة

(٤٣) Nersessian, Études, p. 300; Canard, Arm. Califate, p. 403; Tournebize, Religieuse, 109; Morgan, Peuple, p. 130; Runciman, Lecapenus, p. 153.

Runciman, Lecapenus, p. 153.

(٤٤) Runciman, Lecapenus, p. 153.

(٤٥)

(٤٦) عن ضم باسيل الأول لمعاقل البيالصة الى كيان الامبراطورية البيزنطية . انظر : Theoph. Cont. pp. 267 and 274; Genesius, Regna pp. 122-126.

وأيضا ؛ فتحي عثمان : الحدود ، جـ٢ ، ص ٢٢٩ . أما عن البيالصة . انظر : هامش ٢٥ ص ١٣٥ من الكتاب .

(٤٧) عن تنظيم ليو السادس للثيمات وانشائه لثيم الجزيرة انظر : هامش ٣٦ ص ٣٢٩ من الفصل نفسه . وعن الاسلوب الذي اتبعه البيزنطيون لاقناع هذا الامير بالتنازل لهم عن ممتلكاته لضمها مع أراضي اخرى لانشاء ثيم الجزيرة ، انظر : هامش ٣٥ ص ١٣٧ من الكتاب .

كبيرة ، وغمره بأسمى آيات التكريم . وعدّ الامبراطور هذه الزيارة اعترافا من الملك الأرميني بتبعيته له(٤٨) . أما الملك أشوط ـ فمن المرجح أنه نجح في أثناء زيارته هذه في اقناع البيزنطيين بأهمية عدم اثارة الأرمن ، حتى لا تعود الاضطرابات الى أرمينية مرة ثانية(٤٩) .

على أية حال ، توفي أشوط الأول في أثناء رحلة عودته من القسطنطينية سنة ٨٩٠ م / ٢٧٧ هـ ودفن في المدافن الملكية في بجران(٥٠) . وهكذا رحل هذا الملك الأرميني العظيم بعد أن حكم في أرمينية كأمير للأمراء لمدة ٣٢ عاما ، وملكا لمدة ٥ سنوات ، نجح خلالها في نشر الرخاء والسلام في ربوع مملكته ، واستفاد من ضعف العباسيين ليدعم استقلاله الذاتي دون أن يستثير غضب الجانب البيزنطي ضده ، فجاءت سياسته متوازنة وحكيمة بشكل عام(٥١) .

وبعد وفاته تم تتويج ابنه ووريثه سمباد الأول ملكا على يد الجاثيليق جورج الثاني(٥٢) . ولكن سمباد افتقر إلى بعد نظر والده وحكمته ، وسرعان ما واجه عدة مشكلات ، كان بعضها يرجع لثورة عمه عباس عليه طمعا في عـرشه ، وبعضها يرجع إلى ثورات الأمراء الأرمن الآخرين وتمردهم(٥٣) . ولكن ما هون الأمر على سمباد ، تسابق كل من الخليفة والامبراطور على الاعتراف به ، وعقد أواصر الصداقة معه . فقد أرسل الخليفة المعتضد اليه تاجا ملكيا عن طريق واليه

(٤٨) Catholicos, Hist. Arménie, p. 126; Runciman, Lecapenus, 153; Bréhier, Vie, p. 132, n. 999; Morgan Peuple, p. 132; Tournebize, Religieuse, pp. 106-107.

(٤٩) يرى بعضهم ان أشوط الأول قد ساند الامبراطور البيزنطي في حربه ضد البلغار ، انظر :
Morgan Peuple, p. 132; Grousset, Levant, p. 134.

(٥٠) Catholicos, Hist. Arménie, p. 129; Nersessian, Études, p. 300; Morgan, Peuple, p. 132; Runciman, Tournebize, Religieuse, pp. 106-107.

(٥١) Thorossian, Hist. Arm. Peup. p. 90; Issaverdens, Hist. Arménie, p. 182.

(٥٢) حول تعيين الملك سمباد خلفا لوالده ، انظر :
Catholicos, Hist. Arménie, p. 143; Cont. Thom. Ardz., 183, n. 3; Toumanoff, Arm. Geor, p. 13; Morgan, Peuple, p. 133.
ويذكر المؤرخ الأرميني فردان Vardan أن الذي خلف أشوط الأول هو ابنه باب pap في عام ٨٩٥ م / ٢٨٢ هـ . ولكن الباحث يرتاح لما ذهب اليه المؤرخون الأرمن الآخرون .

(٥٣) انظر عن تفاصيل ثورة عمه عباس :
Catholicos, Hist. Arménie, pp. 130-143; Cont. Thom. Ardz., p. 183.
Gatteyrias, Arm. Armeniens, p. 96; Issaverdens, Hist. Arménie, p. 184.

على أذربيجان محمد الأفشين ، كما أرسل اليه هدايا وخلعا ملكية ثمينة(٥٤) . وبعد تأييد الخليفة العباسي هذا ، تم تتويج سمباد رسمياً من قبل الأمراء الأرمن ، والكنيسة الأرمينية وعامة الشعب .

هذا وقد ردت بيزنطة على ارسال الخلافة تاجاً ملكيا الى سمباد ، بأن عرض الامبراطور البيزنطي عليه معاهدة الصداقة نفسها التي سبق أن أبرمها مع والده(٥٥) . ويبدو أن هذا العرض قدلاقى رضى الملك الأرميني ، حيث أرسل إلى الامبراطور سفارة تبلغه موافقته ، فاستقبلها الامبراطور أحسن استقبال ، وأرسل بدوره لسمباد رسولا من عنده حمله اليه هدايا قيمة(٥٦) . ولاشك أن حرص الخلافة والامبراطورية على الاعتراف بالملك الأرميني والسعي لكسب وده ، كان له أكبر الأثر في تثبيت دعائم حكمه ، فاحيط بالاحترام من جانب جيرانه واتباعه على حد سواء(٥٧) .

هذا ، ويرى رانسيمان Runciman أن سمباد سرعان ما أثار عاصفة شديدة ضده ، باتباعه لسياسة تتسم بالمخاطرة ، ولا تحظى بشعبية بين الأرمن ، وهي سياسة التقارب والتحالف مع بيزنطة(٥٨) . والسؤال الذي يفرض نفسه هنا : لماذا اتبع سمباد مثل تلك السياسة ؟ ويمكن الاجابة عن هذا السؤال في ضوء الأحداث التي جرت في كل من الخلافة والامبراطورية فكان انعكاسها على أرمينية يتمثل في

(٥٤) يذكر توماس أردزروني أن الأفشين قام بتتويج سمباد بنفسه Cont . Thom. Ards. ' p . 184 أما يوحنا كاثوليكوس ، فيذكر أن الأفشين لم يقم بتتويج سمباد وإنما توج عمه عباسا ولقد جاء في مجموعة مؤرخي الأرمن لدى بروسيه Brosset ، ولقد جاء في مجموعة مؤرخي الأرمن لدى بروسية أن سمباد تولي الحكم خلفا لوالده سنة ٨٩٠م/ ٢٧٧هـ ، إلا أن الخليفة العباسي لم يعترف به إلا بعد عامين أي في سنة ٨٩٢م/ ٢٧٩هـ .
انظر :
Brosset, Historiens, p. 428; Issaverdens, Hist. Arménie, 184; Gaterias, Arm. Armeniens, p. 96.

(٥٥) Catholicos, Hist. Arménie, pp. 144-145; Issaverdens, Hist. Arménie, p. 185.
ويرى تيرلوفنديان ، أن جهد الخليفة العباسي ضاع ادراج الرياح في ابعاده النفوذ البيزنطي عن أرمينية ، ومنع التحالف البيزنطي الأرميني ، انظر :
Canard, Arm. Califate, p. 404.

(٥٦) Catholicos, Hist. Arménie, pp. 144-145; Issaverdens, Hist. Arménie, p. 185; Runciman, Lecapenus, p. 153; Gatteyria, Arm. Armeniens, p. 96.

(٥٧) Catholicos, Hist. Arménie, pp. 144-145; Morgan, Peuple, p. 133.

(٥٨) Runciman, Lecapenus, p. 153.

تبني الملك الأرميني لتلك السياسة ، التي يجب أن نعترف بأنها جلبت عليه الكوارث والمشكلات العديدة[٥٩] .

لقد كان الضعف الذي أصاب السلطة المركزية للخلافة يسير من سيء إلى أسوأ . ففي ذلك الوقت أخذ الامبراطور ليو السادس يدفع بالنفوذ البيزنطي مزيدا الى الشرق ، باعادة تنظيمه للمناطق الادارية العسكرية ، وبتأسيسه لثيم الجزيرة الذي ضم اقليم تيكس Tekis الذي تنازل عنه مانويل الأرميني فيما وراء الفرات[٦٠] . وأصبح ثيم الجزيرة بعد تكوينه يمثل رأس حربة موجهة عبر أرمينية إلى ثغور دار الاسلام . وظن سمباد أن ليو السادس سيتقدم بحدود دولته مزيدا الى الشرق ، وعلى حساب الأرمن . ولكن الملك الأرميني أخطأ في حساباته : اذ سرعان ما انشغلت بيزنطة بخطر بلغاريا على الصعيد الخارجي من ناحية ، ومن ناحية أخرى بالتجارب الزوجية غير الموفقة الخاصة بالامبراطور ليو السادس . وفي غمار هذا وذاك ، لم تتوسع الامبراطورية مزيدا في اتجاه الشرق[٦١] .

وعلى كل ، فان الملك الأرميني سمباد قد بنى سياسته الخارجية على أساس

---

(٥٩) من أهم المشكلات التي واجهها الملك سمباد بسبب تقربه للامبراطور البيزنطي هي استياء أمير اذربيجان الأفشين ومن بعده شقيقه يوسف ، ودفع في احداها وعلى يد يوسف حياته ثمناً لها . انظر :

Catholicos, Hist. Arménie, p. 235; Brosset, Historiens, p. 429; Vardan, La Domination, 142; Mkhithar, Chron. p. 42; Morgan Peuple, p. 136; Adontz, Ašot, p. 17.

ويرى تير لفنديان أن تدخل الأفشين ومن بعده يوسف ضد سمباد كان بايعاز من الخليفة العباسي بسبب تقربه من بيزنطة . انظر :

Canard, Arm.Califate, p. 404.

(٦٠) عن تأسيس ليو لثيم الجزيرة وضمه اقليم تيكيس Tikes التابع للأمير الأرميني مانويل ، انظر : هامش ٣٥ ، ص ١٣٧ من الكتاب .

(٦١) أصبح البلغار بعد أن امتزجوا بالصقالبة ، خطرا كبيرا على الامبراطورية البيزنطية ، وخاصة في عهد ملكهم سيمون (٨٩٣ - ٩٢٧ م / ٢٨٠ - ٣١٥ هـ) وهو يعدّ من اعظم ملوكهم ، وكانوا وثنيين ، ثم اعتنقوا الديانة المسيحية منذ ٨٨٩ م / ٢٧٦ هـ . واستمر الصراع بينهما أمدا طويلا حتى عهد الامبراطور باسيل الثاني (٩٧٦ - ١٠٢٥ م / ٣٦٦ - ٤١٦ هـ) الذي عرف بسفاح البلغار ، كما استمرت الحروب بينهما من بعده . انظر :

Ostrogorsky, Hist. Byz. St., p. 226; Diehl, Figures, I, p. 181-185.

وانظر :

أسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ٢٠ ؛ الباز العريني : الدولة ، ص ٣٧٢ ؛ عمر كمال : مقدمات ، ص ١٨ .

تأكيد التحالف مع الامبراطورية البيزنطية ، وتعددت السفارات من قبل الملك الأرميني للامبراطور البيزنطي ، وهي سفارات حرصت على كسب ود بيزنطة وحملت الهدايا الثمينة إلى الامبراطور[٦٢] . وإذا كانت حسابات سمباد قد أخطأت حين تصور أن الامبراطورية في عهد ليو السادس قادرة على التوسع شرقا ، ومن هنا جاء حرصه على كسب ودها ، فان حساباته أخطأت أيضا حين تصور أن المسلمين أضعف من أن يردوا على انحيازه الكامل لجانب عدوهم التقليدي الامبراطور البيزنطي . فإذا كانت الحكومة المركزية للخلافة قد أصابها الضعف ، فان ولاياتها لم يصبها الضعف بالسرعة نفسها وبالقدر نفسه . فقد تعاقب على حكم ولاية أذربيجان عدد من أمراء أسرة ابن أبي الساج ، الذين استقلوا استقلالا ذاتيا عن بغداد ، وحكموا أذربيجان وأرمينية حكما مطلقا .

ومن بين أمراء أسرة ابن أبي الساج ارتفع شأن أميرين طموحين نشيطين هما : الأخوان محمد الافشين ، ويوسف بن أبي الساج[٦٣] . فلم يسمح أي منهما بخروج أرمينية من دائرة النفوذ الاسلامي . وتحولها إلى فلك النفوذ البيزنطي . وكانت الحروب التي شنوها ، والمؤامرات التي دبروها ، وهي رد الفعل الطبيعي لسياسة سمباد الخاطئة[٦٤] ، تلك السياسة التي لم تلق قبولا في الداخل أو في الخارج ، حيث ووجهت بمقاومة عنيفة من قبل أمراء أذربيجان .

وكانت النتيجة الحتمية أن فقد سمباد أهميته كملك للملوك ، وهو مركز جاهد والده طويلا من أجل الحصول عليه[٦٥] .

والواقع أن أرمينية شهدت في بداية عهده فتنا وحروبا أهلية عديدة ، زادت من درجة اشعالها وضراوتها مناوءات أمراء فاسبوراكان وسيونى لحكم سمباد الذي

---

(٦٢) عن السفارات التي أرسلها سمباد إلى ليو السادس ، انظر :
Catholicos, Hist. Armenie, p. 189; Issaverdens, Hist. Arménie, pp. 184-185; Runciman, Gatteyria, Arm. Armeniens, p. 147.

(٦٣) عن محمد بن أبي الساج وشقيقه يوسف قبل توليهما حكم أذربيجان انظر :
الطبري : الأمم ، جـ ٩ ، ٣٧١ ، ٥١٣ ، وما بعدها ، ٦١٣ ، ٦٢٧ ، جـ ١٠ ، ٨ ، وما بعدها ؛
ابن الاثير : الكامل ، جـ ٥ ، ٣٣٤ ، جـ ٦ ، ٢ ، وما بعدها وانظر :
Defrémery, Sadjides, p. 409-428.
Runciman, Lecapenus, p. 154.

(٦٤) Catholicos, Hist. Armenie, 120; Grousset, l'Arménie, pp. 395-398; Morgan, Peuple,
(٦٥) p. 130; Nansen, Arm. Pro. Ori, p. 390.

افتقر لحنكة أبيه وسياسته التوازنية(٦٦) . وفي أثناء هذه الحروب الأهلية انتهز أمير أذربيجان محمد بن أبي الساج الفرصة ، فتقدم بجيشه واستولى على نخجوان واستعاد مرة أخرى مدينة دوين(٦٧) . ولا يتسع المجال هنا لعرض تفاصيل الحروب التي جرت بين حاكم أذربيجان محمد الأفشين والملك الأرمني سمباد الأول ، ولكن يمكن القول بصفة عامة أنه في أكثر من مرة خرج فيها الأفشين لقتال سمباد ، كان هو الذي يلجأ إلى طلب التصالح مع سمباد بدلا من حربه ، عندما يدرك مدى قوة الجيش الأرمني واستعداده(٦٨) . ولكن العداوة كانت كامنة بين هاتين الشخصيتين

---

(٦٦) عن الفتن والحروب الأهلية التي ثارت في وجه الملك سمباد ، في بداية عهده انظر :

Catholicos, Hist. Arménie, pp. 161-179; Cont. Thom. Ardz., pp. 187-190; Adontz, Tarnites, p. 729; Grousset, Arménie, pp. 433-435.

وقد حاول الأفشين بتدبير الشقاق والفتن بين الأمراء الأرمن ، حيث نجح في جذب أمير فاسبوراكان إليه . انظر عن ذلك :

Cont. Thom. Ardz., p. 187.

(٦٧) يعلل الأفشين هذه النية بعد أن أصابها زلزال مدمر راح ضحيته أكثر من ١٥,٠٠٠ شخص . انظر عن الزلزال الذي أصاب هذه المدينة :

Catholicos, Hist. Arménie, pp. 183-184; Canard, Arm. Califate, p. 404.

(٦٨) لقد شن أبو عبيد الله محمد بن أبي الساج المعروف بالأفشين ووالي أذربيجان أربع حملات على الملك الأرمني سمباد الأول : أولها كانت في سنة ٨٩٢م/٢٧٨هـ ، وسببها استياء الأفشين من تقرب ملك الأرمن من الامبراطور ليو السادس ، وتوسيع حدود بلاده ناحية الشمال ومهاجمته لدوين ، وأسر أميرها المسلمين محمد وألية ، وانتهت بعقد الصلح بين الطرفين . انظر عن ذلك :

Catholicos, Hist. Arménie, p. 146; Asolik, niv. (Dulaurier), p. 13; Defrémery, Sadjides, pp. 430-431.

وكانت الحملة الثانية في سنة ٨٩٦م/٢٨٣هـ ، وفيها انتهز الأفشين هزيمة سمباد أمام أمير الجزيرة أحمد بن شيخ الشيباني الذي نجح في الاستيلاء على إقليم طارون سنة ٨٩٦م/٢٨٣هـ . واستطاع الأفشين فيها هزيمة سمباد وإرغامه على توقيع معاهدة صلح مخزية له ، كما أجبره على تزويجه من ابنة شقيقه شابوه . انظر :

Catholicos, Hist. Arménie, pp. 161-169; Cont. Thom. Ardz., pp. 190-191; Defrémery, sadjides, p. 441.

وانظر : الساريجيان : الأمة الأرمنية ، ص ١٧٤ .

وأما الحملة الثالثة : فقد كانت في ٨٩٨م/٢٨٥هـ ، حيث نقض الأفشين اتفاقه مع سمباد ، وهاجم إقليم شيراك ، إلا أنه لم تقو قوة الجيش الأرمني على حملته هذه ، وبتجه إلى دوين تاركا ابنه ديوداد فيها ، ثم يعود إلى أذربيجان . أما الحملة الرابعة ، فقد كان سببها خيانة أحد خصيانه قتله في دوين سنة ٩٠٠م/٢٨٨هـ ، حيث تم تسليم الرهائن الأرمن الذين تركهم الأفشين لديه إلى سمباد ، فاستعد الأفشين بحملة كبيرة إلا أنه مات بوباء الطاعون الذي انتشر في أذربيجان في السنة نفسها التي أراد الخروج فيها بحملته هذه . انظر للمزيد عن الحملة الثالثة :

= Catholicos, Hist. Arménie, pp. 176-178.

الاسلامية والأرمينية . وإذا كان سبب عداء الأفشين لسمباد هو تقارب الأخير وتحالفه مع الامبراطور البيزنطي ، إلا أن هذا لم يكن هو السبب الوحيد في تفسير ذلك العداء المستحكم .

ويرى بعض المؤرخين الحديثين أن الأفشين سبق أن اعترف بسمباد ملكا على أرمينية باسم الخليفة العباسي ، وأنه حقد عليه بعد ذلك حين قام بتوسيع حدود مملكته نحو الجنوب مستندا إلى تحالفه مع الامبراطور البيزنطي بل يمضي بعضهم إلى القول إن الأفشين كان يخطط لغزو أرمينية للاستيلاء عليها وضمها لحكمه المباشر مع أذربيجان(٦٩) .

والواقع أن الأمير الساجي كانت له أطماع استقلالية ظهرت بوضوح في استقلاله الذاتي بأذربيجان عن بغداد ، وليس هناك ما يمنع أن تكون له تطلعات أكبر في أرمينية المجاورة لاقليمه . ويرى الباحث أن سمباد حاول جاهدا أن يتجنب الصدام بقوة الساجيين ، فحين أرسل الأفشين حملته الأولى ضد الملك الأرمني أرسل سمباد إليه يسأله في دهشة عن أهداف حملته تلك ، ويشرح له الأسباب التي دفعته إلى صداقة الامبراطور البيزنطي(٧٠) .

ويرى المؤرخ الأرمني يوحنا كاثوليكوس الذي كان شاهد عيان لتلك الأحداث أن الملك الأرمني أوضح للأمير الساجي ، أن صداقة الامبراطور البيزنطي ضرورية لصالح الأرمن والمسلمين معا . فسمباد في حاجة الى مساندة البيزنطيين ، لأن هذا يخدم ايضا مصالح الأفشين في أذربيجان(٧١) .

= وأيضا الطبري ، الأمم ، جـ ١٠ ، ص ٨٣ ؛ المسعودي : مروج ، جـ٢ ، ص ٥٢١ ، وانظر : فيما يتعلق بالحملة الرابعة :

Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 1.

ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ، ٩٨ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٣ ، ص ٢٧٩ ، وأيضا :

Defrémery, Sadjides, p. 443; Issaverdens, Hist. Arménie, p. 196.

(٦٩) Morgan, Peuple, pp. 133-134.

(٧٠) Catholicos, Hist. Arménie, p. 165; Cont. Thom. Ardz., p. 187; Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 13; Morgan, Peuple, p. 134.

(٧١) ربما كان المؤرخ الأرمني يوحنا كاثوليكوس يقصد الفوائد التجارية التي ستعود على أمراء أذربيجان من جراء علاقات سمباد الطيبة مع الامبراطور البيزنطي ، وذلك حين يفتح الامبراطور حدود بلاده أمام التجار المسلمين وفتدما تمهد الطريق لتجارك للاتجار فسيملئون خزائنك بالذهب » ، انظر :

Catholicos, Hist. Arménie, pp. 145-146; Cont. Thom. Ardz., p. 220. Issaverdens, Hist. Arménie, p. 188.

ولكن الأفشين لم يقتنع بتلك الادعاءات والقى القبض على الجاثيليق جورج الثاني الذي حمل رسالة الملك الأرميني إليه[٧٢] .

ومهما كان الأمر ، لم يتوقف الملك الأرميني عن توسيع حدود مملكته في كل اتجاه فقد زحف على دوين ، وأسر أميريها المسلمين ، وأرسلهما إلى الامبراطور البيزنطي[٧٣] . وفي الوقت نفسه لم يتوقف الأفشين عن انتهاز الفرص وشن الحروب ضد الملك سمباد . وفي مجال صراع سمباد الأول وأمير أذربيجان ، يلاحظ أن السؤال الذي يفرض نفسه هنا ، ماهو موقف الخليفة العباسي من أطماع الأفشين في أرمينية ؟

وللاجابة عن هذا السؤال ، يجب ألا ننسى مدى الضعف الذي أصاب الخلفاء العباسيين ونفوذهم في بغداد . ولكن يمكن القول إنّ سياسة الخليفة العباسي بالنسبة لأرمينية ، بصفة عامة ، كانت تقوم على اشعال الفتن فيها . وكانت محاولات الأفشين وأطماعه في أرمينية تزيد من أوار تلك الفتن والحروب الأهلية ، لهذا لم يعترض خليفة بغداد على غزو الأفشين لأرمينية ، الا أنه لم يقم بتزويده بالامدادات اللازمة لتحقيق أهدافه ، كما لم يشجعه على تحقيقها رسميا[٧٤] .

وكان الخليفة يعلم تماما العلم أن تأييده للأفشين معناه تسهيل مهمة الأخير لتحقيق ما يصبو إليه من أهداف في أرمينية ، وهذا بالتأكيد ما لا يرغبه الخليفة[٧٥] .

---

(٧٢) يذكر يوحنا كاثوليكوس : أن الأفشين اقتنع بحجج سمباد ، وغير معاملته معه إلى الأحسن حيث تبادل معه الهدايا . وهنا تناقض واضح في رواية هذا المؤرخ ، الا أنه يعود فيذكر بعد ذلك أن أمير أذربيجان أمر بالقاء القبض على رسول سمباد ، وهو الجاثيليق جورج الثاني ، وكبله بالأغلال ، ثم أرسله وهو بهذه الصورة إلى الملك الأرميني . وبالطبع فمعاملة الأفشين لرسول الملك سمباد هذه لا تدل مطلقا على ما ذكره المؤرخ من أن معاملة الأفشين لسمباد تحولت إلى معاملة ودية تبودلت خلالها الهدايا ، خاصة وأنه يذكر بعد ذلك ، حادثة سجن هذا الرسول لدي أمير أذربيجان . وثمة أحد احتمالين : اما ان يكون مترجم هذا النص عن لغته الأصلية ـ وهي الأرمينية ـ قد اخطأ أو أن هناك ثغرة في النص الأرميني انظر :
Catholicos, Hist. Arménie, pp. 155-157; Defrémery, Sadjides, p. 439.

(٧٣) Catholicos, Hist. Arménie, p. 146 ; Cont. Thom. Ardz., pp. 199-200; Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 13; Orbelian, Sionnie, p. 539; Issaverdens, Hist. Arménie, p. 187.

(٧٤) Morgan, Hist. Arménie, p. 133.

(٧٥) ويرى المؤرخ الأرميني الحديث تيرلفنديان Ter Levondian ، أن الخليفة العباسي هو الذي أمر ولاة أذربيجان الأفشين وشقيقه يوسف بردع الملك الأرميني سمباد ، واعادته إلى حظيرة النفوذ الاسلامي بعد أن وضح تقربه وميله إلى الجانب البيزنطي ، وأن خليفة المسلمين عندما رأى عدم تمكن الافشين من كسر شوكة ملك الأرمن ، كلف ولاة الجزيرة عيسى بن شيخ الشيباني ، وابنه أحمد بهذه المهمة ، كما كلف ايضا الأمراء القيسيين العرب =

على أية حال ، ففي تقييمنا لصراع الأفشين مع ملك الأرمن ، يمكن القول بأن كفتى الصراع كانتا متعادلتين إلى حد بعيد من حيث القوة العسكرية .

فلم يكن بمقدور الافشين القضاء على المملكة البقراطية الأرمنية ، كما اتصفت مواجهاته الحربية مع الملك الأرميني بالبعد عن التدمير والقسوة كتلك التي ستميز صراع شقيقه يوسف مع هذا الملك نفسه . وكانت بيزنطة على الجانب الآخر ترقب ذلك الصراع الذي لم يسفر عن شيء ، وانتهى بموت الأفشين سنة ٩٠٠م/٢٨٨هـ[٧٦] .

بعد وفاة الأفشين اختار كبار قادة جيشه ابنه ديفدان المعروف بإسم (ديوداد) أميرا عليهم . ولكن هذا الاختيار لم يعجب يوسف شقيق الأمير المتوفي « واعتزلهم يوسف بن أبي الساج على الخلاف لهم »[٧٧] . وكان من المحتم أن يدخل الاثنان في صراع على السلطة ، وتمخض الصراع عن هزيمة ديفداد على يدعمه يوسف الذي خيره بين البقاء بجانبه ، أو التوجه إلى بغداد ، فاختار الرحيل إلى بغداد[٧٨] . وهكذا تولى يوسف بن أبي الساج حكم أذربيجان ، وتوابعها كأرمينية وغيرها . وكان يوسف هذا يلقب بالشيخ الكريم ، كما كان بطلا شجاعا[٧٩] . وكان من

= امراء منزكرت بهذه المهمة ، انظر :
Canard, Arm. Califate, pp. 404-409.

(٧٦) عن المرض الذي توفي بسببه الأفشين أنظر : المسعودي ، مروج ، جـ ٢ ، ص ٥٢١ ؛ وكذلك ابن الجوزي في كتابه المنتظم الذي تحدث فيه عن وباء الطاعون الذي انتشر في اذربيجان في السنة التي مات فيها الافشين في حوادث ٢٨٨هـ/٩٠٠م ، جـ ٦ ، ص ٢٧ .
وما تجدر الاشارة إليه أن الطبرى لم يشر إلى المرض الذي مات بسببه الأفشين ، الأمم ، جـ ١٠ ، ص ٨٣ .
وانظر كذلك :
Cont. Thom. Ardz., pp. 196; St. Martin, Memoires, I, p. 355; Defrémery, Sadjides, p. 444.

(٧٧) الطبرى : **الأمم** ، جـ ١٠ ، ص ١٠ .

(٧٨) ويذكر يوحنا كاثوليكوس أن ديفداد بن محمد بن أبي الساج كان في مدينة دوين لحظة وفاة والده ، وأنه عندما سمع بنبأ موته « رحل في الخفاء في اثناء الليل وهرب على وجه السرعة نحو أذربيجان » .
Catholicos, Hist. Arménie, p. 178.
أنظر كذلك : الطبرى : **الأمم** ، جـ ١٠ ، ص ٨٤ ـ ٨٥ ؛ ابن ظافر : **اخبار الدول** ، ورقة ٣٥ ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، جـ ٦ ، ص ٩٨ ؛ بيبرس : **زبدة الفكرة** ، ورقة ١٢٥ ؛ ابن خلدون : **العبر** ، جـ ٣ ، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤ .

(٧٩) ولد يوسف سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م حسب قول جمال الدين علي بن ظافر : **أخبار الدول** في :
Defrémery, Sadjides, p. 435.

المقدر لحاكم أذربيجان الجديد أن يسير على منوال شقيقه الأفشين ، وأن يحاول استكمال مشاريعه التوسعية الطموحة في أرمينية .

كانت سياسة يوسف تقوم على العمل على الحيلولة دون وحدة أرمينية ، وذلك ببث بذور الشقاق بين الأمراء الأرمن ، وتأليب بعضهم على بعض . وكانت النتيجة المباشرة لسياسته هذه ، هي تمرد عدد من هؤلاء الأمراء على الملك سمباد . وكان يوسف يرمى من وراء ذلك الى توسيع نفوذه على حساب الأرمن(٨٠) . وهذا ما خشيه الملك البقراطي سمباد الذي عرف من تجربته السابقة مع الافشين مدى اطماع ولاة اذربيجان في ارمينية ، لهذا فكر في التعامل مع خليفة بغداد مباشرة بدلا من التعامل مع يوسف . تروى الروايات ان سمباد ارسل هدايا قيمة الى الخليفة العباسي ، وتوسل اليه كي يوافق على التعامل معه مباشرة دون وساطة ولاة اذربيجان كما طلب منه ان يخلصه من ملاحقة يوسف له . فأحسن الخليفة استقبال سفارة سمباد وقبل مطالبه(٨١) .

وكان الخلفاء العباسيون يتلقون جزية ارمينية عن طريق ولاة اذربيجان وكان هؤلاء الولاة يتصرفون في شئون ارمينية كما يحلو لهم ، وبدون علم بغداد فوجد الخليفة العباسي في مطالب سمباد ما يتفق ومصلحته(٨٢) .

---

(٨٠) ويرى تير لفنديان ان يوسف نجح في اثارة غضب الخليفة على سمباد وتحريضه على ترقية أمير فاسبوراكان جاجيك إلى مرتبة ملك ، ليناوىء به الملك الارميني ، وفعلا ما ان رقى جاجيك إلى ملك حتى ان اعلن تمرده على سمباد الأول ، واضعا كل امكاناته مع يوسف ضده ، انظر :
Canard, Arm. Califate, pp. 404-405.
وانظر عن سياسة يوسف مع الارمن :
Cont. Thom. Ardz. pp. 177-178; Univ. (Dulaurier), pp. 22-23; Mkhtar, Chronologique, p. 44; Brosset, Historiens , p. 432.

(٨١) Catholicos, Hist. Arménie, p. 182; Asolik, Univ. (Macler) p. 15; Grousset, Arménie, p. 196.

(٨٢) روى مؤرخ الأسرة البقراطية يوحنا كاثوليكوس : ان سمباد حاول كسب ود يوسف « فقرر (يقصد سمباد) أن يعقد اتفاقية مع يوسف ، ومن أجل هذا أرسل إليه خطابا بهذا المعنى » .
Catholicos, Hist. Arménie, p. 180.
الا أن أسوليك وهو مؤرخ ليس بعيدا عن الأحداث ، ذكر أن الملك سمباد أراد متعمدا تخطى يوسف ، بدفع الجزية مباشرة إلى الخليفة ،
Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 15.
والجدير بالذكر ، أن يوحنا كاثوليكوس ذكر أن سمباد أراد التعامل مع الخليفة ولكنه لم يشر إلى نيته بتخطى يوسف .
Catholicos, Hist. Arménie, p. 181.
ويرى مورجان وهو مؤرخ ارميني حديث ، أن سبب غضب يوسف من سمباد عندما أراد أن يتعامل مع الخليفة =

ولكن الحقيقة أن سفارة الملك الأرميني إلى خليفة بغداد أثارت غضب يوسف الذي ابتدأ عهده متظاهرا باللطف والوداعة تجاه الأرمن ، ولكن سرعان ما كشف عن نواياه الحقيقية تجاههم ، خاصة بعد محاولة سمباد الأخيرة التي حاول فيها تخطيه ، والتعامل مع الخليفة مباشرة دون الرجوع إليه(٨٣) .

حيث قرر الخروج بحملة كبيرة لغزو ممتلكات الملك الأرميني ، والقضاء عليه شخصيا(٨٤) . ولكن يوسف اكتشف انه لا قبل له بجيش سمباد القوى ، فعرض عليه الصلح الذي وافق عليه الملك الأرميني ، وانسحب يوسف عائدا إلى أذربيجان دون أن يحقق ما جاء من أجله ، وعاشت أرمينية في هدوء لفترة قصيرة(٨٥) .

ولكن لم تلبث أن ثارت الاضطرابات في أذربيجان ، حيث أعلن يوسف اميرها التمرد على الخليفة العباسي في سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م(٨٦) . ونتج عن ذلك أن أصدر الخليفة أمرا إلى كل الولايات التي تجاور أذربيجان بالخروج لقتال يوسف ، وتلقى سمباد هذه الأوامر أيضا(٨٧) . فزاد هذا من حرج موقفه ، فهو من ناحية لا يريد نقض اتفاق السلام بينه وبين يوسف ، ومن ناحية أخرى لا يود جلب نقمة وغضب الخليفة عليه(٨٨) . ورغم محاولات الملك الأرميني الوقوف على الحياد ، الا

= العباسي مباشرة ، هو أن يوسف أدرك بأنه سيحرم من دخل كبير عندما تنقل الجزية مباشرة إلى بغداد دون أن تمر عليه انظر :
Morgan, Peuple, p. 134.

(٨٣) Catholicos, Hist. Arménie, p. 183; Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 15.

(٨٤) يرى رانسمان : أن حملة يوسف هذه على سمباد سببها رفض الأخير تقديم العون والمساعدة له في أثناء تمرده على الخليفة العباسي . انظر :
Runciman, Lecapenus, p. 154.

(٨٥) يذكر يوحنا كاثوليكوس أن الملك الارميني فرح بعقد الصلح مع يوسف ، وذلك رغم أن سمباد كان حينذاك يملك جيشا قويا ، جعل يوسف عند رؤيته له يطلب الصلح من الملك سمباد . انظر :
Catholicos, Hist. Arménie, pp. 185-186; Cont. Thom. Ardz., p. 227; Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 16; Defrémery, Sadjides, p. 397.

(٨٦) أشارت المصادر العربية إلى رجوعه مرة أخرى لنفوذ الخليفة بعد أن تمكن من الحصول على العفو عنه ، مقابل دفع ١٢٠ ألف دينار سنويا . انظر : الطبري : **الأمم** ، جـ ١٠ ، ص ١٤٢ ؛ مسكويه : **تجارب الأمم** ، جـ ١ ، ص ١٦ ؛ الهمذاني : **صلة الطبرى** ، ص ١٩٤ ؛ العيني : **عقد الجمان** ، جـ ١٤ ، ورقة ١٤٥ . الا أن المؤرخ الأرميني سان مارتين . . St. Martin قد أشار إليه ووضعه في سنة ٩٠٥م/٢٩٣هـ . انظر :
St. Mardin, in, Defrémery, Sadjides, pp. 397-398; Issaverdens, Hist. Arménie, p. 198.

(٨٧) Catholicos, Hist. Arménie, p. 185; Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 16; Crousset, l'Arméine, p. 431, Defrémery, Sadjides, p. 398.

(٨٨) يروى يوحنا كاثوليكوس : أن سمباد أرسل سرا إلى يوسف - يطمئنه بأنه جمع جيشه لنجدته وليس لقتاله ، ولكن يوسف عرف أن ما جمعه تنفيذا لأوامر الخليفة بقتاله ، مما زاد في حقده عليه . انظر :
Catholicos, Hist. Arménie, p. 193; Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 16; Issaverdens, Hist. Arménie, p. 198.

أن أعداءه من الأمراء الأرمن الآخرين أثاروا عليه يوسف وزادوا في نفسه مشاعر الكراهية والحقد ضده[٨٩].

وأيا كان الأمر، فقد تمكن يوسف، في سنة **٢٩٦هـ/٩٠٨م** من تسوية خلافاته مع الخليفة المكتفي. ثم أخذ يسعى من أجل اثارة غضب الخليفة العباسي على سمباد، ونجح فيما خططه من خطط، بدليل أن خليفة بغداد ضاعف الجزية المفروضة على أرمينية، وقام يوسف من ناحيته بمطالبة الملك الأرميني بسدادها. ولما كان سمباد يريد تجنب الحرب مع المسلمين، لهذا اضطر إلى فرض المزيد من الضرائب على أبناء شعبه، كيما يستطيع الوفاء بما ألزمه بلاط بغداد من مبالغ كبيرة، فنتج عن هذا غضب نبلاء الأرمن على سمباد لدرجة أنهم دبروا مؤامرة لاغتياله[٩٠].

واستطاع سمباد الأول دفع هذه الجزية الكبيرة أربع سنوات متتالية، ولكنه عجز عن سدادها في السنة الخامسة لرفض الأمراء الأرمن دفعها له[٩١]. وانتهز يوسف بن أبي الساج هذه الفرصة، فقام بحملة ضده، ولسوء حظ الملك الأرميني أنه كان في هذه الفترة بالذات يعاني من اضطرابات ومشكلات داخلية نتيجة نزاع نشب بين أسرتين من الأسر الاقطاعية هما أسرتي أردزروني وسيونى[٩٢]، وكان سمباد قد انحاز إلى جانب أمراء سيونى، وهذا ما جعل أمير أسرة أردزروني يتجه إلى يوسف ويعلن خضوعه له. وبالطبع رحب به، بل ومنحه تاجا ملكيا ليرسخ شقة الخلاف والشقاق بين الأمراء الأرمن[٩٣]، تحقيقا لمصلحته الخاصة.

---

(٨٩) Catholicos, Hist. Arménie, p. 194; Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 16; Defrémery, Sadjides, p. 338.

(٩٠) Catholicos, Hist. Arménie, p. 194; Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 16; Morgan, Peuple, p. 135.

(٩١) Catholicos, Hist. Arménie, p. 194; Gatteyrias, Arm. Armeniens, 97; Issaverdens, Hist. Armenie, p. 198.

(٩٢) كان الخلاف بين أمير أذربيجان جاجيك، وأمير سيونى سمباد حول مدينة نقهتشفان، فكل منهما يدعي ملكيتها. انظر:
Catholicos, Hist. Arménie, pp. 199-200; Cont. Thom. Ardz., pp. 177-178; Asolik, Univ. (Dulaurier) pp. 22-23; Toumanoff, Arm. Geor. p. 613; Tournebize, Religieus, p. 110.

(٩٣) برر مؤرخ الأسرة الأردزرونية توماس أردزروني ذهاب خاتشيك جاجيك إلى يوسف، بأنه لم يذهب بقرار شخصي منه، بل تلبية لرغبة يوسف الذي طلب منه أن يراه «لذياع صيته ولسماعه الكثير عن شجاعته ومهارته»
Cont. Thom. Ardz., pp. 227-229.
ويرى جروسيه أن جاجيك هو الذي ذهب بنفسه إلى يوسف ليطلب منه مساعدته في استرداد مدينة نقهتشفان.
Grousset, l'Arménie, p. 435.

ولقد شجع منح أمير أذربيجان الساجي تاجا لجاجيك أردزروني، بقية الأمراء الأرمن الذين كانوا لا يهمهم سمباد بقدر ما تهمهم مصالحهم الشخصية، لذا سرعان ما حولوا ولاءهم بعيداً عن الملك الشرعي سمباد، ومنحوه لأمير أذربيجان طامعين أن يعاملهم كما عامل الأمير الأردزروني. ولم يبق إلى جانب الملك البقراطي سوى أمراء سيونى كحلفاء مخلصين له[٩٤]. وهكذا تخلى الجميع عن الملك سمباد الذي حاول جاهدا استرضاء يوسف دون جدوى. وتقدم يوسف بجيشه، فانسحب سمباد إلى احدى قلاعه الحصينة في شمال بلاد الأرمن[٩٥]. وتوالت انتصارات يوسف في أرمينية. وضيق الحصار على سمباد الذي قرر أن يسلم نفسه إلى أمير أذربيجان حماية لجيشه وشعبه من الأذى. فقبض عليه يوسف الساجي وقتله في **٣٠١هـ/٩١٣م**[٩٦]. ثم عرضت جثته في دوين، وبعد ذلك عادت من جديد لتدفن في المدافن الملكية في بجران. أما دوين فقد عادت من جديد مقرا للوالي العربي.

كان لمقتل سمباد الأول عواقب وخيمة، فقد أصيب الأرمن بالاحباط، وأصبحت يد حكام أذربيجان هي العليا في أرمينية، وانتشرت الفوضى والاضطرابات في كل ربوع البلاد. واستمرت هذه الأوضاع لبعض الوقت حتى استطاع أشوط الثاني - ابن سمباد المقتول - أن يعيد الأمور إلى نصابها بعد جهد جهيد[٩٧] والمعروف ان سمباد ترك خلفه ابنين هما اشوط و عباس[٩٨]. أكبرهما، أشوط الذي

---

(٩٤) هؤلاء أمراء سيونى الغربية، أما سيونى الشرقية، فأميرها اتخذ جانب يوسف بعد ان رأى انتصاراته المتتابعة على سمباد. انظر:
Catholicos, Hist. Arménie, p. 205.

(٩٥) أهم تلك القلاع قلعة جابويد المعروفة باسم القلعة الزرقاء Gabouid وتوجد أكثر من قلعة تسمى باسم جابويد، أحداها في شمال شرق أرزن الروم، وأخرى في سيونى، وهي التي التجأ إليها الملك سمباد تقع على نتوء صخري مرتفع بالقرب من بلدة أرزجافور في اقليم آرشارونيك. للمزيد عنها انظر؛
Catholicos, Hist. Arménie, pp. 230-234; Asolik, Univ. (Dulaurier) p. 18.

(٩٦) يذكر الجاثيلق يوحنا كاثوليكوس المؤرخ الأرميني المعاصر لهذه الأحداث، أن يوسف في أول الأمر اعطى سمباد الأمان، وخلع عليه الخلع الثمينة وسمح له بالذهاب إلى اقليم شيراك Schirak ثم عدل عن رأيه وأمر بالقاء القبض عليه وسجنه لمدة عام كامل، ثم أمر بشنقه أمام قلعة ارندشاج Erendchag، وبعد ذلك صلبت جثته في دوين. انظر:
Catholicos, Hist. Arménie, pp. 230-234.

(٩٧) Catholicos, Hist. Arménie, p. 238; Adontz, Asot, p. 26; Tournebize, Religieuse, p. 112, n. 2; Morgan, Peuple, p. 137.
وما يجدر ذكره أن المؤرخ الأرميني المعاصر للأحداث توماس أردزروني يصمت تماما عن ذكر آشوط الثاني. فهو

صمم على طرد الحاميات العربية التي زرعها يوسف في كل أرجاء مملكة والده . فقاد المقاومة الأرمينية ضدها ، واضطر أن يخوض ضدها عدة اشتباكات متوالية ، أبدى فيها تصميماً غير عادي ، وشجاعة وقوة بأس ، حتى لقب بالحديدي (ايركات Erkat)(٩٩) .

وعلى كل ، فقد قرر هذا الأمير أن يأخذ بثأر أبيه الذي قتل شهيدا في نظر الأرمن . فكون فرقة من بعض جند والده الشجعان قاد بهم عدة اشتباكات عنيفة ضد حاميات يوسف العسكرية التي أطبقت بيد من حديد على جميع أنحاء المملكة البقراطية(١٠٠) . واتبع في ذلك أسلوب حرب العصابات ، فكان ينزل مع اتباعه من القلاع المقامة فوق أعالي الجبال ، وينقض على الحامية تلو الأخرى ، ثم يعود أدراجه مرة أخرى إلى قلاعه الحصينة في أعالي الجبال(١١٠) .

وبهذه الطريقة استطاع أشوط الثاني أن يستعيد معظم القلاع التي سقطت من قبل في يد يوسف بن أبي الساج ، كما استرد بعض الأقاليم والمدن ، مثل أقاليم بجريناند وشيراك وجوجارك ومدينة تفليس . وبهذا تمكن من تحرير معظم أملاك والده من المسلمين(١٠٢) .

ولكن تلك الحروب ، كان لها نتائجها السيئة على أرمينية ، فضلا عن الاضطرابات التي صاحبتها وتلك التي أعقبتها . فبدت أرمينية أكثر فقرا نتيجة لنهب جنود يوسف في أثنائها ، كما عمت المذابح في سيونى . وفضلا عن هذا وذاك ، انتهز الابخاز فرصة انشغال أشوط الثاني بقتال المسلمين ، فأغاروا على القرى ونهبوها

لا يشير إليه البتة ، ويتخطاه إلى ذكر الملك البقراطي الذي يليه وهو عباس ، وليس هناك سبب واضح لهذا اللهم الا اذا كان متعمداً طمس اخبار بعض ملوك الأسرة البقراطية . انظر :

(٩٨) Cont. Thom. Ardz., pp. 228-233.

Catholicos, Hist. Arménie, pp. 228-233.

(٩٩) لقد وصفه يوحنا كاثوليكوس ، بأنه كان يشبه محاربي طروادة لشدة بأسه وشجاعته . انظر :

Catholicos, Hist. Arménie, p. 238.

عن لقبه بالحديدي انظر :

Adontz, Asŏt, p. 26.

(١٠٠) Catholicos, Hist. Arménie, pp. 238-239; Issaverdens, Hist. Arménie, p. 213.

(١٠١) عن حروب أشوط الثاني ضد الحاميات العسكرية التي زرعها يوسف في مملكة البقراطيين انظر Catholicos, Hist. Arménie, p. 238. وعن تشبيه الاغارات التي قام بها أشوط الثاني ضد تلك الحاميات بأسلوب حرب العصابات ، انظر : Grousset, l'Arménie, pp. 441-442, Tournaoff, Arm. Geor., p. 614.

(١٠٢) Catholicos, Hist. Arménie, p. 238; Adontz, Asot, p. 17; Thorosian, Hist. Arm. Peup. p. 91; Morgan, Peuple, p. 137.

وقتلوا معظم أهلها . كما نهبوا الحقول ودمروا كل ماهو مزروع فيها ، فانتشرت المجاعة في أنحاء بلاد الأرمن(١٠٣) .

ولا شك أن أشوطالثاني ما استطاع تحقيق ما أنجزه من انتصارات على الحاميات الاسلامية في أرمينية واسترداده القلاع التي كانت تسيطر عليها ، الا بسبب انسحاب يوسف بعيدا عن أرمينية معتمدا على قوة حامياته التي تركها وراءه(١٠٤) . كما استغل خاتشيك جاجيك ملك فاسبوراكان فرصة غياب يوسف ايضا ، فحرر بلاده من سطوة نفوذ الحاميات العسكرية التي تركها يوسف فيها ، فقام بمهاجمتها وانتصر عليها ، ثم طردها من بلاده .

وكان من الطبيعي أن تثير انتصارات أشوط الثاني اعجاب أمراء الأرمن والقوقاز على حد سواء ، مما جعلهم يلتفون حوله ويمنحونه اعجابهم و ثقتهم وتأييدهم . هذا ، إلى جانب قيام ملك جيورجيا بوضع تاج مملكة أرمينية البقراطية على رأس أشوط الثاني في عام ٩١٥م/٣٠٢هـ(١٠٥) ، كما وقع معه اتفاقا مشرفا(١٠٦) . ولا يعني قيام ملك الجيورجيين بتتويج أشوط الثاني ، أن مملكة البقراطيين أصبحت تابعة لملك جورجيا ، بل كان هذا الأخير يرد الدين الذي طوقه به سمباد والد أشوط ، عندما قام بوضع التاج على رأسه ليصبح ملكا لجورجيا باسم أدرنسيح الثاني(١٠٧) .

Catholicos, Hist. Arménie, p. 268; Grousset, l'Arménie, pp. 442-443.

(١٠٣) Catholicos, Hist. Arménie, p. 268; Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 24; Adontz, Asŏt, p. 17; Issaverden, Hist. Arménie, p. 213.

(١٠٤) Catholicos, Hist. Arménie, p. 268; Cont. Thom. Ardz., p. 230; Adontz, Asŏt, p. 18.

(١٠٥) عن الانتصارات التي حققها أشوط الثاني على الحاميات الاسلامية التابعة ليوسف بن أبي الساج وعلى المغيرين على مملكة أرمينية البقراطية من أمراء الأبخاز والجيورجين انظر :

Catholicos, Hist. Arménie, pp. 238-239; Asolik, Univ. Macler, p. 24; Adontz, Asŏt, pp. 17-18; Thorossian, Hist. Arm. Peup. p. 91.

Catholicos, Hist. Armenie, p. 239.

(١٠٦)

(١٠٧) توج الملك سمباد الأول الملك الجيورجي ادرنسيح الثاني في عام ٨٩٦م/٢٨٣هـ . ورغم تتويج الملك البقراطي له ، إلا أن المصادر الجيورجية صمتت ولم تشر إلى حادثة التتويج هذه . ومن المرجح أنها تعمدت ذلك كي لا تجعل لفرع العائلة البقراطية الحاكم في أرمينية شرف تتويج ملكها ، وهذا من شأنه أن يقلل من مكانة ملوكهم في نظر الجيورجيين ، انظر :

Catholicos, Hist. Arménie, p. 172; Brosset, Sioune, p. 108, 172 , n. 8; Toumanoff, Arm. Geor. p. 613.

وعلى كل حال ، يمكن تقسيم عصر أشوط الثاني الى ثلاث مراحل : الأولى وهي التي تمتد منذ مقتل والده في سنة ٩١٣م وحتى سنة ٩١٥م (٣٠١ - ٣٠٣هـ) ، وتتميز بالاضطرابات التي عمت أرمينية ، وبجهود أشوط الثاني لاثبات وجوده ، وبناء شعبيته بين الأرمن . ومن أجل تحقيق هذا تركزت كل جهوده في طرد الحاميات الاسلامية العسكرية التي تركها يوسف وراءه ، بعد مقتل سمباد الأول(١٠٨) . أما المرحلة الثانية فتبدأ من عام ٩١٥م/٣٠٣هـ ، وتمتد حتى عام ٩١٩م/٣٠٧هـ ، وتتميز بتدخل الامبراطورية البيزنطية عسكريا لصالح أشوط الثاني ، بعد أن أثمرت زيارته للعاصمة البيزنطية ، التي قام بها في منتصف عام ٩١٤م (منتصف عام ٣٠٢هـ)(١٠٩) . فقد أدت المساعدات العسكرية البيزنطية الى تقوية مركز الملك الأرميني أمام خصمه يوسف الذي راودته فكرة العودة لأرمينية للقضاء على الملك الشاب ، كما سبق أن قضى على والده من قبل(١١٠) . كما أنها أدت الى تدعيم النفوذ البيزنطي في أرمينية ، في الوقت الذي كانت فيه أرمينية بالكامل مهددة بالخضوع التام للأمراء الساجيين ، الذين أخذوا يستقلون بولاية أذربيجان بالتدريج عن نفوذ الخليفة العباسي(١١١) . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، أدى تدعيم ذلك

(١٠٨) تضاربت الروايات التأريخية حول مقتل الملك الأرميني سمباد الأول ، ومن ثم تولى أشوط الثاني ابنه الأكبر العرش من بعده . فأسوليك Asolik يحدد مقتل سمباد في ٩١٤م/٣٠٢هـ Asolik, Univ. (Dulaurier) p.19 . ، أما اتيين أوربليان E. Orbelian فيضع سنة ٩١٣م/٣٠١هـ تاريخا لوفاة ذلك الملك Orbelian, Siounie, pp. 540 - 541. أما يوحنا كاثوليكوس فهو يمدنا بتاريخ أكثر دقة وهو ١٢ ابريل ٩١٢ - ١١ ابريل ٩١٣م/ ٢١ شوال ٣٠٠ - ١٢ رمضان ٣٠١هـ ، انظر :
Catholicos, Hist. Armenie, pp. 231-234; Adontz, Asŏt, p. 17; Defrémery, Sadjides, p. 404.

(١٠٩) Morgan, Peuple, p. 137; Tournebize, Religieuse, p. 112.

(١١٠) Vardan, La Domination,
Catholicos, Hist. Arménie, p. 282; Brosset, Historiens, p. 439;
p. 143. Theoph, Cont., p. 386; Runciman, Lecapenus, pp. 130-132; Adontz, Asŏt, p. 24.

(١١١) عن محاولات الساجيين الاستقلال بأذربيجان وبتوابعها عن الخلافة العباسية ، يروي الطبري : أن المعتضد بالله العباس ولي محمد بن أبي الساج أذربيجان وأرمينية في عام ٢٨٥هـ/٨٩٨م « وكان قد تغلب عليها وخالف » الطبري : الأمم ، جـ ١٠ ، ص ٦٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ، ص ٩٠ ، أما شقيقه يوسف فقد تمرد على نفوذ الخلافة في عام ٢٩٣هـ/٩٠٥م ، ومرة أخرى في عام ٣٠٥هـ/٩١٦م ، وظل متمردا حتى استطاع قائد الخليفة مؤنس الخادم من أسرة واقتياده الى بغداد أسيرا في سنة ٣٠٥هـ/٩١٦م انظر : المسعودي : مروج ، جـ٢ ، ص ٥٥١ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٣ ، ص ٣٦٩ ، وأيضا :
Defremery, Sadjides, pp. 402-407.

النفوذ في أرمينية خدمة جليلة لمشروعات بيزنطة المستقبلية . ومن بينها تسهيل التوسع البيزنطي في اتجاه الشرق على حساب المسلمين ، والذي بدأ بشكل جدي في العقد الثاني من القرن العاشر الميلادي (العقد الثاني من القرن الرابع الهجري)(١١٢) . وتتميز هذه المرحلة أيضا في أنها شهدت في نهايتها قيام الأمير الساجي يوسف - على غير المتوقع - بالاعتراف بأشوط الثاني ملكا على الأرمن في سنة ٩١٧م/٣٠٥هـ ، وذلك حين أرسل له تاجا ملكيا(١١٣) ، وتخلى في الوقت نفسه عن منافس أشوط الثاني القوي ، الذي سبق ليوسف أن أقامه ملكا ثانيا ليناوىء به الملك الشرعي أشوط ، ونقصد بالطبع ابن عم أشوط الثاني ، وهو سميه أشوط بن شابوه(١١٤) .

ويمكن تفسير ذلك الموقف من جانب يوسف في ضوء الظروف والمتغيرات الجديدة التي أحاطت بكل من الأمبراطورية البيزنطية ، والخلافة الاسلامية ، وأرمينية معا . فقد عاد أشوط الثاني من العاصمة البيزنطية في عام ٩١٥م/ ٣٠٣هـ ، مصطحبا معه كتائب بيزنطية قوية ساعدته على تدعيم عرشه(١١٥) . وظهر أثر تلك المساعدة العسكرية البيزنطية ، كما تروي المصادر الاسلامية في أحداث عام ٣٠٣هـ/٩١٥م . ذلك أن تشكيلات عسكرية بيزنطية قامت بحملة على الثغور التالية : مرعش ، وسميساط ، وحصن منصور ، كما قامت بتخريب الأقاليم المحيطة بها حيث أسرت ونهبت ، وكانت الحملة ضد مرعش بقيادة القائد الأرميني مليح(١١٦) .

Runciman, Lecapenus, pp. 130-131.

(١١٢) Catholicos, Hist. Arménie, p. 302; Adontz, Asŏt. pp. 29-30; Canard, Arm. Califate, (١١٣)
p. 405, Defrémery, Sadjides, pp. 406-407.

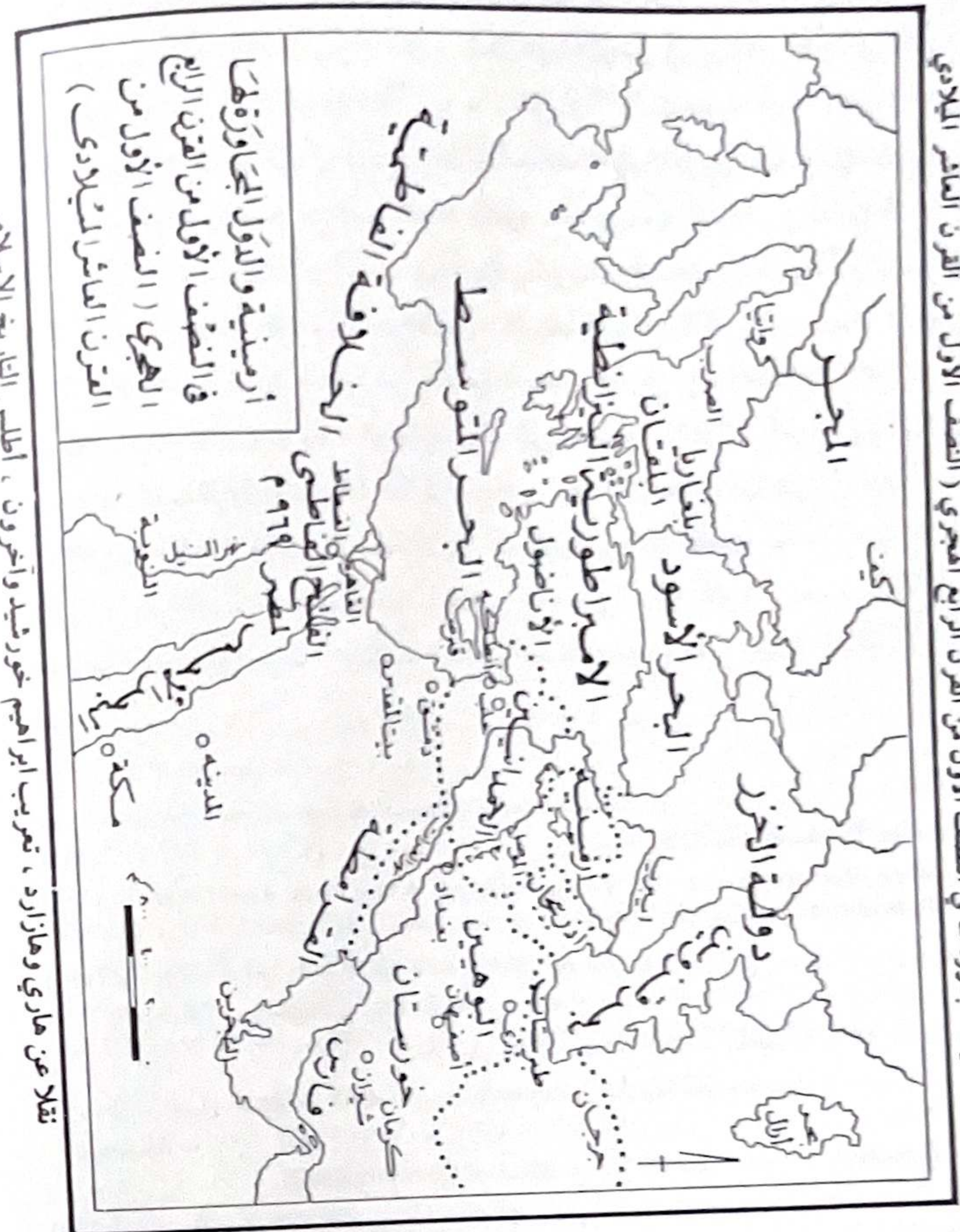
(١١٤) توج يوسف الساجي الأمير الأرميني أشوط بن شابوه وهو سمى الملك الشرعي ، وذلك ليجعل منه منافسا لأشوط الثاني ، وليكسب إلى جانبه حليفا قويا . انظر :
Catholicos, Hist. Arménie, p. 282; Adontz, Asŏt. pp. 26-27.

(١١٥) لم تشر المصادر البيزنطية الى الكتائب التي زود بها ليو السادس ، أشوط الثاني عند عودته الى بلاده ليثبت ملكه بها انظر :
Catholicos, Hist. Arménie, pp. 292-293, Asolik, Univ. (Dulaurier) p. 24.

(١١٦) أشار ابن الأثير الى ثلاث حملات بيزنطية ، ذكر فيها أن البيزنطيين استطاعوا في الأولى الاستيلاء على حصن منصور ، وفي الثانية هزمت قواتهم جيشا اسلاميا خرج لهم من طرسوس ، أما في الثالثة فقد ذكر فيها اغارة القائد الأرميني مليح علي مرعش . **الكامل** ، جـ٦ ، ص ١٥٢ . ويرى رانسمان Runciman أن هذه الأحداث الثلاثة كان أولها في الصيف حيث نجح البيزنطيون في الاستيلاء على حصن منصور . أما المعركة

خريطة رقم (٨)

أرمينية والدول المجاورة لها في النصف الأول من القرن الرابع الهجري (النصف الأول من القرن العاشر الميلادي)



نقلا عن هاري وهازارد ، تعريب ابراهيم خورشيد وآخرون ، أطلس التاريخ الاسلامي

وبطبيعة الحال ، لم يكن هذا الوقت مناسبا ليوسف بن أبي الساج للقيام بأية محاولة لاخضاع أشوط الثاني ، وذلك لوجود تلك الكتائب البيزنطية معه[(١١٧)] . كذلك كان يوسف نفسه مشغولا بأمر آخر في ذلك الوقت ، فقد بدأت أطماعه في الاستقلال بالأقاليم التي يحكمها[(١١٨)] . فأخذ يتجاهل ارسال الأموال المقررة عليه الى بغداد ، وكان يدرك تماما أنه بعمله سيواجه جيوش الخليفة ان آجلا أو عاجلا ، لهذا السبب قرر يوسف - كما سبق أن ذكرنا - الاعتراف بأشوط الثاني ، كي يتفرغ تماما لجيوش الخليفة .

على أية حال ، استمر يوسف على تصرفاته هذه ، بل أنه طمع في حكم الري واستولى عليها بالفعل ، مما أوغر صدر الخليفة العباسي المقتدر عليه ، وجعله يرسل ضده الحملة تلو الأخرى ، حتى تمكن قائده مؤنس من الانتصار على يوسف وأسره ، واقتياده معه الى بغداد مكبلا بالقيود في شهر محرم ٣٠٧هـ/ يونيو ٩١٩م[(١١٩)] .

بقيت في هذه المرحلة قضيتان ، أولاهما ، هي الخاصة بتأريخ زيارة أشوط الثاني للقسطنطينية[(١٢٠)] . أما القضية الثانية ، فهي بخصوص الآثار التي ترتبت على ذلك التقارب الذي حدث بين أشوط الثاني ويوسف بن أبي الساج ، بدءا من سنة ٩١٧م/٣٠٥هـ .

الثانية فكانت في الخريف وفيها انتصروا على قوة اسلامية في طرسوس . ويرى أنه من الأرجح - أن تكون الحملة الثالثة هي القوة البيزنطية التي صاحبت الملك الأرميني أشوط الثاني ، واجتاحت في طريقها الجزيرة الى أرمينية Runciman, Lecapenus, p. 131, n.5. هذا ، ويستأنس أدونتز Adontz برأي رانسمان بشأن الحملة الثالثة ، ويذهب إلى أنّ أشوط الثاني كان مع تلك القوة البيزنطية التي أمدته بها بيزنطة .

وانظر بشأن هذه الحملات : ابن خلدون : **العبر** ، جـ٣ ، ص ٣٨٥ .

Adontz, Asot, p. 25.

(١١٧)

(١١٨) مسكويه : **تجارب الأمم** ، جـ١ ، ص ٤٥ ، ٤٧ ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، جـ٦ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٤٧ ، وكذلك : Defrémery, Sadjides, pp. 410-411.

(١١٩) المسعودي : مروج ، جـ٢ ، ص ٥٥١ ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، جـ٦ ، ص ١٥٥ - ١٥٦ ؛ ابن خلدون : **العبر** ، جـ٣ ، ص ٣٦٩ ، وأيضا : Defrémery, Sadjides, p. 416.

(١٢٠) عن هذه الزيارة انظر : Catholicos, Hist. Arménie, pp. 292-293, Asolik, Univ. (Dulaurier) pp. 23, 24.

بالنسبة للقضية الأولى لم يشر المؤرخون لسوء الحظ الى تاريخ وصول الملك الأرميني الى العاصمة البيزنطية ، وان كان حدث الزيارة نفسه قد سجله المؤرخون البيزنطيون والأرمن[١٢١] . ولهذا اختلفت آراء المؤرخين الحديثين في تحديد تاريخ الزيارة[١٢٢] . ويرجح الدارس أن تلك الزيارة وقعت في النصف الثاني من عام ٩١٤م (النصف الثاني من عام ٣٠٢هـ) وأنها استمرت قرابة تسعة أشهر ، وأن أشوط الثاني عاد من القسطنطينية عام ٩١٥م/٣٠٣هـ . ويستند الباحث في رأيه هذا على ما ورد في المصادر البيزنطية التي سبقت الاشارة اليها ، والتي تذكر في سياق حديثها عن تلك الزيارة ، أحداثا زامنتها وقعت في شهر سبتمبر من عام ٩١٤م[١٢٣] (ربيع أول ٣٠١هـ) . ويتفق الدارس مع المؤرخ أدونتز Adontz فيما أورده في مقاله الهام الذي عنونه بـ « أشوط الحديدي » في أن وصول الملك الأرميني الى القسطنطينية ربما قد تم في النصف الثاني من عام ٩١٤م (النصف الثاني ٣٠١هـ) ، وذلك استنادا الى طريقة سرد الأحداث التي وردت في مؤلف المؤرخ الأرميني المعاصر للأحداث يوحنا كاثوليكوس ، وكان مشتركا هو شخصيا فيها[١٢٤] . اذ يروي يوحنا كاثوليكوس أن زيارة أشوط الثاني قد سبقتها مراسلات تمت بين بطريرك القسطنطينية نيقولا مستيقوس Nicholas Mysticus من ناحية ، وبين يوحنا

(١٢١) Catholicos, Hist. Arménie, p. 283; St. Martin, Memoires, I, p. 361; Asolik, Univ. (Dulaurier) p. 24; Vardan, La Domination, 143; Theoph. Cont. p. 487.

(١٢٢) ناقش رانسمان Runciman مختلف الآراء التي تناولت تاريخ زيارة الملك الأرميني أشوط الثاني ، وتوصل الى انها تمت في سنة ٩١٤م/ ٣٠٢هـ ، متفقا بذلك مع رأي أدونتز Adontz ، الذي استأنس به الباحث . انظر :

Runciman, Lecapenus, pp. 249-251; Adontz, Ašot, pp. 22-24.

(١٢٣) Theoph. Cont. p. 387; Symen Magistre , Chronicle, p. 732; Georgius Monachus, Vita, 879.

(١٢٤) Catholicos, Hist. Arménie, pp. 383-284, Adontz, Ašot, pp. 22-24.

كاثوليكوس من ناحية أخرى[١٢٥] وكان رد يوحنا كاثوليكوس موجها أساسا الى الامبراطور الجالس على العرش البيزنطي .

على أية حال ، وطبقا لما أورده يوحنا كاثوليكوس ، كان دافع بطريرك القسطنطينية في الكتابة تأثر الامبراطورية البيزنطية ، بسبب الاضطرابات التي عانت منها أرمينية ، وبقية الامارات القوقازية الأخرى . كما تضمنت الرسالة ، طلب البطريرك نقولا من الأرمن العمل على نبذ الخلافات ، والعودة الى الوفاق ، وإحلال السلام بينهم . كذلك حض البطريرك في رسالته للجاثيليق الأرميني هوفهانيس الخامس ، المعروف بيوحنا كاثوليكوس ، بأن يبذل قصارى جهده كي يضع نهاية لتلك الاضطرابات ، وذلك العداء الذي دب بين الأمراء ، لأن هذا هو السبيل الوحيد لتحقيق وحدة الرأي والهدف التي لو تمت فإن الامبراطور البيزنطي لن يتردد ، كما يقول نيقولا مستيقوس عن ارسال جيوش من القسطنطينية لقتال العدو المشترك ويقصد المسلمين[١٢٦] .

(١٢٥) أورد المؤرخ الأرميني يوحنا كاثوليكوس الذي كان من أبرز الشخصيات الدينية في الوقت الذي جرت فيه هذه الأحداث ، حيث كان هو الجاثيليق للكنيسة الأرمينية ـ نص هذه المراسلات التي تمت بينه وبين بطريرك القسطنطينية نيقولا مستيقوس ، كما أورد خبر زيارة مبعوث الامبراطور اليه والى أشوط الثاني .

Catholicos, Hist. Arménie, pp. 282-283.

وعن البطريرك البيزنطي نيقولا مستيقوس ، انظر :

Vasiliev, Empire, p. 355.

وانظر : محمود عمران : **نيقولا مستيقوس** ، ص ٥ ـ ٣ .

(١٢٦) عن رسالة البطريرك نيقولا مستيقوس التي وجهها الى الجاثيليق الأرميني هوفهانيس الخامس « يوحنا كاثوليكوس » انظر :

Catholicos, Hist. Arménie, pp. 270-282; Adontz, Ašot, pp. 20-23.

هذا ، ولأسوليك المؤرخ الأرميني القريب من الأحداث ، رواية يذكر فيها أن أشوط الثاني التجأ الى الامبراطورية البيزنطية هربا من ضربات يوسف القوية التي لم يستطع الصمود أمامها . كما ذكر فردان الرواية نفسها ، ويحتمل أن أحدهما نقل عن الآخر . هذا ، ويستبعد الدارس هذه الرواية . استنادا الى رواية المؤرخ شاهد العيان يوحنا كاثوليكوس حيث لم يكن شاهد عيان فحسب ، بل كان احدى الشخصيات التي قامت بدور كبير في هذه الأحداث بوصفه جاثيليق الأرمن حينذاك . فهو يذكر أن هناك سفارات تمت بين بطريرك القسطنطينية وبينه ، وأن بلاط الامبراطورية هو البادىء بارسال دعوة الى أشوط الثاني على يد المبعوث الامبراطوري ثيودور ، الذي بادر بالتوجه الى الجاثيليق أولا قبل التوجه لأشوط الثاني . انظر :

Catholicos, Hist. Arménie, p. 282; Asolik, Univ. (Dulaurier), 24; Vardan, La Domination 143; Adontz, Ašot, p. 19.

ومهما كان الأمر ، فقد قبل يوحنا كاثوليكوس - كما يروى في كتابه تلك المهمة وعمل بها . ثم كتب ردا على رسالة بطريرك القسطنطينية ، ولكنه وجهه الى الامبراطور البيزنطي . وتتضمن رسالته موضوعين : الأول وصف لحالة بلاد الأرمن المحزنة نتيجة لاغارات المسلمين ، وخلافات الأمراء . اما الموضوع الآخر فهو طلبه من الامبراطورية البيزنطية أن تتدخل إلى جانب الأرمن لترفع الظلم منهم ولتخليصهم من آلامهم . ويتضح من رسالته هذه أنه منحاز الى جانب الامبراطورية البيزنطية(١٢٧) ، وان افكاره التي اوردها لا تعبر الا عن رأيه الشخصي الذي لم يكن الأمراء الأرمن يشاركونه فيه . وحتى اذا كان لبعضهم ميل طبيعي نحو بيزنطة ، وكانوا مستعدين للتحالف معها الا أنهم كانوا يتحسبون فقدان استقلالهم ، ووقوعهم تحت نير الحكم البيزنطي (١٢٨) ، او تعرضهم لغضب الخليفة العباسي .

وتذكر الروايات ان اشوط الثاني استقبل على طول طريق رحلته استقبالا طيبا ، وحظي بتكريم عظيم . وعندما وصل الى بلاط الامبراطور البيزنطي ، استقبل بحفاوة كبيرة و« عومل مثل سليلي الملوك »(١٢٩) . ومن المرجح ان الامبراطور الذي كان جالسا على عرش بيزنطة آنذاك هو الامبراطور قسطنطين السابع (٩١٣ - ٩٥٩ م / ٣٠١ - ٣٤٨ هـ)(١٣٠) وكان حينذاك في فترة الوصاية . فالمعروف ان والده ليو السادس قد توفى عام ٩١٢م/ ٣٠٠هـ وخلفه الأمبراطور اسكندر (٩١٢ - ٩١٣م/ ٣٠٠ - ٣٠١هـ) . وتوفي هذا الاخير في يونيو سنة ٩١٣م/ ٣٠١هـ(١٣١) . وبينما كان اسكندر على فراش الموت ، تم تنصيب نيقولا مستيقوس رئيسا على مجلس الوصايا على الامبراطور القاصر قسطنطين السابع(١٣٢) . هذا ،

(١٢٧) عن رسالة الجاثليق الأرميني هوفهانيس الخامس الى الامبراطور البيزنطي انظر :
Catholicos, Hist. Arménie, pp. 270-282; Adontz, Asŏt, pp. 20-23.

(١٢٨) Adontz, Asŏt, p. 22.

(١٢٩) Catholicos, Hist. Arménie, p. 283; Adontz, Asŏt, p. 23.

(١٣٠) كان الامبراطور قسطنطين السابع بورفير وجينتوس طفلا صغيرا لا يتعدى عمره ثمانية أعوام ، عندما آل اليه العرش البيزنطي ، لهذا آلت الأمور في الفترة من مايو ٩١٣ وحتى فبراير ٩١٤ (شوال ٣٠٠ هـ - رجب ٣٠٢ هـ) الى البطريرك نيقولا مستيقوس بصفته رئيسا لمجلس الوصاية . Theoph. Cont. p. 386.

(١٣١) Theoph. Cont. p. 380, Ostrogorsky, Hist. Byz. St., 261.

(١٣٢) وانظر عمران : نيقولا مستيقوس ، ص ١٥ .
Theoph. Cont. p. 380.

وقد زادت سيطرة البطريرك البيزنطي نيقولا بعد وفاة أسكندر في يونيو ٩١٣ م (ذو القعدة ٣٠١ هـ) . واستمرت سيطرته حتى فبراير ٩١٤ م (شعبان ٣٠٢ هـ) ، واصبحت الامور كلها في يده ، وغدا الرجل الأول في الدولة(١٣٣) . وهذا ما اهله لأن يكتب تلك الرسالة - سابقة الذكر - الى الجاثليق الارميني هوفهانيس الخامس .

وأيًّ كان الأمر ، ففي فبراير ٩١٤ م (شعبان ٣٠٢ هـ) نجحت الامبراطورة زوي Zeo رابع زوجات ليو السادس ، وام الامبراطور الشرعي قسطنطين السابع(١٣٤) في الامساك بدفة الحكم ، والسيطرة على مجلس الوصاية ، وابتعد نيقولا مستيقوس عن الاضواء قليلا ، حتى اختفى نهائيا ، وتوفى عام ٩٢٥ م / ٣١٣ هـ(١٣٥) . وعادت سيطرة زوي على زمام الأمور في الامبراطورية لوصايتها على ابنها (١٣٦) ، ومنذ فبراير ٩١٤ (شعبان ٣٠٢ هـ) وحتى نهاية ٩١٨ / نهاية ٣٠٦ هـ حكمت زوي الامبراطورية ، وعاونها في ذلك مجلس الوصاية(١٣٧) .

والباحث يرى ، استنادا الى ما تقدم ، ان تكون الامبراطورة زوى والدة الامبراطور الطفل قسطنطين السابع هي التي كانت في استقبال الملك الارميني وهي

(١٣٣) ولقد تفاوض البطريرك نيقولا باسم الامبراطور مع الخليفة العباسي حول معاملة القبارصة ، وكذلك مع أمير كريت في موضوع تبادل الأسرى . انظر :
Nicholas I, Letters, 1 and 2; Theoph. Cont. p. 380; Jenkins, Byzantium, pp. 228-236; Ostrogorsky, Hist. Byz. St., p. 261, Vasiliev, Empire, p. 334.

(١٣٤) تزوج ليو السادس اربع مرات ، وكان هذا يخالف القوانين والشرائع الكنسية والقواعد المرعية فنشب صراع بينه وبين رجال الدين ، انظر :
Theoph. Cont. pp. 370-371; Ostrogorsky, Hist. Byz. St., p. 226, Bréhiers, Vie, p. 165; Jenkins, Byzantium, pp. 215-226.

(١٣٥) Vasiliev, Empire, I, pp. 333-334; Jenkins, Byzantium, pp. 239-240.
وانظر :
الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٣٧٥ .

(١٣٦) سعيد بن البطريق : كتاب التاريخ ، ص ٨٢ ، وانظر ايضا :
Theoph. Cont. 386; Vasiliev, Empire, I, p. 334.

(١٣٧) قامت محاولات كثيرة للاستيلاء على السلطة في الامبراطورية البيزنطية اثر وفاة الامبراطور اسكندر في عام ٩١٣م/ ٣٠١ هـ ، منها محاولات القائد دوقاس Ducas في السنة نفسها التي توفي فيها الامبراطور المذكور ، واهم هذه المحاولات محاولة رومانوس ليكانيوس التي نجح على اثرها في السيطرة على مقاليد الأمور في البلاط البيزنطي : انظر عن هذه المحاولات :
Nicholas I, Letters,V. 156; Theoph. Cont. p. 402; Runciman, Lecapenus, pp. 56-60.

التي عملت على انجاح تلك الزيارة التي ترتبت عليها بالتأكيد نتائج هامة في مقدمتها تدعيم سلطة الملك الارميني ونفوذه في بلاده ، فضلا عن تعزيز النفوذ البيزنطي في ارمينية وهو امر على جانب من الاهمية[١٣٨] .

اما القضية الثانية ، فهي التي تتعلق بالآثار التي ترتبت على التقارب الذي حدث بين والي اذربيجان يوسف والملك اشوط الثاني ، قبيل الصدام بين امير اذربيجان وبين الخليفة المقتدر . فكان كل من يوسف بن ابي الساج واشوط الثاني يعاني في الوقت نفسه من مشكلات ، ويبحث عن حليف يسانده . . فيوسف كان يستعد لملاقاة جيوش الخليفة العباسي بسبب تمرده لمحاولته الاستقلال بأقاليمه عن نفوذ الخلافة ، واشوط الثاني كان يواجه هو الآخر تحالفا معاديا له ضم عددا كبيرا من افصاله فضلا عن شقيقه عباس . وابن عمه اشوط بن شابوه ، وصديقه ادرنسيح الثاني ووالد زوجته[١٣٩] .

والواقع ان التقارب بين اشوط الثاني والامير الساجي ادى الى تكتل معظم الامراء الأرمن مع منافسه وعدوه اللدود سميه اشوط بن شابوه الذي ساءت علاقته في هذا الوقت مع يوسف بن ابي الساج[١٤٠] . وعلى الرغم من اللوم الذي وجهه امراء الأرمن لأشوط الثاني ، وشاركهم فيه المؤرخ المعاصر يوحنا كاثوليكوس ، فقد أثبتت الأحداث التالية ، ان سياسة اشوط الثاني كانت لا تستحق اللوم . ذلك لان يوسف بن ابي الساج بعد ان استرد حريته ومنصبه في سنة ٣١٠ هـ /

---

(١٣٨) يرى ادونتز ان الذي استقبل الملك الأرميني الامبراطورة زوي ، انظر :

Adontz, Ašot, p. 13, Runciman, Lecapenus, pp. 249-250.

(١٣٩) عن تمرد يوسف على الخليفة المقتدر ، انظر : عريب : **صلة الطبري** ، ص ٢٥ ؛ ابن الاثير : **الكامل** ، جـ ٦ ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٣ ، ص ١٦٢ وانظر ايضا :

Defrémery, Sadjides, pp. 407-410, Adontz, Ašot, p. 28.

وعن المؤامرات التي حيكت للملك الأرميني اشوط الثاني تحدث يوحنا كاثوليكوس بتأثر بالغ قائلا : «في وسط مليء بالدسائس والمؤامرات لا يوجد شيء ثابت ، لا الصداقة ولا الاخلاص حيث خانه (اشوط) والد زوجته ، والذي كان يعدّه دعامته القوية » .

Catholicos, Hist. Arménie, p. 307; Adontz, Ašot, p. 28.

(١٤٠) اشوط هذا هو اشوط بن شابوه ابن عم الملك اشوط الثاني وكان يوسف قد البسه تاجا ملكيا وجعل مقره مدينة دوين ، وذلك كي يساوى به الملك الشرعي اشوط الثاني ، وبذلك يزيد من حدة الشقاق بين الأمراء الأرمن ، لينفذ سياسته الرامية الى السيطرة على ارمينية كلها ، انظر :

Catholicos, Hist. Arménie, pp. 269-303; St. Martin, Memoir. Ch. C. XXIV; Adontz, Ašot, p. 28; Tharossian, Hist. Arm. Peupl. p. 91.

٩٢٢م[١٤١] ، حاول أن ينتقم من الأمراء الأرمن الذين نقضوا عهدهم معه معلنين عداوتهم له ، وعلى رأسهم الملك الأرذروني جاجيك ملك فاسبوراكان . وبعد عدة مناوشات وحروب معه ، انتهى الأمر بعقد اتفاق سلام بين الطرفين نظير أن يقوم ملك فاسبوراكان بدفع مبلغ سنوي كبير[١٤٢] .

ويبدو أن العلاقات بين أشوط الثاني ويوسف بن أبي الساج لم تتدهور ، على الرغم من أعمال السلب والنهب التي قام بها قادة يوسف من امثال نصر وبشر . ولم يتطور الأمر الى مواجهة شاملة بين الملك الأرميني ، والأمير المسلم . وكانت اهتمامات يوسف ، في تلك المرحلة قد انتقلت بعيدا الى الشرق . فقد غزت جيوشه مدينة الري واستعادتها من السامانيين[١٤٣] . ولكن الأمر الذي ابعد يوسف نهائيا عن مسرح الأحداث في أرمينية استدعاء الخليفة المقتدر له ، وامره له بقتال القرامطة الذين هددوا عرش المقتدر في بغداد وامتثل يوسف للامر ، ولكنه هزم امام القرامطة الذين قتلوه في ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م[١٤٤] .

---

(١٤١) والجدير بالذكر ان بلاط بغداد عين عبد الله بن محمد الفارقي واليا على اذربيجان في الفترة التي كان فيها يوسف سجينا في بغداد ، ابن ظافر : **اخبار الدول** في :

Defremery, Sadjides, p. 411.

وانظر : ابن الأثير : **الكامل** ، جـ ٤ ، ص ١٥٦ .

وعن اطلاق سراح يوسف وعودته الى اذربيجان انظر : مسكويه : **تجارب الامم** ، جـ ١ ، ص ٨٢ ـ ٨٣ ، ويذكر الهمذاني : ان يوسف تعهد بدفع ٥٠٠ الف دينار سنويا الى الخليفة نظير عودته الى منصبه مرة اخرى ، **تكملة الطبرى** ، ص ٢٢٥ ، ويضيف ابن خلدون : ان المقتدر اضاف الى يوسف فضلا عن اذربيجان اعمال الري وقزوين وابهر وزنجان **العبر** ، جـ ٣ ، ص ٣٧٢ .

(١٤٢) ابتعد خاتشيك جاجيك ملك فاسبوراكان عن يوسف منذ اشتراكه معه عام ٩١٠ م / ٢٩٨هـ ضد الملك سمباد، وانتهز فرصة سجن يوسف في بغداد ، فاسترد بعض الاقاليم التي استولى عليها يوسف منه مثل الكوجوفيت والارتاز ، وكان يوسف قد استولى عليهما من امراء تابعين لأسرة هذا الملك انظر :

Cont. Thom. Ardz., pp. 230-232; Grousset, l'Arménie, p. 446; Adontz, Ašot, pp. 21-24.

(١٤٣) مسكويه : **تجارب الامم** ، جـ ١ ، ص ١١٧ ـ ١١٩ ؛ ابن الاثير : **الكامل** ، جـ ٦ ، ص ١٧٥ ؛ ابن خلدون : **العبر** ، جـ ٣ ، ص ٣٧٢ ، وانظر للمزيد :

Defrémery, Sadjides, p. 425.

(١٤٤) بعد ان اطلق المقتدر سراح يوسف بن ابي الساج وسمح له بالتصرف باموال ما كلفه من اعمال على ان يصرفها على شوون تلك الاعمال ، وعلى جنده ، استدعاه لقتال القرامطة ، وبعد حرب جرت بينه وبينهم هزم امامهم واسر ثم قتل على يد زعيمهم ابي طاهر سلمان . انظر للمزيد انظر :

المسعودي : **التنبيه** ، ص ٣٨١ ؛ مسكويه : **تجارب الامم** ، جـ ١ ، ص ١٧٢ ـ ١٧٨ ؛ ابن الاثير : **الكامل** ، جـ ٦ ، ص ١٨٢ ـ ١٨٦ ؛ ابن خلدون : **العبر** ، جـ ٣ ، ص ٣٧٢ ، ٣٧٨ .

وعلى كل ، فقد كانت العلاقات بين ارمينية واذربيجان معقدة ومتداخلة دائماً بحكم تبعية ارمينية الادارية لاذربيجان . ولم يكن امراء الارمن يرغبون بتلك التبعية ، اذ كانوا يفضلون تبعيتهم للسلطة المركزية في بغداد[145] . وكانوا يدفعون مبالغ سنوية كبيرة كجزية لتبعيتهم للخلافة ، وكان امراء اذربيجان يطالبون دائماً بمبالغ اكثر مما هو مطلوب ومقرر من بلاط بغداد على ارمينية لملء خزائنهم بها . وفوق هذا وذاك ، حرص ولاة اذربيجان على مراقبة ملوك ارمينية وامرائها ، فهم عندما يحسون بنمو قوة هذا الامير او ذاك كانوا يسارعون بمهاجمته لكسر شوكته قبل ان يترعرع ويصبح خطرا عليهم[146] . وهنا ، مرة اخرى تتضح كيف تغلبت المصالح الذاتية والأهواء الخاصة على اي مصلحة عامة لأي طرف من الاطراف .

ولكن الحروب في ارمينية لم يكن سببها دائما الامراء الساجيين ، او غيرهم من الامراء المسلمين في الجزيرة ، بل كان سببها في معظم الاحيان الامراء الارمن انفسهم كما كان اشوط الثاني نفسه احيانا مسؤولا عن بعضها . فيوحنا كاثوليكوس على الرغم من صلته القوية بالاسرة البقراطية ، الا انه يصفه بالكبير[147] . ومن المحتمل ان يكون الملك الارمني ، قد عرف السلطة الأوتوقراطية المركزية في اثناء زيارته القسطنطينية . حيث أنه بعد عودته منها حاول فرض سلطته على حساب أتباعه ، وأدى هذا بالطبع الى وقوف جل هؤلاء الأمراء ضده ، فالنظام الاقطاعي الأرمني كان نظام حياة في أرمينية ، وكان قوي الجذور ، ولم يكن من السهل تغييره[148] .

هذا عن المرحلتين الأولى والثانية ، أما المرحلة الثالثة التي امتدت من سنة ٩١٩ - ٩٢٩ م (٣٠٧ - ٣١٧ هـ) فأهم ما يميزها تلك المناوشات التي جرت بين نواب يوسف في أرمينية وأشوط الثاني ، والحملة البيزنطية على دوين

---

(١٤٥) Defrémery, Sadjides, p. 429; Adontz, Ašōt, p. 35.

(١٤٦) Adontz, Ašōt, p. 35.

(١٤٧) Catholicos, Hist. Arménie, p. 232.

هذا ويرى أن الصفات السيئة مثل التكبر والغطرسة وتركيز الحكم في يده ، قد انتقلت الى اشوط الثاني عندما رحل الى القسطنطينية ، بدعوة الامبراطور ليو السادس . وعندما عاد الى ارمينية حاول أن يطبق ما تعلمه ، ولكن هذه الصفات كانت غير مألوفة عند الأرمن ، الامر الذي دفعهم الى نبذه ومقاومته بعنف وخاصة النبلاء منهم انظر .

Adontz, Ašōt, p. 35.

(١٤٨) Adontz, Ašōt, p. 35.

٩٢٢ م / ٣١٠ هـ ، وتصدى الملك الأرمني لحركات التمرد التي أثارها عدد من النبلاء الأرمن الثائرين عليه .

أما عن المناوشات التي جرت بين نواب يوسف في أرمينية وأشوط الثاني ، فبعد أن استرد يوسف منصبه ، مرة أخرى ، وسمح له بالعودة الى اذربيجان ، يلاحظ أنه لم يتدخل شخصيا في أمور أرمينية ، وذلك لأنه استند الى موقف أشوط الثاني المحالف له ، واعتمد في ادارة الأمور في أرمينية على نواب له مثل نصر وبشر ، بيد أن هؤلاء ساروا على سياسة يوسف السابقة نفسها مع الأرمن ، فأخذوا يمدون نفوذهم على حساب أمرائهم ، الأمر الذي أدى بطبيعة الحال الى وقوع مصادمات دموية بينهم وبين الملك أشوط الثاني[149] ، ولكن لم تؤد هذه المواجهة مع أولئك النواب الى نتائج ذات بال فقد استطاع أشوط الثاني أن يحتويها[150] .

أما عن الحملة البيزنطية على دوين ، فقد كانت بقيادة القائد البيزنطي يوحنا كوركواز Jean Corcuos ووقعت في سنة ٩٢٧ م / ٣١٥ هـ في عهد الامبراطور رومانوس ليكابينوس ، وازاء هذا الهجوم البيزنطي ، الذي واجهه نصر السبكي نائب يوسف آنذاك على أرمينية[151] . أصبح موقف الملك ارميني أشوط في غاية الحرج ، حيث كان حليفا لبيزنطة وللأمير الساجي يوسف في وقت واحد . وكانت

---

(١٤٩) والجدير بالذكر أنه في أثناء الفترة التي كان يوسف بن أبي الساج فيها سجينا في بغداد ، عينت بغداد واليا آخر على اذربيجان وتوابعها هو محمد ابن عبدالله الفارقي ، ولكن أحد غلمان يوسف ويدعى « سبك » وتطلق عليه المصادر الأرمنية « سبوك » sbuk استولى على الحكم في اذربيجان ، وحارب الفارقي وهزمه ونجح في أخذ موافقة الخليفة المقتدر على اقراره على حكم اذربيجان وتوابعها . وقد مات هذا قبل اطلاق سراح يوسف وكان من أشد المخلصين له انظر :

ابن الأثير الكامل جـ ٦ صـ ١٥٦ ؛ ابن خلدون العبر جـ ٣ صـ ٣٧٢ وأيضا : ، Defrémery ,SSadjides p. 411 . وتطلق المصادر الأرمنية على غلام اخر ليوسف « سبوك » بينما كان اسمه نصر أيضا . الا أن يوحنا كاثوليكوس قد ميز بين الاثنين ، فيسمى نصر الأول بـ سبوك فقط أما نصر الثاني فيطلق عليه نصر سبوك . انظر . Catholicos, Hist. Arménie, pp. 319-320; Adontz, Ašōt, p. 321.

(١٥٠) بعد أن أطلق سراح يوسف وعاد الى اذربيجان كلف غلامه نصر - وهذا غير الذي مات قبيل الافراج عنه باخضاع الأرمن ، فقام هذا بعدة مذابح ضد الأرمن ، فعزله يوسف وعين بدلا منه « بشر » انظر :

(١٥٠) Catholicos, Hist. Arménie, p. 365; Asolik, Univ. (Dulaurier) p. 24; Grousset l'Arménie, p. 456; Issaverdens, Hist. Arménie, p. 229.

(١٥١) عن هذه الحملة انظر :. Catholicos, Hist. Arménie, p. 365; Asolik, Univ. (Dulaurier). p. 25.

وانظر ابن الاثير : الكامل جـ ١ صـ ١٨٩ ؛ وابن خلدون : العبر ، جـ ٣ ، صـ ٣٨٦ .

مساندته للجيش البيزنطي تعني نقص تحالفه مع أمير أذربيجان ، وهو الأمر الذي يحرص على عدم حدوثه ، ثم أن وقوفه محايدا كان امرا يثير له المشكلات مع حليفه الامبراطور البيزنطي ، كما قد ينال من شعبيته بين أفراد شعبه الذين ـ وان كانوا لا يحبذون الوجود البيزنطي بين ظهرانيهم ـ الا أنهم لا يودون أن ينتصر المسلمون على البيزنطيين حلفائهم في الوقت الحاضر(١٥٢) ، والمهم ان الجيش البيزنطي أخفق في الاستيلاء على مدينة دوين، وقفل عائدا الى بلاده . والجدير بالذكر أن هذه الغارة البيزنطية تعد الخطوة الأولى للمد البيزنطي باتجاه الشرق والذى سيبدأ بعد ذلك ببضع سنوات . كما يمكن ارجاع أسباب التدخل البيزنطي ، ممثلا في تلك الحملة ، الى أحوال أرمينية في تلك الفترة . فالتدخل البيزنطي السابق في عهد الامبراطورية زوي سنة ٩١٥ م / ٣٠٣ هـ كان بسبب عمليات يوسف الحربية في أرمينية ، التي هددت استقلالها بالكامل ، والتي بلغت ذروتها في قتل الملك الأرميني سمباد الأول(١٥٣) .

ويبدو أن الأوضاع تكررت مرة أخرى في بداية العقد الثاني من القرن العاشر الميلادى (العقد الثاني في بداية القرن الرابع الهجري) ذلك ان يوسف الذي استطاع ان يستعيد مركزه في أذربيجان ، نقل ثقله الى فارس ، وترك ادراة أرمينية لنوابه نصر ، ثم من بعده بشر ، فبدأ هذا الأخير يستعيد ما سبق ليوسف بن أبي الساج الاستيلاء عليه في أرمينية ، مفجرا بذلك حروبا أهلية باتباعه سياسة يوسف السابقة نفسها مع الأرمن ، بل زاد عليها باتخاذه العنف والقسوة البالغة وسيلة سريعة لتحقيق مآربه ، مما أثار الذعر والهلع بين السكان الأرمن . وقد تقدم باغاراته حتى وصل الى مدينة أرزن الروم(١٥٤) .

---

(١٥٢) Adontz, Asŏt, p. 31.

(١٥٣) هاجم يوسف ملكين من ملوك البقارطة وهما سمباد الأول الذي قتل على يده في عام ٩١٣ م/٣٠١ هـ Catholicos, Hist. Arménie, pp. 230-234; Cont. Thom. Ardz., p. 228.
كما قام يوسف بسلسلة من الحملات على اشوط الثاني أبن ووريث سمباد الأول . وعلى الرغم من عنف تلك الحملات ، الا انها أسفرت في النهاية عن تقارب الطرفين الأمر الذي جعل يوسف يمنحه تاجا ملكيا : انظر
Catholicos, Hist. Arménie, p. 292, St. Martin, Memoires. p. CXVIII: Adontz, Asŏt, p. 31.

(١٥٤) عن نصر « نائب يوسف على أرمينية وهو غير نصر الذي مات قبيل اطلاق سراح يوسف من بغداد سنة ٣١٠ هـ ـ ٩٢٢ م انظر عن حروب نصر ضد الأرمن :
Catholicos, Hist. Arménie, pp. 319-321; Adontz, Asŏt, p. 32; Tournebize, Religieuse, p. 116.

وبشكل عام كان الموقف شبيها بما حدث سنة ٩١٤ م / ٣٠٢ هـ وعلى الرغم من أن الملك أشوط الثاني كان في مركز أقوى ، الا أن الخطر الذي هدد أرمينية الآن ، كان كبيرا وخطيرا ، الأمر الذي جعل الامبراطور رومانوس ليكابنيوس (٩١٩ ـ ٩٤٤ م / ٣٠٧ ـ ٣٣٣ هـ) يسارع بارسال تلك الحملة على دوين سنة ٩٢١ م / ٣١٩ هـ وهى المدينة التي يتخذها نائب والى اذربيجان مقرا لحكومته في أرمينية(١٥٥) . وإزاء هذه الحملة التي أحرجت موقف الملك الأرميني أشوط ، تصرف هذا الملك بلباقة حذرة حاول جاهدا الاحتفاظ بسياسة متوازنة بين الجانبين . كما أدت تلك الحملة نفسها الى خرق الهدنة التي سبق للامبراطورة زوى أن عقدتها مع المسلمين عام ٩١٧ م / ٣٠٥ هـ(١٥٦) .

على أية حال ، كانت مقدرة الامبراطور البيزنطي على مواصلة القتال ضد المسلمين في الشرق محدودة ، بسبب انشغاله بحربه ضد البلغار(١٥٧) . لهذا لم تنقذ مساعدة بيزنطة ارمينية من الوقوع في براثن سيطرة نواب اذربيجان المسلمين . ولكن الذي انقذها فعلا هو نقل نصر بعيدا عن ارمينية سنة ٩٢٣ م / ٣١١ هـ على ان ارمينية ماكادت تلتقط انفاسها إثر نقل ذلك النائب المتشدد الطموح ، حتى رزئت بنائب لا يقل عنه تشددا وطموحا وقسوة ، الا وهو بشر الذي واصل سياسة سلفه بعدوانية اتسمت بقسوة لم تعرفها أرمينية من قبل على أيدي نواب يوسف السابقين وعلى الرغم من ذلك فقد أخفق بشر في ان يحقق شيئا مما كان يراوده ، وهو آت الى أرمينية(١٥٨) . إذ واجه مقاومة عنيفة من الامراء الارمن الذين وقفوا وراء ملكهم بصفة مؤقتة ضد عدوهم المشترك . وكان عليهم ان يفعلوا هذا لان ظروف بيزنطة لم تكن لتسمح لها بالتدخل لمساعدتهم اكثر مما قدمته لهم ، عندما وجهت حملتها على دوين عام ٩٢١ م / ٣٠٩ هـ فهى تواجه حربا شرسة مع البلغار ، والتي بسببها قرر رومانوس ليكابينوس ـ كما سبق ان قررت زوى من قبل ـ أن يعقد هدنة مع المسلمين

---

(١٥٥) Asolik, Univ. (Dulaurier), Ch. 6.; Adontz, Asŏt, p. 31.

(١٥٦) مسكوية : تجارب الأمم جـ ١ صـ ٥٣ـ٥٥ ؛ ابن الاثير الكامل جـ ٦ صـ ٥٨ .
وانظر . Theoph. Cont., p. 388; Le Strange: Greek Embassy, p. 36 and Seg.
Runciman, Lecapenus, p. 134.

(١٥٧) Catholicos, Hist. Arménie, pp. 338-339; Runciman, Lecapenus, p. 135; Tournebize, Religieuse, p.116.

(١٥٨)

سنة ٩٢٤ م / ٣١٢ هـ(١٥٩) . ليتفرغ للخطر الجديد .

والواقع أن هذه الهدنة لم تستمر بين الجانبين . حيث نقضتها بيزنطة ـ بعد أن التقطت أنفاسها اثر انتهائها من الحرب البلغارية(١٦٠) . بشنها الحرب على دار الاسلام . ولكن حربها هذه المرة تختلف عما سبقها من حروب . فلم يكن الأمر لدواعى الدفاع عن أرمينية ضد العرب ، فقد كانت أرمينية متحررة بما يكفى من النفوذ الاسلامي كما كان موقف ملكها يسمح له بأن يتعامل مع المسلمين معاملة الند للند(١٦١) . وإنما كانت هذه الحرب في جوهرها حربا عدوانية من جانب بيزنطة ، حيث بدأت التوسع والهجوم في اتجاه الشرق ، مستغلة ضعف الخلافة العباسية والمشكلات الكثيرة الأخرى التي تعرضت لها ولاياتها على أيدي القرامطة(١٦٢) . والسؤال هنا : هل جرت أحداث في أرمينية كانت السبب في تلك الحرب ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال ليست باليسيرة ، خاصة وأننا فقدنا الشخص الذي كان بامكانه أن يطلعنا عن اجابة شافية وهو المؤرخ المعاصر والمشارك بماله من وزن في الأحداث يوحنا كاثوليكوس الذي توفي في عام ٩٢٥م/ ٣١٣هـ(١٦٣) .

أما بالنسبة لجهود أشوط الثاني من أجل تدعيم سلطانه ، فيبدو أنه قد وفق في هذا الى حد بعيد ، وساد أرمينية شيء من الهدوء خاصة بعد الاعتراف بحكمة من قبل معظم الأمراء(١٦٤). ولا شك في أن أشوط الثاني كان يميل لمحاباة البيزنطيين أكثر

---

(١٥٩) Theoph. Cont., p. 405.
وانظر : مسكويه : تجارب الامم جـ ١ صـ ١١٩؛ابن الاثير الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨١ .

(١٦٠) انتهت هذه الحرب بالاتفاق على زواج قسطنطين السابع من ابنه ملك البلغار سيمون ، انظر :
Theoph. Cont., p. 394-395.

(١٦١) Runciman, Lecapenus, p. 136.

(١٦٢) عن القرامطة والمشكلات التي اثاروها للخلافة العباسية انظر:
المسعودي : مروج جـ ٢ صـ ٥٥١ ؛ عريب: صلة الطبري صـ١٠٣ ، وما بعدها ، ابن الأثير : الكامل جـ ٦ صـ ١٨٦ - ١١٨ - وانظر ايضا .
Defrémery, Sadjides, pp. 427-433; Adontz, Ašŏt, pp. 33-34.

(١٦٣) Adontz, Ašŏt, p. 34; Runciman, Lecapenus, pp. 115-116.

(١٦٤) امتدحكم اشوط الثاني على مساحات شاسعة من أرمينية عدا اقليم فاسبوراكان ـ الذي كان تحت سيطرة اسرة اردزروني القوية . انظر :
Cont. Thom. Ardz., p. 241, Samuel d'Ani, p.434, n. 2, 5. Gatteyrias, Arm. Arménie, p. 97; Morgan, Peuple, p. 137.

من المسلمين ولكن دبلوماسيته الناجحة حتمت عليه ألا يغالى في عداوته للمسلمين . والدليل على ميله الى جانب البيزنطيين ، هو مفاوضاته مع العاصمة البيزنطية بخصوص اتحاد الكنيستين ، وان كانت تلك المفاوضات لم تحقق الغرض المرجو منها(١٦٥) .

وأيا كان الأمر ، فقد توفي اشوط في عام ٩٢٩ م / ٣١٧ هـ ، ولم يترك أبناء يرثون عرشه ، فتم اختيار شقيقه عباس ملكا لأرمينية ، وكان متبني هذا الاختيار هو جاجيك ملك فاسبوراكان(١٦٦)، وقد نعمت أرمينية بالهدوء والسلام في عهد ملكها الجديد ، الذي تحلى بالاخلاق الحسنة ، وامتاز بالطيبة والرحمة مع ابناء شعبه . كما استطاع أن يكمل جهود شقيقه الراحل أشوط الثاني الخاصة بتدعيم الملكية الأرمينية(١٦٧) . وقد اتخذ هذا الملك من قارص Kars عاصمة له(١٦٨) ، وخلال عهده الطويل (٩٢٩ - ٩٥٣ م / ٣١٧ - ٣٤٢ هـ) قام ببناء عدد كبير من الكنائس والاديرة(١٦٩) .

كما تصدى لبعض الاغارات الاسلامية المحدودة ، وانتصر على بير Beber ملك الأبخاز عندما حاول فرض مذهبه الأرثوذكسى على الأرمن(١٧٠) . وفى عهده

---

(١٦٥) يرى رانسيمان أن اشوط قبل الاشتراك في جلسة اتحاد الكنائس ، على الرغم من انه يعلم ان المذهب الخلقدوني نقطة خلاف كبيرة بينهما وانه قد يكون قبل هذا تزلفا منه للامبراطورية التي بدأت تظهر بوادر القوة والانتصار على المسلمين انظر :
Runciman, Lecapenus, p. 156.

(١٦٦) Cont. Thom. Ardz., p. 241; Samuel d'Ani, p.434, n. 2, 5; Asolik Univ. (Macler), pp. 26-27; Canard, Arm. Califate, p. 405.

(١٦٧) Univ. (Macler), pp. 26-27; Grousset, Levant, p. 138; Toumanoff, Arm. Geor. pp. 614-615; Issaverdense, Hist. Arménie, p. 236.

(١٦٨) Asolik, Univ. (Macler), pp. 26-27; Grousset, Levant, p. 138; Issaverdens, Hist. Arménie, p. 236; Toumanoff, Arm. Geor. pp. 614-615.

(١٦٩) عن الرخاء الذي نعمت به ارمينية في عهد هذا الملك انظر :
Asolik, Univ. (Macler), p. 27; Toumanoff, Arm. Geor. pp. 614-615; Morgan, Peuple, p. 139.

(١٧٠) كان سبب هذه الحرب هو اصرار ملك الابخاز بير Ber على صبغ الأرمن بالمذهب الخلقدوني الذي يتبعه هو وشعبه ، مما أدى إلى اندلاع هذه الحرب التي هُزم فيها وسُملت عيناه على يد الملك الأرميني ، الأان مافعله عباس بملك الابخاز كان له رد فعل من جانب بيزنطة ، التي تتبع مذهب الابخاز نفسه ، ويتمثل في اضطهاد الأرمن الذين يعيشون على أرضها وفرض مذهبها عليهم بالقوة ، انظر للمزيد :
Brosset, Historiens, p. 437; Vardan, La Domination, p. 112; Brosset, Ruins, p. 100, 169; Grousset, Levant p. 139; Tornebize, Religieuse, p. 92.

عاد آلاف من الأرمن الهاربين إلى أرمينية مرة أخرى[١٧١] .

وترجع أهمية عهد عباس إلى أنه كان العهد الذي شهد بحق التوسع البيزنطي باتجاه المشرق الاسلامي ، وهو توسع لم يكن أبداً على حساب المسلمين وحدهم بل كان على حساب الأرمن أيضا . فقد ظلت بيزنطة وقتا طويلا تركز جهودها ضد البلغار ، واقتصر نشاطها فى الشرق على اتخاذ تدابير دفاعية ، باتباعها سياسة التحالف مع أرمينية ، والمحافظة على ما بينها وبين دار الاسلام من سلام وهدوء[١٧٢] . غير انها ماكادت تنتهي من الخطر البلغاري ، حتى شرعت في اتخاذ سياسة الهجوم على الشرق . ووجدت في قائدها يوحنا كوركواز المقدرة العسكرية التي تسمح بتنفيذ سياستها هذه ، التي كانت قد بدأتها بالفعل قبيل وفاة الملك أشوط الثاني ، الا أنها أصبحت بادية للعيان خلال عهد خلفه وشقيقه عباس .

وهكذا هاجم الجيش البيزنطي بقيادة يوحنا كوركواز في سنة ٩٢٧ م/٣١٦هـ ملطية ، وأرغم أميرها أبا حفص على التبعية والخضوع لبيزنطة . وقد رافقت الجيش البيزنطي في اغارته هذه فرقة من الأرمن بقيادة القائد الأرميني الأصل مليح الأرميني[١٧] . كما أجبر قائد بيزنطة فى سنة ٩٢٨ - ٩٢٩م / ٣١٦ - ٣١٧ هـ الامارات الاسلامية شبه المستقلة في أرمينية مثل خلاط وبدليس على الخضوع للسيادة البيزنطية . وأمام ضغط الحملات البيزنطية هرب السكان المسلمين من مدينة أرزن الروم[١٧٤] .

---

(١٧١) Asolik Univ. (Dulaurier), pp. 26-27; Brosset, Historiens, p. 436; Grousset, Levant, p. 138; Gatteyrias Arm. Armeniens, p. 97.

(١٧٢) Ostrogorsky, Hist. Byz. St., p. 276; Runciman, Lecapenus, pp. 136-137.

وانظر الباز العريني : **الدولة البيزنطية** ، ص ٤٠٤ .

(١٧٣) وهذا القائد أرميني الأصل ، ويعرف عند الأرمن مليه Melh وعند البيزنطيين ملياس Melias وقد خدم كقائد في الجيش البيزنطي في عهد الامبراطور يوحنا تزيمسكس ، وله صورة على جدران احدى الكنائس في قبدوقيه على مقربة من قيصرية يشار اليه فيها على أنه ماجستر Magister . ولقد أدى خدمات جليلة للامبراطورية في حروبها ضد المسلمين ، وكانت نهايته في سنة ٩٧٣م/ ٣٦٣ هـ على يد هبة الله الحمداني في اثناء احدي غزواته على الجزيرة حيث أسر ومات وهو في الأسر متأثرا بجراحه . انظر للمزيد عنه :
Constantine Porphyrogenitus, DAI, pp. 238-240; Constantine Porphyrogenitus, De Them., pp. 75-76; 143-146; Hon- igmann, Ostgrenze, p. 64; Canard, Hamdanides, p. 839, n. 253.

(١٧٤) مسكويه : **تجارب الأمم** ، جـ١ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ ؛ ابن الاثير : **الكامل** جـ٦ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ ؛ ابن الوردي : **تتمة المختصر** ، جـ١ ، ص ٣٨٨ .

وانظر :
Brehier, Vie, p. 146; Laurent, Arménie, p. 291.

ومن أهم نتائج الغزو البيزنطي هذا ، أن أصبح اقليم الجزيرة ، ومنطقة ديار بكر على وجه التحديد ، مكشوفا أمام الجيوش البيزنطية ، كما تسببت حملات القائد البيزنطي كوركواز في شمال بحيرة فان وغربها ، في جعل النفوذ البيزنطي يقترب من منطقة نفوذ أسرة أردزروني في فاسبوراكان[١٧٥] .

على أية حال ، نقضت ملطية ، عقب وفاة أميرها أبي حفص ماسبق أن أعلنته من خضوع وتبعية لبيزنطة عام ٣١٦ هـ / ٩٢٧ م . مما جعل يوحناكوركواز يقود عليها حملة نجح في الاستيلاء عليها فيها ، وضمها نهائيا إلى الكيان الامبراطوري في ١٩ مايو ٩٣٤م/ ٢٩ جمادى الأولى ٣٢٣ هـ[١٧٦] - كما استطاع هذا القائد خلال ١٨ عاما امتدت من ٩٢٦ الى ٩٤٤م/ ٣١٤ - ٣٣٣هـ) أن يستولي على العديد من التحصينات التي أقامها المسلمون على حدود الامبراطورية الشرقية ، وأخذ يضم إلى بيزنطة كل حصن واقليم يستولي عليه . ويلاحظ أن الهجوم البيزنطي بقيادة يوحنا كوركواز تركز على القطاع الأوسط من الحدود البيزنطية الشرقية ، وذلك لأن الادارة البيزنطية رأت تدعيم هذا القطاع بامتلاك المزيد من الأقاليم حوله[٧٧] .

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هنا ، ماهو رد الفعل الأرميني على ذلك الهجوم البيزنطي باتجاه الشرق ؟ من المرجح أن الأرمن لم يرحبوا بذلك الغزو ، على الرغم مما كان بينهم وبين البيزنطيين من تحالف بادروا هم بنقضه . ولم تكن لديهم الرغبة فى رؤية الامبراطورية البيزنطية وهي تحيط بحدودهم مباشرة من كل جانب ، لأن في هذا تغييراً لميزان القوى في نظرهم ، خاصة وأن الأرمن حاولوا دائما

---

(١٧٥) Runciman, Lecapenus, p. 159.

(١٧٦) Theoph. Cont., pp. 415-416; Symeon Magistre, Chronographia, pp. 712-741; Grousset, l'Arménie, 476; Runciman, Lecapenus, p. 141.

بعد ضم هذه المدينة أراد البيزنطيون تجريدها من طابعها الاسلامي وصبغها بطابعهم ، فخيروا اهلها بين المكوث فيها مع اعتناق المسيحية أو هجرة الرجال وحدهم بدون أموالهم وأهلهم ، فاختار أكثرهم المكوث . كما نقلوا اليها سكان ارمن ، وأقاموا فيها أيضا حصنا قويا لتأمين الطريق منها إلى منزكرت وطارون . ابن الأثير : **الكامل** جـ ٦ ، ص ٢٤٣ ، ابن خلدون : **العبر** ، جـ ٣ ، ص ٤٠٩ ، وانظر :
Canard, Hamdanides, p. 735; Jenkins, Byzantium, p. 274; Charanis, Arm. Greeks, p. 25.

(١٧٧) Constantine Porphyrogenitus, DAI, pp. 200 Seg. Honigmann, Ostgrenz, p. 79; Grousset, l'Arménie, p. 475.

تأكيد استقلالهم بالاحتفاظ بعلاقات متوازنة مع جارتيهم القويتين ، دون السماح لاحداهما بأن تطغى على الأخرى[١٧٨] ، حفاظا على هذا الاستقلال قدر الاستطاعة .

ويتضح موقف الأرمن هذا بجلاء في عام ٩٢٧ م / ٣١٥ هـ عندما تقدم القائد البيزنطي كوركواز نحو دوين حين مر في طريقه اليها على مدينة أرزن الروم[١٧٩] . فاجتاح المناطق الريفية التي تحيط بها ، ثم أراد الاستيلاء عليها ، فطلب مساعدة أمراء ايبيريا المنتمين الى الأسرة الأرمينية البقراطية فى أرمينية بالسماح له باستخدام حصن كيتزيون Ketzeon المجاور لأرزن الروم ، كي يحكم الحصار عليها . فتعلل الأمراء الأيبيريون بأنهم لا يستطيعون السماح له بذلك ، لأنهم سيكونون عرضة لغضب بقية الأمراء الأرمن ولومهم ، وأمراء القوقاز الآخرين . بل وأكثر من ذلك ، فانهم أخذوا يمدون سكان المدينة المحاصرين بالمؤن وغيرها[١٨٠] .

ومهما يكن من شيء ، فإن مثل تلك المواقف من جانب الأرمن والأيبيريين جعلت مهمة القائد البيزنطي صعبة . ولكنه على الرغم من صعوبتها ، استطاع أن يستولى على مدينة أرزن الروم بعد حصار طويل . وهنا أبدى ذلك القائد تصرفا يدعو للعجب ، وهو أنه أمر باعادة كل الأقاليم التي سقطت في يده ، والتي تقع

---

(١٧٨) Runciman, Lecapenus, p. 139.

(١٧٩) كانت هذه المدينة ـ وتسمى عند الأرمن بكارين Karin وهى أرضروم الحالية ـ تخضع لأمير الجزيرة ، وكانت فيها حامية اسلامية ، وهي مدينة أرمينية غالبية سكانها من الأرمن . انظر :
Asolik, Univ. (Dulaurier) 38, n. 3; Canard, Arm. Califate, p. 405.

(١٨٠) يرى رانسيمان أن البيزنطيين وضعوا في اعتبارهم امتلاك المدن والمواقع الحصينة التي ربما تشكل عائقا لهم عندما يعتزمون اجتياح الأراضي الاسلامية المجاورة لهم ، مثل مدينة أرزن الروم (كارين) التي كانت بمثابة قلعة اسلامية معزولة تحيطها أراضي أرمينية وبيزنطية . انظر : Runciman, Lecapenus, p. 139.
عن حصار هذه المدينة وموقف الأرمن غير الودي تجاه البيزنطيين أثناءه ، انظر : قسطنطين بورفيروجينيتوس : **ادارة الامبراطورية** ، ص ٤٥ ، وانظر : ابن الاثير : **الكامل** ، جـ٦ ، ص ١٨٩ ؛ ابن خلدون : العبر جـ٣ ، ص٣٨٦ . وانظر :
Toynbee, Constantine, p. 121; Vasiliev, Macédonienne , II, pt. 11, p. 151.

شمال نهر الرس إلى الأيبيريين[١٨١] ، وذلك تنفيذا لسياسة الامبراطورية التي تسعى لكسب هذه العناصر اليها في أثناء حروبها الضارية ضد المسلمين .

وعلى هذا يمكن القول ، بأن رد فعل الأرمن والأيبيريين على الهجوم البيزنطي تجاه الشرق ، ساده القلق وعدم الارتياح والشك من نوايا البيزنطيين . فلم يكن في مصلحة الأرمن أن تقوم بيزنطة بمثل هذا التوسع الكبير الذي لابد وأن يهدد استقلال أرمينية الذاتي وهويتها المميزة . وليس بعيداً أن يقعوا هم أيضا ضحايا لأطماعها التوسعية هذه . بل وقعوا بالفعل فيها بعد . فقد كانوا يدركون أن الوضع الأمثل لبلادهم يتمثل في وجود توازن متكافىء للقوى لدى جارتيها : الخلافة الاسلامية ، والامبراطورية البيزنطية ، وانه فى ظل هذا التوازن يمكنهم الاحتفاظ بكيانهم .

وكما سبق أن رأينا ، فقد أصيبوا بالذعر والقلق عندما أراد ممثل الخلافة العباسية في أذربيجان ، احكام سيطرته عليهم ، مما جعلهم يهرعون إلى بيزنطة طالبين منها العون ، وكان استنجادهم بها أمرا طبيعيا بحكم علاقاتهم المرنة مع الجانبين[١٨٢] . والآن وجد الأرمن أنفسهم يتعرضون لخطر الغزو البيزنطي ، الذي ـ وإن كان قد استهدف أساسا ممتلكات دار الاسلام ، إلا أن الطريق الى هذه الممتلكات لا بد وأن يمر عبر أراضيهم ، وهو أمر لا يخلو من المخاطر ، حيث قد يطمع البيزنطيون فيها وفي مواردها وبهذا لم يكن الأرمن سعداء ومرحبين بالمد البيزنطي شرقا[١٨٣] . الذي يقلب الموازين بين الطرفين المتصارعين ، وتنعكس آثاره سلبا على أرمينية .

---

(١٨١) بالنسبة لمدينة أرزن الروم ، فقد اصبحت تتبع الامبراطورية تبعية اسمية فقط ، ويبدو أنها حاولت التملص من هذه التبعية في سنة ٩٣٠ م / ٣١٨ هـ ، ولكن بيزنطة تمكنت من ضمها نهائيا اليها في عام ٩٤٩ م / ٣٣٨ هـ . وللمزيد انظر :
Constantine Porphyrogenitus, DAI, p. 200 seg.; Michel le Syrien, II, p. 132.
هذا ، ويرى كانار أن سقوط هذه المدينة في قبضة البيزنطيين كان سبباً في القضاء على النفوذ الحمداني في أرمينية ، كما كان تدعيما لاستقلال أرمينية . انظر : Canard, Arm. Califate, p. 405.
وانظر عن اعادة القائد البيزنطي يوحنا كوركواز الاقاليم التي فتحها في شمال نهر الرس الى الايبيريين .
Asolik Univ. (Dulaurier), p. 38; Grousset, l'Armenie, p. 475.

(١٨٢) كان الأرمن يفضلون عقد محالفات سياسية فقط مع البيزنطيين دون التورط معهم الى أبعد من ذلك . انظر :
Bartiken, Envahissement, p. 330.

(١٨٣) يرى رانسيمان أن البيزنطيين وجدوا أن ضم أرمينية الى الكيان الامبراطوري أمر تحتمه ضرورة الدفاع ضد خطر الاتراك السلاجقة القادم اليهم من الشرق . رانسيمان : **الحضارة البيزنطية** ، ص ٣٥٣ .

وإذا كان ضعف الخلافة العباسية قد بدأ ظاهرا للعيان ، واستغلته الادارة الامبراطورية ، واستثمرته لصالحها ، ونجحت في الاستيلاء على عدد من الثغور الاسلامية في عهد الامبراطور رومانوس ليكابينوس[184] ، فإن هذا الغزو البيزنطي كان له رد فعل اسلامي تمثل في تلك الصحوة والمقاومة الاسلامية الأخيرة ، والتي تمثلت في الحمدانيين الذين حاولوا وقف الزحف البيزنطي بالتصدي له تارة ، وباتباع سياسة هجومية تارة أخرى .

لقد أخذت أسرة بني حمدان تستقل بحكم اقليم الجزيرة شيئا فشيئا في مطلع القرن العاشر الميلادي (مطلع القرن الرابع الهجرى)[185] ، وكانت ظاهرة استقلال ولايات الخلافة العباسية عن الحكومة المركزية في بغداد قد أخذت تنتشر .

ولقد حتم الجوار بين اقليم الجزيرة وأقاليم الأرمن قيام نوع من العلاقات بين الحمدانيين وجيرانهم من الأرمن ، تراوحت هذه العلاقات بين عدائية تحسم في ميدان القتال ، وسلمية أهم مظاهرها تبادل التجارة والفكر . ووقعت بين الحمدانيين والأرمن بعض المصادمات ، أبرزها تلك التي حدثت في عهد الملك أشوط الثالث (٩٥٣ - ٩٧٧م/٣٤٢ - ٣٧٩هـ) ، الذي كثيرا مانال رضى الخليفة العباسي ، بسبب نجاحه في التصدي لبعض الأمراء الحمدانيين المتمردين عليه[186] .

---

(١٨٤) هذا اما عن التوسع البيزنطي في أرمينية ، فقد ضُمت كل الأراضي الأرمينية الواقعة شمالا من جبال طوروس الى بحيرة فان ، مع فرض السيطرة البيزنطية على الممتلكات التابعة لأمراء أيبيريا البقراطيين . انظر عن ذلك :

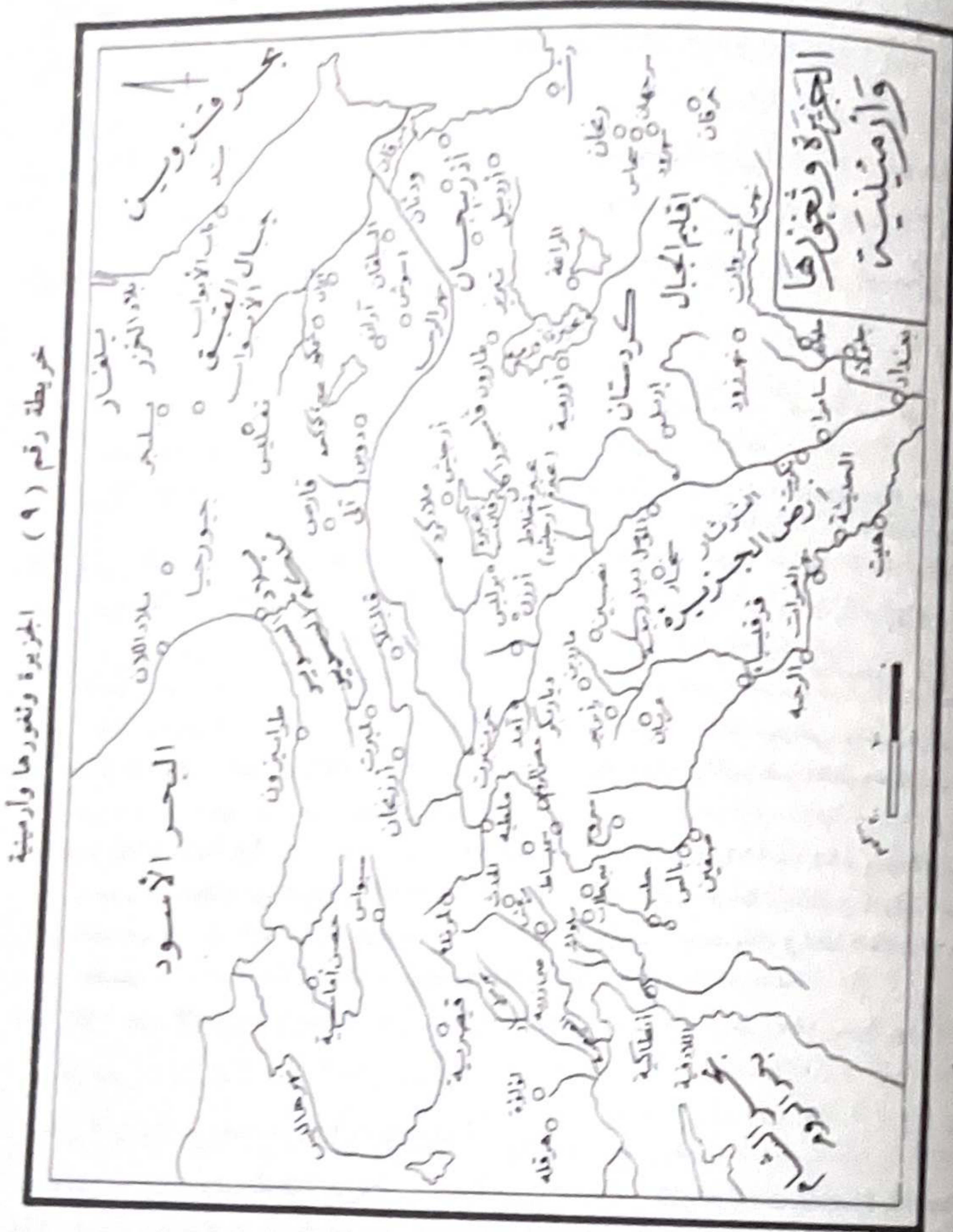
Theop. Cont., p. 427; Asolik, Univ. (Dulaurier), p. 37, Adontz, Taronites, p. 544.

(١٨٥) عن نشأة الأسرة الحمدانية ، وتكوين امارة لهم في الموصل وحلب ، أنظر : الطبري : الأمم ، جـ ١٠ ، ص ٩ ، ٣٧ - ٤٠ ، وما بعدها ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ، صـ ٧٨ ، وما بعدها ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ، وأنظر ايضا :

Canard, Hamdanides, p. 278, Freytag, Dynastian der Hamdanden, p. 10, 11.

(١٨٦) ذكرت المصادر الأرمينية أن أشوط هذا استطاع أن ينتصر على قائد حمداني لم تحدد اسمه ، وانه قتله في معركة تمت بينهما ، وبسبب انتصاره هذا على التمرد على سلطة الخليفة العباسي منحه الأخير تاجا وهدايا ثمينة . وفي الواقع أن القائد الحمداني الذي دخل أرمينية في هذا الوقت حسب اشارات المصادر الاسلامية القريبة من الأحداث هو ناصر الدولة وشقيقه سيف الدولة اللذين لم يكونا قد حملا هذه الألقاب بعد . ولكن ناصر الدولة بمساعدة شقيقه استطاعا أن يخضعا الأمراء الأرمن وقد يكون الملك الأرمني أشوط الثالث لم يعلن خضوعه للأمير الحمداني ، وبهذا تكون قصة القتل هنا غير واردة ، ويكون المؤرخون الأرمن قد ساقوها زيادة في تعظيم ملكهم . أنظر :

= Asolik Univ. (Dulaurier), p. 179.



خريطة رقم (٩) الجزيرة وثغورها وأرمينية

نقلا عن : د. ماجد والبا : الأطلس التاريخي للعالم الاسلامي في العصور الوسطى

والواقع أن من بين أهم الشخصيات التي برزت في الأسرة الحمدانية كانت شخصية الأمير سيف الدولة ، الذي حمل على عاتقه عبء التصدي للغزو البيزنطي ناحية الشرق[187] ، والذي استطاع ان يحقق بعض الانتصارات التي جعلت مهمة البيزنطين في التوسع والغزو في أرض الأسلام صعبة إلى حد ما[188] . وكان من الطبيعي ان يهتم سيف الدولة بأرمينية ، فهي لمتاخمتها حدود الجزيرة مثلت مراكز انطلاق استغلها البيزنطيون ، كما أنها تجاور ممتلكات أسرته في ديار بكر وأرزن الروم وغيرها[189] . من هناجاء اهتمام الحمدانيين بتدعيم نفوذهم في أرمينية . ولهذا أغار سيف الدولة على اقليم طارون ودمر عاصمته موك Mook في سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م . كما طلب من الأمراء الأرمن تسليمه عددا من التحصينات الهامة ليتمكن من

= وانظر عن تمرد ناصر الدولة على الخليفة الراضي : الهمذاني : تكملـة ، ص٢٩٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٢٤٩ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ٣ ، ص٤٠٠ ، وأنظر :
Canard, Hamdanides, p. 725; Freytag, Dynastian der Hamdaniden, p. 467; Marquart, Südarmenien, p. 463; Rosen, Basile, 105.

(١٨٧) يمكن تقسيم المراحل التي مر بها سيف الدولة في كفاحه ضد التوسع البيزنطي نحو دار الاسلام كالاتي :
المرحلة الأولي : وتمتد من ٣٢٦ - ٣٣٢هـ/٩٣٧ - ٩٤٣م ، وفيها كان سيف الدولة أحد كبار امراء دياربكر كما شن في أثنائها عدة حملات على ارمينية والجزيرة ضد القائد البيزنطي يوحنا كوركواز .
المرحلة الثانية : وتمتد من ٣٣٣ - ٣٤٣هـ/٩٤٤ - ٩٥٤م ، وتميزت بخضوع حلب وشمال الشام بجانب ميافارقين وديار بكر له ، وكان نضال سيف الدولة في اثناء هذه المرحلة ضد القائد البيزنطي برداس فوقاس .
أما المرحلة الثالثة : فتمتد من ٣٤٣ - ٣٤٩هـ/٩٥٤ - ٩٦٠م ، وقد اعاد فيها البيزنطيون تنظيم صفوفهم ضد سيف الدولة وتمكنوا من احراز بعض الانتصارات عليه .
واما المرحلة الرابعة والأخيرة : فهى تمتد من ٣٥١ الى مابعد وفاته ٣٦٥هـ/٩٦٢ - ٩٦٦م ، وهذه تميزت بوصول نقفورفوقاس إلى العرش عام ٩٦٣م/٣٥٢هـ وظهور القائد الكفء يوحنا تزيمسكس ، وفيها انهالت الضربات على سيف الدولة لدرجة ان عاصمته حلب سقطت في ايديهم . وبعد وفاته في سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م خضعت حلب وقسم كبير من بلاد الشام للسيطرة البيزنطية .
انظر : يحيي الانطاكي : تاريخه ص١٢١ ؛ مسكويه : تجارب الامم ج١ ، ص ١٩٧ ، وما بعدها .
ابن ظافر : أخبار الدول ، ورقة ٣ ، وما بعدها .
ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٣٣٤ ، وما بعدها .
وأنظر : كانار : **سيف الدولة** ، ص٣٥ .
Canard, Hamdanides, p. 480.

(١٨٨) كانت أهم غزوات سيف الدولة تلك التي وصل فيها إلى كلونيا Coloneia وهذه تقع شمال ملطيه . أنظر : ابن ظافر : **أخبار الدول** ، حوادث ٣٢٨هـ/٩٤٠م غير ان الهمذاني في **الصله** ، أشار الى وقوعها في أواخر سنة ٣٢٧ هـ (أواخر ٩٤٠م) الصلة ، ص٣٢٠

(١٨٩)
Canard, Hamdanides, p. 478.

التصدى للهجوم البيزنطي[190] .

ولا شك أن امتداد النفوذ الحمداني صوب أرمينية كان هدفا ثانويا للحمدانيين ، وكانت الغاية منه هى الوقوف في وجه الامتداد البيزنطي . أما الامتداد الاقليمي الطبيعي للحمدانيين فكان جهة الغرب باتجاه الشام ، وهو ماتم بالفعل على يد سيف الدولة الذي استطاع أن يؤسس له امارة في شمال الشام قاعدتها حلب[191] .

على كل حال ، تقبل أمراء الأرمن مطالب سيف الدولة ، وتنازلوا له عن القلاع التى طلبها منهم ، وخضعوا له كما خضع له الملك البقراطي عباس . وانصب اهتمام سيف الدولة على اقليم طارون عن بقية الأقاليم الأرمنية الأخرى ، وذلك لقربه من الأراضي البيزنطية ، ولعظم النفوذ البيزنطي فيه ، منذ حملة كوركواز التي تمت في أواخر سنة ٩٤١م/٣٣١هـ[192] . هذا عن الجانب الأسلامي ، أما عن الجانب البيزنطي ، فقد تمخضت العمليات العسكرية التي قام بها القائد البيزنطي يوحنا كوركواز ، عن تغيير كبير في مقاطعات الحدود البيزنطية الشرقية فلم يتغير موقعها فحسب ، بل ان تلك المقاطعات قد تخلصت نهائيا من خطر الاغارات الاسلامية المستمرة التي تمثلت في الصوائف والشواتي[193] . أما اغارات سيف الدولة المضادة فلم تفلح في تقديم الكثير ، فهى لم تسترد ماضاع من أراض

(١٩٠) كان سبب اغارة سيف الدولة على اقليم طارون الأرميني هو امتثاله لأوامر شقيقه ناصر الدولة الذي طلب منه اخضاع نائبه المتمرد عليه في أرزن على بن جعفر الديلمي ، والذي استعان باميري طارون بقراط وأشوط . فتمكن سيف الدولة من هزيمة ذلك المتمرد واعوانه من الأرمن وبذلك فرض نفوذ الحمدانيين على طارون وما يجاورها من ممتلكات انظر : ابن الأرزق الفارقي : **تاريخ الفارقي** حوادث سنة ٣٢٨هـ ؛ ابن ظافر : أخبار الدول، ورقة٤ ؛ كانار : سيف الدولة ، ص٢٤٩ - ٢٥٠ هامش ٤ . وأنظر :
Thopdschian, Kirchengeschicte , p. 173; Marquart, Südarmenien, p. 463; Canard, Hamdanides 478.

(١٩١) عن تأسيس سيف الدولة لامارة له في حلب انظر : الهمذاني ، تكملـة ، ص٣٥٠ ، ابن ظافر ، **أخبار الدول** ، ورقة ٤ - ٨ ؛ ابن الأثير : الكامل جـ٦ ، ص٣١٢ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب جـ١ ، ص١٠٤ - ١٠٥ ؛ كانار **سيف الدولة** ص٣٥ .

(١٩٢) عن حملة كوركواز هذه انظر : يحيي الانطاكي تاريخه ص٩٨ ؛ ابن الجوزي : **المنتظم** ج٦، ص٣٣٠ ؛ ابن الأثير الكامل جـ٦ ، ص٢٩٤ وانظر :
Runciman, Lecapenus, p. 144.

(١٩٣) ويري الدكتور وسام عبد العزيز ان القائد يوحنا كوركواز برهن بعملياته العسكرية الناجحة التى قام بها على مدى الضعف والاضمحلال الذي تردى فيه الشرق الأدني الاسلامي دراسات الثغور الاسلامية عن ص٢٦٤ .
Canard, Hamdanides, pp. 480, 486; Marquart, Südarmenien, p. 463; Honigmann Ostgrenze, p. 397.

اسلامية ، ولكنها نجحت إلى حد ما في تدعيم نفوذه في أرمينية ، أكثر من تصديه للخطر البيزنطي الزاحف نحو دار الاسلام .

وبطبيعة الحال ، كان من غير الممكن أن تتمكن امارة مثل امارة سيف الدولة ذات الامكانات المحدودة بشريا واقتصاديا ، من أن تحقق الكثير لان العدو الذي كان عليها أن تتصدى له يمثل امبراطورية متعددة الموارد البشرية والمادية ، ولكن اغارات سيف الدولة المتكررة نبهت البيزنطيين إلى أهمية تدعيم حدودهم الملاصقة لشمال الشام . ولأجل تحقيق هذا الهدف قاموا بعملياتهم التوسعية في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي (النصف الأول من القرن الرابع الهجرى) تجاه المشرق الاسلامي . واستطاعوا خلال فترة وجيزة الاستيلاء على معظم الثغور الاسلامية في القطاع الجنوبي من الحدود وهو الانجاز الذي تحقق على يد القائدين نقفور فوقاس ويوحنا تزيمكس ذوي الأصل الأرميني[١٩٤] .

أما بالنسبة لارمينية ، فقد كان قدراً مكتوباً عليها أن ترقب مايحدث حولها . فربما كانت راضية عن محاولات سيف الدولة لوقف المد البيزنطي ، وليس أدل على ذلك من ترحيب الملك البقراطي عباس ملك الأرمن بتلبيته مطالب سيف الدولة والخضوع له[١٩٥] . إلا أن الاحداث التالية أثبتت أن على أرمينية أن تكيف نفسها بسرعة مع المتغيرات الجديدة التي استجدت على مسرح الأحداث وقتها ، والتي

---

(١٩٤) عن العمليات التي قام بها القائدان نقفور فوقاس ويوحنا تزيمسكس على الشرق الاسلامي انظر :

Leo the diacon, Historiae, pp. 161-164.

وانظر يحيى الأنطاكي : تاريخه ص ١١٨ وما بعدها ؛ مسكوية : تجارب الأمم جـ ٢ ، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٧ ، ٣١٥ ـ ٣٢٣ ابن الأثير الكامل جـ ٧ ، ص ٩ وما بعدها وانظر ايضا :

Jenkins, Byzantium, pp. 275-279, 278-279; Franzius, Byzantine Empire pp. 240-241; Canard, Expeditions pp. 99-100; Vasiliev, Empire, p. 310.

(١٩٥) يذكر ابن الأزرق مجيء ملوك أرمينية لسيف الدولة عندما دخل بلادهم سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩م بقوله « ورد ملوك أرمينية فوصلوا تحت حكمه وفي خدمته » كانار : سيف الدولة ص٧٦ ـ ٧٧ ؛ ابن ظافر أخبار الدول ورقة ٣ ـ ٤ .

لزم المؤرخون الارمن الصمت ازاء توغل سيف الدولة فى ارمينية واخضاعه لملوكها ، أما المؤرخون العرب فانهم اشاروا اليه بايجاز انظر ابن ظافر : أخبار الدول ورقة ٣ ـ ٤ وانظر أيضا :

Canard, Hamdanides, pp. 480-486; Marquart, Sudarmenien, p. 463; Honigman, Ostgrenze, p. 397.

تمثلت في توالى الانتصارات البيزنطية في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي (النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان عليها أن تدخل في حسبانها استمرار ضعف قوة العباسيين واضمحلالها ، وإخفاق سيف الدولة الحمداني في وقف المد البيزنطي نحو الشرق ، ثم وفاته بعد ذلك . وهذا ماسوف يتضح في الفصل الخامس والأخير من هذا الكتاب .

الفصل الخامس

أرمينية ودور الدولة الحاجزة بين البيزنطيين والمسلمين وسياسة الضم البيزنطية لها

(٩٥٣ - ١٠٦٤م/ ٣٤٢ - ٤٥٧ هـ)

استفادت أرمينية من الاضمحلال الذي اصاب الخلافة العباسية بدءا من القرن التاسع الميلادي (القرن الثالث الهجري)[١] كما استفادت من انشغال الامبراطورية البيزنطية بمشكلات أخرى فى الداخل، وعلى جبهتها الاوربية في الخارج[٢]، وذلك بأن أجتمعت كلمة امرائها على تتويج امير الامراء أشوط الخامس ملكا على البلاد ولم يسع كل من الامبراطور البيزنطي، والخليفة الاسلامي الا مباركة ذلك الاختيار، والاعتراف بأشوط الخامس ملكا، بمنحه تاجا ملكيا وخلعا وهدايا ثمينة.

هذا، وإذا كان أهم مظاهر اضمحلال الخلافة العباسية هو ظهور الولايات المستقلة في اطرافها، فقد حاولت بعض تلك الولايات ان تستقل عن سيطرة الحكومة المركزية في بغداد، ومنها ولاية أذربيجان، التي حاول أمراؤها فرض هيمنتهم بالكامل على أرمينية واصفين أنفسهم وارثين بغداد والخلافة العباسية في هذا المجال[٣]. ولا شك أن هذا الدور الذي قام به الأمراء الساجيون في أذربيجان لم يلق الترحيب والقبول من الأرمن، لأنهم لم يألفوا تلك التبعية. لهذا قاوموا - وبكل شدة - محاولات أولئك الولاة لفرض نفوذهم عليهم. ونتيجة لهذه المقاومة سادت أرمينية صور من العنف، ترجمت رد الفعل لدى الأرمن تجاه فرض تلك

---

(١) عن الضعف الذي اصاب الخلافة العباسية أبّان القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) انظر: ص ١٢٩ - ١٣٠ وأيضاً ٣٧ وما بعدها.

(٢) للمزيد عن المشكلات التي واجهت الامبراطورية البيزنطية خلال هذه الفترة انظر:

Ostrogorsky, Hist. Byz. St., pp. 255-260; Bratinue, Le Commerce, p. 30; Vasiliev, Second Attack, pp. 161-255.

(٣) كانت أرمينية تتبع منذ أن دخلت في فلك النفوذ الاسلامي الجزيرة أو أذربيجان، ولقد حاول واليا أذربيجان شبه المستقلين عن الخليفة العباسي، محمد الأفشين وشقيقة يوسف، أن يفرضا نفوذهما بالكامل على أرمينية. انظر في هذا الموضوع: Catholicos, Hist. Arménie, pp. 183-184; Asolik, Univ. (Macler), p. 13; Defreméry, Sudjides, pp. 430-431.

وعن محاولات يوسف بن أبي الساج لفرض نفوذه على أرمينية، انظر:

Catholicos, Hist. Arménie, pp. 185-186, 193-194, 199-200, 230-234; Cont. Thom. Ardz., pp. 177-178: Canard, Arm. Califate, pp. 404-405, Defremery, Sadjidas, p. 444.

السيطرة عليهم . وكان الثمن الذي دفعه الأرمن فادحا في الأموال والأرواح . وبلغت المأساة ذروتها بشنق ملكهم سمباد الأول على يد والى أذربيجان يوسف بن أبي الساج والتمثيل بجثته[٤] .

لم يقتصر الأمر على ذلك ، بل استمر العنف وزادت حدته في عهد ابن سمباد ، ووريثه أشوط الثاني خاصة في بداية حكمه[٥] . كما أخذ الكثير من وقت شقيقه ووريثه في الحكم الملك عباس (٩٢٩ - ٩٥٣ م/٣١٧ - ٣٤٢ هـ) ، والذي بدون شك - قد جنى الكثير من ثمار جهود أسلافه ، حيث شهد عهده هدوءا نسبيا لم تعرفه أرمينية منذ فترة طويلة ، اذ عم السلام ربوع المملكة ، ولم تعد الأخطار التي تهددها كبيرة ، أو ذات أهمية وكان بامكانه بالدبلوماسية تارة ، وبقوة السلاح تارة أخرى ، أن يتصدى لها[٦] .

على أية حال ، توفي الملك عباس سنة ٩٥٣ م/٣٤٢ هـ بعد حكم دام ٢٤ سنة ، وخلفه على العرش شقيقه أشوط الثالث الذي أمتد عهده من سنة ٩٥٣ الى سنة ٩٧٧ م (٣٤٢ - ٣٦٧ هـ)[٧] ، ولقد بلغت أرمينية في الشطر الأكبر من عهد

(٤) انظر عن حروب يوسف مع الملك سمباد الأول ، والتي انتهت بشنق يوسف لهذا الملك :
Catholicos, Hist. Arménie, p. 185, 193-194, 199-200, 205 ff.; Cont. Thom. Ardz., pp. 177-178; Morgan, Peuple, p. 135; Asolik, Univ. (Macler), pp. 16, 18, 22-23; Defrémery, Sadjidas, pp. 398; Issaverdens, Hist. Armenie, 198.

(٥) عن العلاقات التي كانت بين أشوط الثاني وأمراء أذربيجان الساجيين انظر :
Catholicos, Hist. Arménie, 238, 268-269, 303; Cont. Thom. Ardz., 230; Adontz, Asŏt, 17-18, 24, 29-30; Defrémery, Sadjidas, pp. 406-407.

(٦) من الأخطار التي واجهها هذا الملك واستطاع التغلب عليها ، قيام ملك جيورجيا الكبرى الملك جورج الأول ، بشن حملة عليه كي يفرض عليه مذهبه ، وكان هذا يتبع مذهب كنيسة القسطنطينية ولكن عباسا استطاع صده ، وهزيمته وسمل عينيه . انظر :
Brosset, Historiens, p. 436, n. I; Tchamtschean, Arménie., II, p. 828; Grousset, l'Arménie, p. 473; Tournebize, Religieuse, p. 117.

(٧) هناك اختلاف بين المؤرخين حول التاريخ الذي اعتلي فيه هذا الملك الحكم ، فصمويل داني Samuel D, Ani يذكر أنه بدأ حكمة في سنة ٩٥٣ م/٣٤٢ هـ ، أما تشاميتشيان ، فيذكر أنه بدأ من ٩٥٢ م/٣٤١ هـ ، ولكن من المؤكد أن هذا الملك كان لا يزال يحكم حتى نهاية (٩٧٥م/ ٣٦٥هـ) وهذا يؤكده الخطاب الذي وجهه اليه الامبراطور البيزنطي يوحنا تزيمسكس ليخبره عن انتصاراته على المسلمين في أثناء حملته على الشام التي قام بها سنة ٩٧٥ م/٣٦٥ هـ . ويلاحظ أن متي الرهاوى أخطأ في سرده لثبت وتواريخ الملوك البقراطيين ، فبعد أن تحدث عن أشوط الثالث ، انتقل الى جاجيك الأول متخطيا ابنه ووريثه سمباد الثاني . انظر :
Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 3n. 4, Tchamtschean, Arménie, ch. 16, p. XVI.

هذا الأخير قمة ازدهارها فلم يكن هناك ما يهدد كيانها ، من قبل جيرانها المسلمين[٨] ، كما لم يؤثر على استقرارها انشقاق مملكة قارص وانسلاخها عن كيانها ، تلك المملكة التي أنشاها شقيق أشوط الأصغر موشيل ، والذي بادر أشوط الثالث بالاعتراف به ، ومنحه تاجا من قبله . سنة ٩٦٢ م/٣٥١ هـ[٩] . ولكن كان مقدرا على أرمينية ألا تهنأ بالهدوء طويلا ، فقد شهدت الفترة الاخيرة من عهد أشوط الثالث خطرا أخذ يتهددها ليس من الشرق هذه المرة ، ولكن من الغرب ، وتمثل في تبني بيزنطة لسياسة جديدة تجاه الأرمن ، وهي سياسة الضم[١٠] .

والجدير بالذكر ، ان أرمينية - حسبما أسلفنا - بحكم موقعها وتضاريسها الجغرافية ، ونظمها الاقطاعية[١١] ؛ فرض عليها أن تعيش حتى منتصف القرن العاشر الميلادي (منتصف القرن الرابع الهجري) بين كيانين سياسيين كبيرين ، ولم تكن لتستطيع أن تغير كثيرا من تلك الأوضاع السياسية من حولها . فمنذ القدم كانت أقاليم الأرمن تقع بين مملكة البارثيين في الشرق ، والامبراطورية الرومانية في الغرب ، وكانت الحرب سجالا بينهما ، وحين حل الفرس محل البارثيين ، استمرت . . أرمينية تعيش ظروفها السابقة نفسها ، كما عاشتها أيضا بين الفرس الساسانيين ، والبيزنطيين ورثة الامبراطورية الرومانية . وكما سبق أن بينا ، حين أصبح العرب المسلمون هم المسيطرون على الممتلكات التي كانت للفرس ، ظل الأرمن يواجهون المصير نفسه ويعيشون النمط نفسه الذي كانوا عليه من قبل .

وهكذا حكمت ظروف أرمينية الطبيعية والسكانية عليها : أن تجنى ثمار سياسة حكام جيرانها الذين كانوا دائما وأبدا في عداء تقليدي معا[١٢] .

(٨) عزز أشوط الثالث مكانته كملك قوى بتكوين جيش قوى بلغ تعداده ٩٠،٠٠٠ جندى ، انظر :
Brosset, Historiens, p. 437.
ويذكر متي الرهاوى أن جيش أشوط الثالث بلغ ١٠٠،٠٠٠ مهجزين أحسن تجهيز ، انظر :
Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 3.
Arist. de Last (Prud'homme), p. 95 n. 2; Issaverdens, Hist. Arm., p. 240.

(٩) Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 14-15; Schlumberger, Epopee, p. 502; Charanis, Arm. Greeks, pp. 48-51.

(١٠)

(١١) عن نظام أرمينية الاقطاعي ، انظر :
Grousset, l'Arménie, p. 287; Manandian, Trade, p. 70 Benveniste, Titres, p. 7.

(١٢) للمزيد عن أحوال الأرمن قبيل الفتح الاسلامي لأرمينية انظر ص ٣٣ وما بعدها .

وهذا الوضع لم يختره الأرمن لأنفسهم ، ولم تختره القوى المجاورة لهم ، وانما حتمته عليهم ظروف موقع بلادهم ، وتضاريسها الجغرافية ، وطبيعتهم كشعب يسكن في وديان وجبال متفرقة يجد صعوبة بالغة في التنقل فيما بينها[13] . وكأمة تعيش بين كيانين سياسيين كبيرين ، ولا تذوب فيهما . هكذا وجدت أرمينية نفسها تقوم بدور الدولة الحاجزة دون أن تسعى له ، فأرمينية كانت تشكل اقليما جغرافيا متميزا يسكنه شعب له صفاته ، ولغته المتميزة ومذهبه الديني المستقل[14] .

ولاشك أن الأرمن أدركوا منذ البداية حقيقة وضعهم هذا ، وحاولوا دائما الاحتفاظ بشخصيتهم وهويتهم المستقلة ، وحتم عليهم هذا ألا يذوبوا في أي من الكيانات السياسية المجاورة لهم . كما تطلب الأمر منهم عدم التنازل عن مذهبهم الديني ، والتمسك بكنيستهم الأرمينية التي تختلف بالطبع عن كنيسة القسطنطينية[15] . ومع مرور الوقت وتعاقب القرون ، أدركت الأطراف الثلاثة : الأرمن والمسلمون والبيزنطيون ، أن وضع أرمينية كدولة حاجزة[16] بين الخلافة والامبراطورية ، هو وضع ليس في مقدور أحد أن يغيره ، ولا بديل من التسليم به ، والتعايش معه . ولتفسير هذا يجب أن نتناول مواقف هذه الأطراف الثلاثة حيال بعضها . فبالنسبة للمسلمين ، منذ فتح أرمينية وعقد اتفاق عام ٦٥٣م/٣٣هـ[17] ، أدرك المسلمون أن تضاريس بلاد الأرمن ، وطبيعة سكانها ، وبعدها عن مركز الخلافة ، سواء أكانت دمشق ، أو بغداد ، فضلا عن نظامها

(١٣) عن طبيعة أرمينية وموقعها وتضاريسها وتأثير هذه العوامل في طبائع شعبها وسياسات حكامها انظر ص ٢٣ وما بعدها ، وانظر :
Ghazarian, Arabischen, p. 13.

(١٤) عن صفات الأرمن كشعب تميز بلغته وعاداته وتمسك بمذهبه الديني على الرغم من معاناته المريرة من جيرانه لتذويبه والقضاء على تراثه . انظر :
Hewsen, Introduction, pp. 81-82; Macler, Belligerante, pp. 730-731, Laurent, Études, p. 7; Grousset, Arménie, pp. 138-139; Ghazarian, Arabischen, p. 13.

(١٥) Ghevond, Guerres, p. 155; Marquart, Osteuropaische, p. 453; Vasiliev, Empire, pp. 148-149; Toumanoff, Arm. Geor, p. 604.

(١٦) عن دور أرمينية كدولة حاجزة ، انظر :
Grousset, l'Armenie, pp. 155-158; Tournebize, Religieuse, p. 134; Adontz, Taronites, p. 542; Pasdermadjian, Histoire, p. 129.

(١٧) عن اتفاق عام ٦٥٣م/٣٣هـ ، انظر :
Sebeos, Hist. Heraclius, p. 132; Toumanoff, Arm. Geor, p. 605; Grousset, L'Arménie, p. 315; Ghazarian, Arabischen, p. 56.

الاقطاعي العتيد ، يجعل من الصعب على العرب أن يسيطروا عليها سيطرة كاملة ، أو أن يضموها بالكامل اليهم ، كما فعلوا مع دمشق ومصر وغيرهما من البلاد التي فتحوها . كما أدرك الفرس من قبل هذه الحقيقة ، لهذا أعطى المسلمون للأرمن استقلالا ذاتيا ، مما جعلهم يرضون نوعا ما عن بسط نفوذهم على بلادهم ، والخضوع والتسليم لهم . ولم يعكر صفو العلاقات بينهما سوى التناقض السياسي والديني بين الطرفين وان لم يكن هذا التناقض بالأمر الخطر ، حيث منحهم العرب الاستقلال الذاتي ، كما رضى الأرمن به[18] ، ومهد لهذا الوفاق المتبادل بين الطرفين سماحة الاسلام الذي يدين به المسلمون ، فهم أبدا لم يحاولوا فرض دينهم بالقوة على الأرمن ، كما فعل من قبل الفرس ، وكما حاول البيزنطيون ، وظلوا يحاولون هذا حتى سقوط آخر كيان سياسي للأرمن في يدهم سنة ١٠٤١م/٤٣٣هـ ، وهو مملكة آني البقراطية . ولهذا كان الأرمن أسعد حالا في ظل السيادة الاسلامية منهم في ظل السيادة الفارسية أو البيزنطية[19] .

أما بالنسبة للبيزنطيين ، فنجد أنه في القرن السابع الميلادي (القرن الأول الهجري) وعندما بدأت الفتوحات الاسلامية الكبرى ، عاشت الامبراطورية البيزنطية قرنين من الزمان ، شهدت خلالهما هجوما وضغطا اسلاميا مستمرا عليها ، ولكنها قاومت الفناء ، وقابلت استراتيجية المسلمين الهجومية باستراتيجية دفاعية ، وامتصت عنف هجمات المسلمين في القرنين السابع والثامن الميلاديين (القرنين الأول والثاني الهجريين)[20] .

وفي ظل مثل هذه الظروف ، لم تتطلع بيزنطة إلى أكثر من ابعاد آسيا الصغرى عن أي سيطرة اسلامية ، بالاضافة إلى دفع الخطر الاسلامي عن عاصمتها

(١٨) Laurent, Arménie, p. 245; Morgan, Peuple, p. 117, Grousset, L'Arménie, p. 315.

(١٩) كان سبب شعور الأرمن بالرضا نحو المسلمين ، وان كان هذا الرضا تشوبه رغبة دفينة بدفع كل احتلال عن بلادهم سواء كان من قبل العرب أو غيرهم - سببه أن المسلمين منحوهم الحكم الذاتي كما تركوا لهم حرية العقيدة الدينية ، مما كان له الأثر الكبير في نفوسهم ، وتقبل سيطرة المسلمين ، والمرونة معهم ، تلك المرونة التي ندرت في تعاملهم مع الفرس والبيزنطيين ، انظر :
Catholicos, Hist. Arménie, p. 75; Grousset, L'Arménie, pp. 365-366; Morgan, Peuple, p. 118; Toynbee, Constantine, p. 400.

(٢٠) وسام عبدالعزيز : دراسات ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

القسطنطينية[٣١] ، واقامة نظام دفاعي جديد لآسيا الصغرى ، وهو نظام الثيمات[٣٢] ، يحل محل النظم الدفاعية السابقة التي انهارت أمام الفتوحات العربية الكبرى ، والتي أدت بهم إلى السيطرة على أرمينية .

اذن فظروف بيزنطة كانت لا تسمح لها أن تقدم الكثير لارمينية وهي تواجه قدرها عندما اجتاحها المسلمون ، على الرغم من أهميتها للامبراطورية كامتداد جغرافي لآسيا الصغرى ، وكمورد هام للعنصر البشري الذي تحتاج إليه لتغذي به جيشها[٣٣] . وهذا لا يعني ان الادارة البيزنطية ، وهي تأخذ موقف الدفاع طوال فترة قاربت على ثلاثة قرون ، قد تركت أرمينية تماما تواجه مصيرها مع العرب ، اذ لم تدخر تلك الادارة وسعا عبر طريق الدبلوماسية النشطة في الاحتفاظ بقنوات اتصال مستمرة بأمراء الأرمن القريبين من حدودها[٣٤] . كما كانت لها أيضا اتصالات بالجاثليق الأرمني ، على الرغم مما كان بين الكنيستين الأرمينية والبيزنطية من

(٣١) لقد حاصر العرب المسلمون في عهد الدولة الأموية عاصمة الامبراطورية البيزنطية أكثر من مرة ، انظر المزيد :
الطبري ، الأمم ، جـ٥ ، ص٣٢٢ ، جـ٦ ، ص ٥٣٠ - ٥٣١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص٢٢٧ ، جـ٤ ، ص١٤٦ ؛ وايضا محمد النجار : الدولة الاموية ، ص ١٢٠ ؛ ابراهيم العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص٥٦ ، وما بعدها؛ وسام عبدالعزيز: دراسات ص ٨٨ ، ١٢٦ - ١٧٥ .

(٣٢) لقد قام الامبراطور ليو السادس باصلاح اداري عسكري في تنظيم الثيمات ، وذلك لزيادة فاعلية الدور الدفاعي للثيمات البيزنطية امام الغارات المسلمين التي تكاد تكون شبه مستمرة ، ويهدف دفع حدود الامبراطورية مزيدا الى الشرق . انظر للمزيد عن الاصلاحات التي قام بها هذا الامبراطور على نظام الثيمات البيزنطية .

Jenkins, Byzantium, p. 207; Oikonomides, Organ. Front. Orient. pp. 344-363; Ostrogorsky, Hist. Byz. St. p. 247 nb. 3.

وانظر : وسام عبدالعزيز : دراسات ، ص ٣٦٠ - ٣٦١ .

(٣٣) يصف المؤرخ الحديث ليلي Lilie اهمية العنصر البشري الارمني كمورد هام للجيش البيزنطي بقوله ، كان سكان أرمينية أكثر اهمية من كنوزها ، لانهم يمدون جيوشها من وقت لآخر بالعناصر العسكرية، وذلك لأن بيزنطة اعتمدت على العناصر الاجنبية في امداد جيوشها بدماء جديدة وعناصر قوية من الدول التي تسيطر عليها ، والتي تدور في فلكها . وكان العامل البشري عندها وخاصة الأرمن هام جدا في تعاملها مع الشعوب التي تحت نفوذها . للمزيد انظر :

Lilie, Teaktion, p. 23; Charanis, Arm. Greeks, pp. 16-20; Nersessian, Études, p. 293; Thoressian, Hist. Arm. Peup. 89.

Brehier, vie, p. 132.

خلاف واختلاف[٣٥] .

كما كانت دائما تنتهز الفرص خلال الفترات التي تسوء فيها علاقات الأرمن بالمسلمين ، كتلك التي تقوم فيها انتفاضات ارمينية ضد الوجود الاسلامي في أرمينية ، لتثير المشكلات أمام الولاة المسلمين ، فيها بتزكية تلك الانتفاضات والعمل على زيادة حدتها[٣٦] .

ولم يستمر الحال طويلا على هذا المنوال ، اذ أخذ الضعف والاضمحلال يدبان في جسد الخلافة الاسلامية ، مما أتاح للامبراطورية البيزنطية فرصة ذهبية فتبدلت سياسة الدفاع وتبنت سياسة الهجوم ، وهي السياسة التي وضعت الامبراطورية على اعتاب عصر جديد من الغزو والتوسع[٣٧] . وخلال هذا التوسع الذي بدأ في اتجاه الشرق ، اهتمت الادارة البيزنطية بتدعيم النفوذ البيزنطي في أرمينية . فساعدت الأرمن على مقاومة ولاة أذربيجان[٣٨] ، ثم أخذت في توسعها شرقا تتصيد الثغور الاسلامية الواحد تلو الآخر[٣٩] . وكانت بيزنطة تستطيع أن

(٣٥) عن الاختلاف المذهبي بين كنيستي القسطنطينية وأرمينية . انظر :
Nersessian, Arm. Byz. pp. 76, 78; Lang, Cradle, pp. 169-171.
وانظر : اسحق عبيد : الامبراطورية ، ص ٨٧ - ٩٠ ؛ عبدالغني عبد العاطي : الكسيوس كومنين ، ص ٢٣ ، هامش ٣ .
Diehl, Hist. Emp. Byz., p. 99; Bréhier, Vie, p. 83; Toumanoff, Arm. Geor, p. 607.

(٣٦) Diehl, Hist. Emp. Byz., p. 99; Bréhier, Vie, p. 83; Toumanoff, Arm. Geor, p. 607.

(٣٧) يرى الدكتور ابراهيم العدوى أن الصحوة البيزنطية بدأت في عهد باسيل الأول ، الذي وجه نشاطه العسكري صوب الحدود الاسلامية البيزنطية في آسيا الصغرى ليضع حدا لاغارات المسلمين المتكررة .
ابراهيم العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ١٠٢ .
ويحدد الدكتور وسام عبدالعزيز ، ثلاثة عوامل دفعت الامبراطورية البيزنطية الى عصر التوسع والفتح وهي : الدماء الجديدة التي صبت في عروقها من عنصري الأرمن والسلاف ، وضعف الخلافة العباسية التي بدأت جذوره من عهد المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ - ٨٤١م) . أما العامل الثالث فيرجعه إلى ظهور الكيانات السياسية الصغيرة المستقلة ، وشبه مستقلة عن السلطة المركزية في الخلافة العباسية دراسات ، ص ٢٤٩ - ٢٥٨ .

(٣٨) Catholicos, Hist. Arménie, pp. 292-293; Asolik Univ. (Macler), pp. 23-24; Grousset, l'Arménie, pp. 446-447; Adontz; Ašot, pp. 24-25.

(٣٩) انظر عن سقوط الثغور الاسلامية بيد الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٢٨ وما بعدها .
وانظر : Theoph. Cont. 415-416; Symeon Magistre, Chronographia, pp. 741-742.
راجع ايضا : مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ ؛ الهمذاني : تكملة ، ص ٢٤٩ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ٦ ، ص ٢٤٣ ؛ فتحي عثمان : الحدود ، ص ٢٢٣ - ٢٢٨ ؛ احمد عبدالكريم : المسلمون والبيزنطيون ص ٧٧ - ٧٨ .

تستفيد فائدة عظيمة من جهود الأرمن معها في أثناء تبنيها سياستها الهجومية هذه ، لو أنها تخلت عن محاولاتها المستميتة في بسط هيمنة كنيستها على الكنيسة الأرمنية ، وكان هذا يعني لدي الأرمن خضوع كنيستهم للكنيسة البيزنطية ، وتبعيتها لها ، وهذا ما يأباه الصغير قبل الكبير من الأرمن ، وذلك لأن مذهبهم الديني يعطيهم هوية في عصر سادته الافكار العالمية ، وكان فيه للدين دور هام في الشرق والغرب على حد سواء(٣٠) .

هذا فيما يتعلق بالبيزنطيين ، أما بالنسبة للأرمن فكان عليهم تقبل وضعهم الذي فرضته عليهم طبيعة موقعهم ، سواء شاءوا أم أبوا . فبلادهم تحيط بها دولتان كبيرتان ، تطمعان فيها ، وفي مواردها بشكل أو بآخر ، ومما زاد في طمعهم فيها مرور الطرق التجارية الرئيسية التي تربط الشرق بالغرب عبر أراضيها(٣١) . فماذا كان في مقدورهم أن يفعلوه وهم يرون أراضيهم مسرحا لصراع طويل بين جارتيهم القويتين(٣٢) . وبطبيعة الحال لم يكن في مقدور الأرمن سوى التأرجح بين هاتين الجارتين ، والعمل على ارضائهما معا كلما أمكن الأمر ، أو ارضاء احداهما على الاقل . وكان بوسع الأرمن ان يستغنوا عن هذا وذاك ، لو أنهم اتحدوا ، أو انضموا تحت لواء زعيم واحد ، مكونين باتحادهم كيانا سياسيا واحدا قويا ، ولكن هذا كان ضربا من المستحيل ، لعدة أسباب منها : طبيعة تضاريس بلادهم ، تلك الطبيعة التي وقفت دائما حجر عثرة أمام قيام أية حكومة مركزية(٣٣) ، ولانتشار النظام

---

(٣٠) Nalbandian, Arm. Mov., p. 31; Ormanian, Church. Arm. 45; Vryones, Social. Dec. pp. 170-171; Grousset, Levant, p. 162.

(٣١) عن أهمية الطرق التجارية التي تمر عبر أرمينية ،
انظر : ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٠٠ - ٣٠٢ ؛ الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ .
Laurent, Arménie, p. 81; Manandian, Trade, pp. 145-146; Canard, Arm. Califat, p. 401.

(٣٢) دار على أرض أرمينية العديد من الصراعات بين البارتيين والامبراطورية الرومانية ، ثم بين الفرس الساسانيين والبيزنطيين ، وأخيرا بين العرب المسلمين والامبراطورية البيزنطية وعن الحروب التي دارت على ارض ارمينية بين كل هذه الأطراف ، انظر :
Sebeos, Hist. Heraclius, p. 4-5, 13-15; Procopius, Persian war 99-101, 207, 246, 517; Moses Khorenatesi, History of Armenie (Thomson), pp. 263-394; Heusen, Introduction, pp. 85, 87; Nersessian, Études, pp. 271; Lilie, Reaktion, p. 53.

(٣٣) Nersessian, Études, p. 291; Laurent, Lilie, Reaktion, p. 24; Morgan, Peuple, p. 115; Nersessian, Études, p. 291; Laurent, Études, p. 7; Nersessian, Arm. Byz., p. 4.

الاقطاعي في الأقاليم الأرمينية المختلفة(٣٤) . وكما حالت تلك العوامل السابقة دون قيام حكومة سياسية مركزية في أرمينية ، فقد سهلت من جانب آخر لجارتيها أمر اقتسامها وسيطرة الأقوى منهما على الجزء الأكبر منها ، وهكذا كتب على أرمينية أن تكون كيانا سياسيا حاجزا يعطى عمقا اقليميا لكلتا الجارتين في حالة هجوم احداهما على الأخرى(٣٥) .

ويمكن القول بان الاقاليم الأرمينية بهذه الصورة كانت تشكل درعا طبيعيا واقيا للحضارة الرومانية ، ومن بعدها البيزنطية ، على الرغم من ان الارمن والبيزنطيين لم تكن تجمعهم أرضية واحدة ، ولم تجمعهم الا المصالح المشتركة في بعض الأحيان ، وخاصة عندما كانت تسوء علاقاتهم بالمسلمين عند تبنيهم فرض نفوذهم بالقوة على النبلاء الأرمن(٣٦) .

ونتيجة لكل تلك الظروف ، لم تكن لارمينية استراتيجية سياسية محددة ، ولكنها سعت جاهدة لدرء المخاطر عنها ، تلك المخاطر التي كانت تهددها من قبل جيرانها . وعلى هذا يمكن وصف سياستها الخارجية بأنها رد فعل مستمر للاحداث التي تقع داخل اراضي جارتيها .

كان هذا هو الوضع السياسي لبلاد الأرمن طوال ثلاثة قرون امتدت ما بين الفتوحات العربية في القرن السابع للميلاد (القرن الأول للهجرة) والهجوم البيزنطي المضاد في القرن العاشر الميلادي (القرن الرابع الهجري) . فتوازن القوى الذي ساد بين الخلافة والامبراطورية ساهم في تهيئة دور ارمينية كدولة حاجزة بينهما(٣٧) . الا ان هذا الدور الحاجز الذي اعتاده الأرمن وارتضوه تعرض للانهيار ،

---

(٣٤) انظر عن النظام الاقطاعي الأرميني : انظر ص ٣٢ وما بعدها . وانظر ايضا :
Grousset, l'Arménie, p. 16, 287, 288; Laurent, Arménie, p. 55; Nersessian, Arm. Byz. p. 16, 292; Canard, Arm. Califate, pp. 388-389.

(٣٥) ويرى المؤرخ الحديث ليلي Lilie ، أن الامبراطورية البيزنطية حرصت على ابعاد أرمينية عن أطماع المسلمين والاحتفاظ بكيانها السياسي قائما كما هو ، خاصة بعد أن فقدت مصر والشام . انظر :
Lilie, Reaktion, pp. 25.

(٣٦) Nersessian, Arm. Byz. p. 15; Nersessian, Études, p. 291-292; Morgan Peuple, pp. 144-145; Thorossian, Hist. Arm. Peup., pp. 86-89.

(٣٧) مكن موقع ارمينية اهلها من أن تكون دولة حاجزة بمعنى الكلمة ، وذلك لأن اى جيش مهما بلغت قوته كان لا يستطيع ان يكسب معركة مع عدو له على ارض ارمينية ، دون ان يكون الأرمن حلفاءه ، حيث كان بامكانهم ايضا تسهيل عبوره ومساعدته لمناورة عدوه . انظر عن دور ارمينية كدولة حاجزة :

وتمثل في ذلك الخلل الذي اصاب توازن القوى بين الفريقين المتصارعين ، اذ مال ميزان القوة في الربع الثاني من القرن العاشر الميلادي (الربع الثاني من القرن الرابع الهجري) لصالح الامبراطورية البيزنطية التي استغلت ضعف الخلافة الاسلامية ، وتبنت سياسة الهجوم[٣٨] ، وحين نجح قادتها في تحقيق الانتصارات المتتالية وتمكنوا من الاستيلاء على ثغور دار الاسلام بالهجوم على الجزيرة وشمال الشام ، في النصف الثاني من القرن العاشر (النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) ، وبالتحديد خلال عهود الأباطرة نقفور فوقاس ، ويوحنا تزيمسكس باسيل الثاني[٣٩] ، انهارت اهمية ارمينية كدولة حاجزة ، لانها لم تعد في نظر ساسة بيزنطة تلك الدولة الحاجزة التي تمتص عنف الاغارات الاسلامية ، وتدرأ عنها اخطارها ذلك لان الادارة البيزنطية تصورت انه لا نهاية لانتصاراتها في الشرق .

وترتب على فقد ارمينية دورها كدولة حاجزة في نظر الساسة البيزنطيين . ان تبني اولئك الساسة نظرية اخرى تتمشى مع نظرية المشيئة الالهية التي تقول: إنّ الله قد اعطى في وقت شاءه للامبراطورية حدودا لا نهاية لها في المكان ، وعمراً لا نهاية له في الزمان[٤٠] . فأخذ الأباطرة البيزنطيون يتطلعون الى اقاليم الأرمن بعين الطمع ، ساعين الى ضم بعضها الى كيان امبراطوريتهم .

وهكذا كان دور ارمينية الحاجز يتمشى تماما مع استراتيجية بيزنطة الدفاعية طوال الفترة الممتدة منذ بداية الفتوحات الاسلامية ، وحتى الربع الثاني من القرن

▶ وانظر ايضا : فتحي عثمان : الحدود ، جـ ٢٦٤ - ٢٦٥ ؛ استار جيان : الأمة الأرمينية ، ص ٢٠٠ .

Thorossian, Hist. Arm. Peup., p. 88; Morgan Peuple, p. 154; Laurent, Études, p. 6; Tournebize, Religieuse, p. 134; Nersessian, Etudes, 307.

(٣٨) Toynbee, Constantine, p. 121; Vasiliev, Byz. Arabes, 11, pt. II, p. 151.

وانظر : ابراهيم العدوي : الامبراطورية البيزنطية والدول الاسلامية ص ١٠٢ - ١٠٣ ؛ وسام عبد العزيز : دراسات ، ص ٣٥٠ - ٢٦٣ .

وانظر : ابراهيم العدوي : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ١٠٤ - ١٠٧ ؛ وسام عبد العزيز : دراسات ، ص ٢٩٥ - ٣٠٢ .

Adontz, Taronites, p. 541; Grousset, Arménie, pp. 488-489; Honigmann, Ostgrenze, p. 9; Canard, Expeditions p. 99 ff; Canard, Hamdanides, p. 831-832; Dolger, Chronologie, p. 275; 291; Canard, Hamdanides, p. 831-832; Vasiliev, Empire II, pp. 308-311.

(٤٠) وسام عبدالعزيز : دراسات ، ص ٢٤٩ .

العاشر الميلادي (الربع الثاني من القرن الرابع الهجري) . ولكنها عندما تخلصت من مشكلاتها الداخلية[٤١] ، واستشعرت في نفسها القوة - بفضل الاصلاحات العسكرية التي اجراها القادة العسكريون البيزنطيون من ابناء الأسر الأرستقراطية العسكرية على الثيمات التي اصبحت مراكز انطلاق امامية للجيش البيزنطي[٤٢] ، بعد ان كانت مهمتها فيما مضى دفاعية بحتة - انتهزت فرصة ضعف الخلافة العباسية واستطاعت ان تحقق على حسابها الانتصارات المتتالية[٤٣] . بيد ان التوسع على حساب المسلمين لم يعد يكفي الطموح البيزنطي . فأخذ البيزنطيون يتطلعون الى بسط نفوذهم على ممتلكات جيرانهم المسيحيين ايضا ، وخاصة بعد ان شمل التوسع البيزنطي بعض الاراضي الارمينية الخاضعة للمسلمين ، والتي كانت تجاور الثغور الاسلامية التي بسط البيزنطيون نفوذهم عليها خلال عهدي كل من نقفور فوقاس ويوحنا تزيمكس ، اللذان دفعا حدود الامبراطورية مزيدا الى الشرق ، فأصبحت تجاور امارات ارمينية وايبيرية ، وكان من الطبيعي ان يتطلع البيزنطيون لتلك الأقاليم[٤٤] .

وكان أول تلك الأقاليم الأرمينية هو اقليم طارون الذي لم ترض بيزنطة عن استقلاله الذاتي ، بل طمعت في ضمه اليها بالكامل ليكون نقطة انطلاق جديدة للمزيد من الغزو والتوسع على حساب الأرمن . ولقد عبَّر قسطنطين بورفيروجينيتوس في مؤلفة الادارة البيزنطية عن مدى اهمية اقليم طارون

(٤١) وكانت من اهم مشكلات الامبراطورية الداخلية : مسألة زواج الامبراطور ليو السادس للمرة الرابعة ، حيث اثار هذا الزواج السخط لدى رعاياه ، كما اتخذت الكنيسة منه موقفا متشددا ، انظر :

Ostrogorsky, Byz. Emp. St. pp. 259-260 ; Vasiliev, Empire, II, pp. 333-334.

(٤٢) عن الاصلاحات التي اجراها الامبراطور ليو السادس على الثيمات البيزنطية ، انظر :

Ahrweiler, Recherches, pp. 79-88; Ostrogorsky, Byz. Emp. St., p. 247; Foord, Hist. Byz. Emp., p. 247.

وانظر : وسام عبدالعزيز : دراسات ، ص ٢٦٠ - ٢٦٣ ؛ احمد عبدالكريم : المسلمون والبيزنطيون ، ص ٦٩ .

(٤٣) Honigmann, Ostgrenze, p. 9; Vasiliev, Empire, II, pp. 308-311, Adontz, Taronites, p. 541-542.

وانظر : عمر كمال : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١١١ - ١١٥ ؛ ابراهيم العدوي : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٤٤) Adontz, Notes, p. 372; Adontz, Taronites, p. 731; Grousset, l'Arménie, p. 493; Laurent Arménie, pp. 44-45.

الاستراتيجية بالنسبة للامبراطورية البيزنطية ، ولماذا كان يجب على البيزنطيين الا يدعوه يضيع من ايديهم[٤٥] . والمعروف ان امراء اقليم طارون الأرمن حرصوا دائما، ومنذ البداية على اتباع سياسة حيادية بين المسلمين والبيزنطيين ، بحكم جوارهم للطرفين . فمع انهم كانوا اصدقاء لبيزنطة ، الا انه من المعروف انهم كانوا يقدمون المساعدة العسكرية للمسلمين خلال اغاراتهم على اقاليم الامبراطورية ، كما كانوا يفشون اسرارها العسكرية للمسلمين ايضا في اثناء تلك الاغارات[٤٦] .

ولقد حاولت الادارة البيزنطية ابعاد أمراء طارون عن المسلمين ، ونجحت في هذا مع جريجور الطاروني Crijor of Taron الذي قطع علاقته بالمسلمين ، وفي مقابل ذلك حظي برضاء الامبراطور ليو السادس ، الذي منحه لقب ماجستر ، وجعله حاكما عسكريا على طارون من قبله برتبة ستراتيجوس Straejeos[٤٧]. بهذا قطعت طارون علاقتها تماما بالخلافة ، وخضعت كلية لبيزنطة . وكان هذا الاتجاه من قبل الادارة البيزنطية يستهدف تدعيم النفوذ البيزنطي في أرمينية . وقد نجحت بيزنطة في هذا إلى حد بعيد ولكنها أضطرت لتحقيق هدفها هذا إلى اغداق الرتب والألقاب على أمراء طارون ، كما زوجتهم من أميرات بيزنطيات ، مثلما حدث عند تزويج أبي غانم شقيق جريجور الطاروني ، وتزويج بقراط وتسمية المصادر البيزنطية بنكراتيوس pankrattos وهو ابن شقيق أبي غانم أيضا[٤٨].

وربما كان تدعيم النفوذ البيزنطي في أقليم طارون قد أصبح مصدر تهديد

---

(٤٥) اقليم طارون من الأقاليم الخصبة ويقع في وادي اراتساني Aratsani غرب بحيرة فان ، وكان في الأصل من أملاك اسرة ماميكونيان الشهيرة ، ولقرب هذا الاقليم من الحدود البيزنطية اهتمت به الامبراطورية اهتماما كبيرا ، خاصة وانه كان المفتاح الى قلب ارمينية كما كان الطريق السهل للانسياح نحو الاراضي الاسلامية المجاورة لأرمينية . انظر للمزيد عن هذا الاقليم :

Adontz, Taronites, p. 721.

(٤٦) Bartikian, Envahissement, p. 331; Grousset, l'Arménie, pp. 492-493; Adontz, Taronites, pp. 731-736.

(٤٧) الاستراتيجوس Stratejos هو قائد لأحد الثيمات البيزنطية ، واذا كانت للثيم البيزنطي أهمية كبيرة كان يسمى قائده دوق Doux بدلا من استراتيجوس . أنظر للمزيد عن هذا اللقب :

Guilland, Institutions. Byz., I, p. 392; Oikonomides. Organ. Front. Orient, pp. 73-90.

وعن ضم طارون إلى بيزنطة أنظر :

Theoph.; Cont. p.387, Monachur, Vita, p. 879; Symeon Magister, Chronographia, p. 722; Bréhier, Vie, p. 132; Grousset, l'Arménie, 490-491.

(٤٨) Asolik, Univ. (Dulaurier), pp. 43-44; Adontz, Taronites, pp. 718-720.

عن تسمية بقراط أنظر : قسطنطين بورفيروجيتوس : ادارة الامبراطورية .

للثغور الاسلامية مع بداية القرن العاشر الميلادي) بدايات القرن الرابع الهجري) . وقد يفسر هذا السبب الذي جعل سيف الدولة الحمداني - والذي كان يمثل في هذه الفترة المقاومة الاسلامية ، وهى الفترة التي شهدت آخر مقاومة اسلامية للهجوم البيزنطي المضاد - إلى تركيز بعض حملاته على اقليم طارون وعاصمته موش Mous ٣٢٩هـ[٤٩] .

وعلى الرغم من الخلافات التي اندلعت بين أمراء أسرة الطارونيين الحاكمة في طارون ، إلا أن الادارة البيزنطية التي قامت بدور القاضي بينهم في بعض الأحيان ، استطاعت بدبلوماسية نشطة أن تحتفظ بطارون في ظل نفوذها ، وأخذ النفوذ البيزنطي يزداد يوما بعد آخر في طارون ، لتنازل أمراء طارون عن ممتلكاتهم للامبراطورية مقابل منحهم أقاليم بيزنطية بدلا منها[٥٠] .

على أية حال ، استطاع أشوط الطاروني أن يحكم اقليم طارون كله فترة طويلة امتدت من سنة ٩٤٠م الى سنة ٩٦٦م (٣٢٩ - ٣٥٦هـ) ، حظي النفوذ البيزنطي خلالها بمكانة سامية . وحين توفى أشوط الطاروني سنة ٩٦٦م/ ٣٥٦هـ أفتقر أبناؤه إلى مقدرة أبيهم ، ودهائه في التعامل مع الامبراطورية ، فلم يثبتوا كفاءة في حكم طارون ، كما أخفقوا في حمايتها[٥١] .

---

(٤٩) يروى ابن الأثير ، أن أبا الورد هو أحد الأمراء العرب الذين بسطوا نفوذهم على بعض المدن الأرمينية حيث قد استولى على كثير منها إلا أن نجا غلام سيف الدولة استطاع أن يهزمه ويستولى على ماتحت يده من مدن مثل خلاط منزكرت وموشى (وهي عاصمة طارون) وغيرها «وحصل له من أموال أبي الورد الشيء الكثير» الكامل ، جـ٧ ، ص٩ ، وبعد أن خرج نجا على سيف الدولة تمكن سيف الدولة من قتله ثم بسط نفوذه على كل ماأستولى عليه نجا من أملاك أبي الورد في أرمينية ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص٩ ؛ وانظر : ابن الأزرق : تاريخ ميافارقين في كانار Canard سيف الدولة ص٧٦ ، كذلك ذكر ابن ظافر في كتابه «أخبار الدول» ، دخول سيف الدولة أرمينية واستيلاه على العديد من مدنها ، ورقة ١٨ . وأنظر للمزيد عن دخول سيف الدولة طارون واستيلائه على عاصمتها موس : Adontz, Taronites, pp. 540-541; Freytag, Dynastian der Hamdaniden , p. 467; Marquart, Sudarmanien, p. 463.

(٥٠) تكلم قسطنطين بورفير وجينيتوس عن ازدياد النفوذ البيزنطي في طارون وعن تنازل أمرائها للامبراطورية من ممتلكاتهم مقابل منحهم أراضي بيزنطية وممتلكاتها بدلا منها ، أنظر للمزيد : قسطنطين بورفيروجيتوس : ادارة الامبراطورية ، ص ١٥١ - ١٦٠ ، وأنظر :

Cedrenus, Historiarum, II, p. 375; Adontz, Taronites, pp. 540-541.

(٥١) يثير أدونتز Adontz قضية وهى أن المصادر العربية ذكرت أن ابن الطاروني قد ساعد علي بن جعفر وكان هذا قد تمرد على نفوذ ناصر الدولة ، فأرسل اليه سيف الدولة الذي تمكن من اخضاعه بعد أن هزمه هو وحليفه ابن طارونيك كما تسميه المصادر العربية ، ابن ظافر : أخبار الدول ورقة ٢ و ٣ . وأدونتز يتساءل عما اذا كان ابن =

وتختلف المصادر في وصف الفصل الأخير في تاريخ هذا الأقليم . فبينما يذكر المؤرخ الأرميني أسوليك انه بعد وفاة أشوط الطاروني ، استولى البيزنطيون على طارون ، نجد أن المؤرخ البيزنطي سيدرينوس يذكر أن أبني أشوط الطاروني المدعوين بقراط وجريجوار ، قد تنازلا في ٩٦٨م/ ٣٤٨هـ عن نصيبهما في طارون لبيزنطة ، وحصلا في مقابل ذلك على لقب بطريق ، فضلا عن ضيعة خصبة في آسيا الصغرى[٥٢] .

وأيا كان الأمر ، سواء استولى البيزنطيون على طارون عنوة أو بعد استمالة أمرائه الضعاف ، فالحقيقة الهامة هى : أنه حوالي عام ٩٦٨م/ ٣٥٨ هـ ، أي في عهد الامبراطور نقفور فوقاس ، تم ضم طارون إلى الكيان الامبراطوري ، وكانت نتيجة هذا الضم أن أصبحت بيزنطة تملك قدماً ثابتة في قلب أرمينية[٥٣] . وكان من الطبيعي ، وبحكم الجوار بين الممتلكات البيزنطية الجديدة ، والامارات الأرمينية والأيبيرية الأخرى أن امتد النفوذ البيزنطي إلى هذه الامارات شيئا فشيئا .

والجدير بالذكر أن عهد الامبراطور يوحنا تزيمسكس يمثل ذروة الاتجاه التوسعي شرقا . فقد كان هذا الامبراطور مثل سلفه نقفور فوقاس رجلا عسكريا ينتمي للطبقة الأرستقراطية العسكرية[٥٤]، وكان مثله مهتما بالتوسع جهة الشرق

= طارونيك هذا هو أشوط بن بقراط أو شخص آخر غيره ، adontz Taronites P 541 هذا ، ويرى ماركوارت أن ابن طارونيك هو بقراط بن جريجوار .Südarmenien,p. 463 و Marquart على أية حال ، لقد حكم ابن طارونيك من (٩٣٥ - ٩٤٠م/ ٣٢٤ - ٣٢٩هـ) وخلفه أشوط ابنه الذي حكم من (٩٤٠ - ٩٦٦م/ ٣٢٩ - ٣٥٦هـ) وخلفه أبناؤه جريجوار Grejoire وبقراط الذي تسميه المصادر البيزنطية بنكراتيوس Pankratios وفي عهد هذين الشقيقين تم ضم طارون إلى بيزنطة ، وقد ضم هذا الاقليم مع اقليم دردجان وشكلا وحدة ادارية حكمها قائد عسكري «ستراتيجوس» يدعى ليون Leon انظر للمزيد :

Adontz, Notes, pp. 373-374; Adontz, Taronites, pp. 540-541; Marquart, Südarmenien, p. 462; Canard Hamdanides, pp. 479-489.

(٥٢) أنظر عن تنازل الشقيقين بقراط وجريجوار عن أملاكهما للامبراطورية البيزنطية :

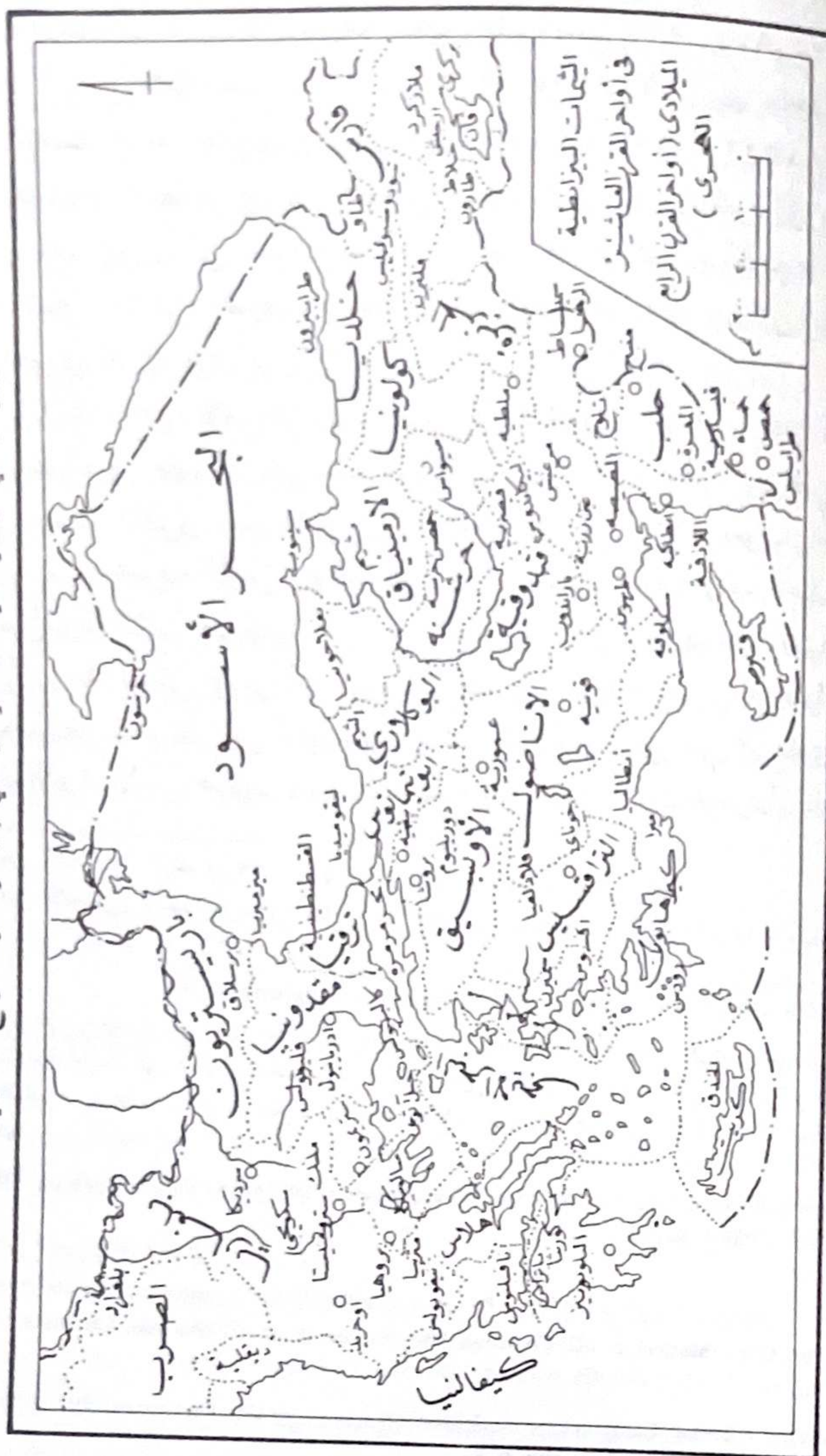
Cedrenus, Historiarum, II, p. 375, Asolik, Univ. (Macler), p. 182; Adontz, Taronites, pp. 540-541; Grousset, l'Arménie, pp. 493-994.

(٥٣) وذلك لأهمية موقع هذا الأقليم ويقع في وادي أراتساني Aratsani غرب بحيرة فان . وأهميته تكمن في انه يقع على أطراف أرمينية ويربطها بشمال الشام ، وباستيلاء الامبراطورية البيزنطية عليه تكون بهذا قد أمنت طريقا لها لضم بقية أرمينية . هذا إلى جانب انسياحها على أرض الإسلام . أنظر :

Ghevond, Guerres, p. 10, n. 1, Adontz, Taronites, p. 721.

(٥٤) عن هذه الطبقة أنظر :

Jenkins, Byzantium, p. 301, Vryonis, Troubles, p. 177; Vasiliev, Empire, II, p. 570; Finlay, Greece, II, p. 366.



خريطة رقم - ١٠ -
الثيمات البيزنطية في أواخر القرن العاشر الميلادي (أواخر القرن الرابع الهجري)

نقلا عن : Ostrogorsky, History of The Byzantine State Eng. tr. J. M. Houssey (Oxford 1968).

على حساب المسلمين . والمعروف أن هذا الامبراطور قاد بنفسه ثلاث حملات عسكرية في هذا الاتجاه : اثنتين منها ضد اقليم الجزيرة سنتي ٩٧٢ - ٩٧٤م/ ٣٦٢ - ٣٦٤هـ(٥٥) ، والثالثة ضد الشام في عام ٩٧٥م/ ٣٦٥هـ(٥٦)، بينما هاجم قائد جيشه الدمستق مليح منطقة دياربكر في اقليم الجزيرة سنة ٩٧٣م/ ٣٦٢هـ(٥٧) هذا ، ويلاحظ أن حملات تزيمسكس قد وصلت في اتجاهها شرقا إلى مسافة بعيدة ، فقد تجاوزت كل منطقة أرمينية . ولا شك أن حملاته العسكرية هذه قد أثارت شكوك الأرمن ومخاوفهم ، خاصة وأن العهد بضم طارون إلى الكيان الامبراطوري كان لا يزال قريبا(٥٨) .

ولما كانت حملتا الامبراطور ضد اقليم الجزيرة محدودتى الهدف ، لهذا لم يجد الأرمن فيهما ما يثير فيهم أكثر من الشك ، ولكن حينما بدأ الامبراطور البيزنطي يعد للقيام بحملته الكبرى ضد الشام ، وما أعقب ذلك من تحركه صوب الحدود الأرمينية ثارت مخاوف الأرمن ، وتجاوزت مرحلة الشك ، خاصة وأنهم تحت ظل ملكهم أشوط الثالث قد بلغوا درجة من القوة والازدهار لم تشهدها أرمينية من قبل(٥٩) . لهذا لم يكن الأرمن تحت هذه الظروف على استعداد لقبول أية محاولة من جانب بيزنطة لضم شبر من أراضيهم . ويشير المؤرخ الأرميني متي الرهاوى الى التفاف الأمراء الأرمن جميعهم ، وبدون استثناء حول أشوط الثالث بمجرد أن بلغتهم

(٥٥) يحيي الأنطاكي : تاريخه ص١٣٩ ، ١٤٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ص٤٩ .

(٥٦) يحيي الانطاكي : تاريخه ، ص١٤٥ - ١٤٦ ؛ ابن القلانسى : تاريخ دمشق ، ص١٢ - ١٤ ؛ وأيضا عمر كمال : مقدمات ١٥٠ - ١٥٣ ، وانظر :

Matthieu, d'Edess, Chronique, pp. 16-23; Honigmann, Ostgrenze, p. 102.

(٥٧) وقع مليح « ملياس » في أسر « هبة الله بن ناصر الدولة » بعد هزيمته أمامه ، ومات في أسرة على الرغم من المعاملة الحسنة التي عاملة بها الحمدانيون . انظر : يحيى الأنطاكي : تاريخه ، ص ١٤٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٤٤ ، للمزيد عن حملات الإمبراطور تزيمسكس على الجزيرة (شمال العراق) . انظر :

Dolger, Chronologie, pp. 275-291; Canard, Expeditions, p. 99; Canard, Hamdanides, pp. 338-343; Vasiliev, Empire; p. 310.

(٥٨) عن ضم بيزنطية لهذا الاقليم ، انظر :
قسطنطين بورفيروجيتوس : ادارة الامبراطورية ، ص ١٥١ - ١٦٥ ، وانظر :

Asolik, Univ. (Macler), p. 182; Credenus, Historiarum, II , p. 375; Adontz, Taronites, pp. 540-541.

(٥٩) Matthieu, d'Edesse, Chronique, p. 14; Brosset, Historiens, p. 436; Thorossian, Hist. Arm. peup. p. 92; Nersessian, Arm. Byz. p. 9.

استعدادات الامبراطور تزيمسكس ، وذلك لعدم معرفتهم في أول الأمر بأهداف حملته هذه ، وحتى يكونوا مستعدين لكل الاحتمالات والظروف(٦٠) .

وكان تجمع الأرمن بهذه الصورة يعدّ موقفا قلما شهدته أرمينية طوال تاريخها الطويل ، حيث كان الدافع له هو مواجهة خطر الفناء(٦١) . وعلى الرغم من استعدادات الأرمن العسكرية هذه ، وحشدهم للجيوش الا أن الملك الأرميني أشوط الثالث وبعد أن عقد اجتماعا مطولا مع كبار أمراء مملكته وقادة جيشه لم يغلق الباب تماما أمام المفاوضات الدبلوماسية مع البيزنطيين(٦٢) .

ويبدو أن الامبراطور البيزنطي - عندما بلغته أنباء حشود الأرمن والتفافهم حول الملك البقراطي أشوط الثالث ، واصرارهم على التصدى له إذا ما حاول الاستيلاء على المزيد من أراضيهم - اصابة القلق وأرسل في الحال اليهم مؤكدا على الصداقة بينه وبينهم ، وعلى حسن الجوار وعلى أنه ما خرج بحملته هذه ليقاتلهم ، وإنما أراد التوجه بها صوب المشرق الأدنى الاسلامي لاسترجاع الأراضي المقدسة(٦٣) . عندئذٍ اطمأن الأرمن لموقفه ورضوا التحالف معه ، مما جعله يتابع سيره على رأس جيشه حتى دخل اقليم طارون الذي سبق لبيزنطة ضمه اليها ، وتوقف في عاصمته موش Mousch أمام قلعة ايتاسكات - بيرد Ayts cats—Berd التي كانت تعرف أيضا باسم قلعة الماعز ، أو القلعة الزرقاء(٦٤) . وهنا جرى تبادل

(٦٠) ويرى جروسيه Grousset, أن سبب خوف الأرمن أنهم تركوا مناصرة الجاثيليق فاهان Vahan، وكان هذا يميل إلى مذهب كنيسة القسطنطينية ، وكان يحاول التقريب بين الكنيستين الأرمينية والبيزنطة . لهذا اتخذوا احتياطاتهم كافة لملاقاته . انظر :

Grousset, Levant, p. 141; Adontz, Notes, p. 372; Gatteyrias, Arm. Armeniens, p. 98; Morgan, Peuple, p. 142.

(٦١) ويروى متى الرهاوى : أن جميع الأمراء الأرمن المنتسبين إلى الدم الملكي لأرميني ، ويقصد بالأسرة البقراطية الملكية وغيرها من الأسر الحاكمة من الأرمن ، وكبار النبلاء قد التفوا حول أشوط الثالث في مواجهة التهديد الذي ظنوا أنهم سيتعرضون له ، عندما أتاهم الامبراطور البيزنطي تزيمسكس بجيشه ، وهو متوجه إلى الشام . ويذكر المؤرخ نفسه أن جيش أشوط الثالث بلغ عدده ٨٠٫٠٠٠ مقاتل . انظر :

Matthieu, d'Edesse, Chronique, p. 14.

(٦٢) Matthieu, d'Edesse, Chronique, p. 14; Adontz, Notes, p. 372; Grousset, Levant, p. 142; Tournebize, Religieuse 142.

(٦٣) Matthieu, d'Edesse, Chronique, pp. 14-15; Grousset, Armenie, 496; Morgan, Peuple, p. 142.

(٦٤) قلعة الماعز « ايتاسكات - بيرد » Aytscats—Berd هي قلعة حصينة تقع على موقع استراتيجي عسكري « هام بالقرب من مدينة موك Mook انظر للمزيد عنها :

Adontz, Notes, p. 372.

السفارات مرة أخرى بين الطرفين ، والتي أسفرت عن تأكيد تحالف تكتيكي بين الامبراطورية والأرمن[٦٥] ، سرعان ما استثمره الامبراطور البيزنطي ، بأن طلب مساعدة الأرمن له في حملته هذه . وبالطبع استجاب الأرمن لطلبه ، خاصة وأنه أكد على أن هدفه الرئيسي هو استرجاع الأراضي المقدسة من أيدى المسلمين ، مما طمأنهم وجعلهم يمدونه بعشرة آلاف جندى من خيرة رجالهم ، أثبتوا وجودهم من خلال أحداث هذه الحملة التي جاء وصفها برسالة مطولة بعث بها الامبراطور تزيمسكس الى حليفه الملك الأرميني أشوط الثالث[٦٦] .

وأيا كان الأمر ، فقد كانت الامبراطورية البيزنطية تعيش عصرا جديدا ذاقت فيه حلاوة الانتصارات المتتالية على جيرانها من المسلمين وغيرهم ، ووصلت حدودها إلى آفاق بعيدة ، لم تكن تحلم يوما أن تصل اليها ، وخاصة في عهد امبراطورها النشط باسيل الثاني (٩٧٦ - ١٠٢٥ م/٣٦٦ - ٤١٦ هـ) الذي وصلت الامبراطورية في عهده ذروة قوتها وعز مجدها[٦٧] . ولكن هذا الامبراطور

(٦٥) جرى تبادل السفارات بين الطرفين ، وكان على رأس سفارة الملك الأرميني أشوط الجاثليق فاهان ، ومعه كبار العلماء الأرمن . ويؤكد متى الرهاوى : أن الامبراطور البيزنطي استقبل سفارة الملك الأرميني بحفاوة بالغة ، وأكد لهم تصميمه على عقد اتفاق الصداقة الذي سبق أن عقده معهم من قبل . انظر :
Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 12-22.

(٦٦) هذه الرسالة بعث بها الامبراطور البيزنطي يوحنا تزيمسكس إلى الملك الأرميني أشوط الثالث وذلك بعد أن تم التحالف بينهما وبعد أن زوده أشوط الثالث بعشرة آلاف من جنوده أبلوا بلاء حسنا معه في حملته الكبري على شمال الشام سنة ٩٧٥ م/٣٦٥ هـ . وقد كرر الامبراطور البيزنطي في رسالته تأكيد التحالف بينهما ، كما وصف له فيها ما أنجزه من انتصارات في حملته هذه وأهمها أنه كان ينوى التوجه الى بيت المقدس لاستردادها من أيدى المسلمين . انظر للمزيد :
Matthieu, d'Edesse, Chronique, p. 23.
ويشكك جروسيه وآخرون في صحة خطاب تزيمسكس هذا ، ويصفه بأنه انشائي أدبي يشبه في أسلوبه الأسلوب الذي يسند فيه المؤرخون اليونانيون المعجزات إلى أبطالهم الاسطوريين. Grousset, L'Arménie, P. 499. وأهم ما جاء في الخطاب بالنسبة للأحداث في أرمينية ، أنه تضمن ملحقا له ، وضع بخصوص قلعة الماعز (أيتاسكات بيرد Aytacats—Berd) . وكان الامبراطور قد اتفق مع أشوط الثالث على تسليم الأخير هذه القلعة لنائب الامبراطور في طارون ودردجان . . . Derdjan ويدعى ليون وهو برتبة استراتيجوس ، ولكن الامبراطور وهو فرح بما حققه من انتصارات في حملته على الشام التي قام بها ، تنازل عن القلعة لأشوط الثالث . للمزيد ، انظر :
Matthieu, d'Edesse, Chronique, pp. 23-24; Adontz, Notes, pp. 373-374; Grousset, Levant, p. 499.
وأيضا عمر كمال : مقدمات ، ص ١٥٠ - ١٥٣ .

(٦٧) عن الانتصارات التي حققها هذا الامبراطور ومده لحدود الامبراطورية إلى أقصى اتساع لها انظر :
Runciman, Bulgarian. pp. 242-252; Jenkins, Byzantium, p. 327; Browning, Bulgaria, p. 75; Farag, Byzantium. p. 355; Grousset, Arménie, 447 ff, 458 ff.
وانظر : وسام عبدالعزيز : دراسات ، ص ٣١٠ - ٣١٤ ، ٣١٨ - ٣٢٤ .

وعلى غير المتوقع ، لم يسر في الاتجاه التوسعى نحو الشرق كما فعل أسلافه ، حيث كانت فلسفته السياسية تستهدف القضاء على طبقة الأرستقراطية العسكرية التي قام على أكتافها ذلك الامتداد الشاسع نحو الشرق[٦٨] . ومن اجل تحقيق هدفه هذا ، حاول باسيل الثاني أن يجعل من شبه جزيرة البلقان مركز ثقل جديدا يوازن به آسيا الصغرى ، التي كانت معقل طبقة الأرستقراطية العسكرية البيزنطية ، ومن هنا جاء اصراره على تحطيم بلغاريا[٦٩] .

وعلى هذا يمكن القول إن الإمبراطور باسيل الثاني كان على خلاف من سبقه من الأباطرة مثل نقفور فوقاس ، ويوحنا تزيمسكس الذين وجهوا جل اهتمامهم إلى الجبهة الشرقية ضد المسلمين . أما هو فقد كانت وجهته غربية ، ولم يحظ التوسع على حساب المسلمين منه بالكثير . ولكن هذا لا يعني أنه أهمل تماما الجبهة البيزنطية المتاخمة للمسلمين ، أو أهمل في الدفاع عن الممتلكات البيزنطية التي تقع على حدودها الجنوبية الشرقية . بل على العكس من ذلك ، فقد حرص كل الحرص على الاحتفاظ بحدود امبراطوريته كما ورثها ، ولم يتردد في التوجه إلى الشرق لدفع الخطر الذي هدد ممتلكاته هناك[٧٠] .

وعلى كل حال ، اختلف وضع أرمينية في تعامل الامبراطورية معها ، حيث سعى امبراطور بيزنطة النشط إلى ضم ما يستطيع من أراضيها وأراضي جارتها أيبيريا إلى امبراطوريته . وعلى الرغم من أنه نجح إلى حد ما في تنفيذ سياسته هذه ، إلا أن مسألة ضم أرمينية وأيبيريا إلى الكيان الامبراطورى لم تكن وارده في أولويات

(٦٨) لقد قضى الامبراطور باسيل الثاني مدة عشرين عاما تقريبا عمل بكل قوته على الحد من نفوذ هذه الطبقة وسطوة كبار الملاك منهم في الاقاليم ، واستخدم في سبيل تحقيق القضاء عليها سلاحي القوة والقانون . انظر للمزيد عن جهوده في القضاء على هذه الطبقة :
Scylitzes, Synopsis, pp. 326-327; Zonaras, Historiarum III, p. 51, n. 6;
وعن التشريعات التي أصدرها لكسر شوكة هذه الطبقة :
Pselleus, Chronographia, p. 295; Vryonis, Troubles, p. 400 n. 20; Farg, Byzantium, p. 341.
وانظر : وسام عبدالعيز : دراسات ، ص ٣٠٤ - ٣٠٧ .

(٦٩) وسام عبدالعزيز : دراسات ، ٣١٤ .

(٧٠) لم يستطع الامبراطور باسيل الثاني الاستغناء عن خدمات الطبقة الأستقراطية العسكرية التي حطمها وأخضعها تماما لسيطرته في حروبه ضد المسلمين ، وذلك للخبرة العسكرية التي اكتسبها أفرادها في الحروب ضدهم . انظر عن محاولات باسيل الثاني لابقاء نفوذها على الجبهة الاسلامية كما كان في عهدى نقفور فوقاس ويوحنا تزيمسكس : وسام عبدالعزيز : دراسات ، ص ٣١٧ .

سياسته ، ولكن تطور الظروف في أرمينية التي بدأ الضعف يتطرق اليها بعد وفاة ملكها القوى أشوط الثالث[٧١] ، بالاضافة إلى تصاعد حركات التمرد من قبل الأمراء الأرمن وامارات القوقاز الاخرى مثل أيبيريا والأبخاز جعله يتجه إلى تلك الإمارات لاقرار الأمور فيها ، مما نتج عنه ضم بعض الأقاليم منها إلى الكيان الامبراطوري[٧٢] .

هذا ، ومما شجع باسيل الثاني على ضم المزيد من الأقاليم في تلك المنطقة ، هو تنازل بعض الأمراء فيها عن أراضيهم الموروثة لهم للامبراطورية البيزنطية ، مقابل مد حمايتها عليهم ، وسعيا لكسب امبراطورها الذي لا يهدأ ، والذي اكتسب شهرة واسعة بعد اخضاعه للبلغار حتى سمى سفاح البلغار[٧٣] . ومن الطبيعي أن تجد دعوة أولئك الأمراء استجابة سريعة لدى الامبراطور البيزنطى الذي وجد فيها وسيلة طية لفض المنازعات والمشكلات العديدة التي ثارت بينهم ، ولاقرار نفوذه في هذه المنطقة التي كانت تشكل حدود امبراطوريته الشمالية الشرقية[٧٤] .

والجدير بالذكر ، أن أبرز تلك التنازلات هو تنازل قربلاط أيبيريا القوى داود ، والذى دفعه الى ذلك هو خوفه من انتقام امبراطور بيزنطة المرعب ، بسبب مساعدته

(٧١) جاء في مجموعة مؤرخي الأرمن التي جمعها بروسيه . Brosset أن أشوط الثالث كان يملك جيشا قويا بلغ تعداده ٩٠,٠٠٠ مقاتل وعلى رأسه قائده الشجاع جوره Gorho الذي كان ساعده الايمن ، انظر :

Brosset, Historiens, p. 4536; Grousset, l'Arménie, p. 479; Morgan, Peuple, p. 140.

(٧٢) من أبرز حركات التمرد هذه تلك التي أعلنها ضده بقراط الثالث ملك مملكة جيورجيا الموحدة (أبخازيا وأيبيريا) ، وكان والد بقراط الثالث ويدعى جورجين قد حكم أيبيريا تحت سيطرة باسيل الثاني وذلك بعد أن آلت اليه بعد وفاة القربلاط دواد ، وذلك لتنازل هذا الأخير عن مملكته لباسيل الثاني بعد موته . وبعد موت جورجين رأى بقراط الثالث أن يضم ما كان يحكمه والده الى مملكته ليكون مملكة قوية تحت حكمه ، ولكن باسيل الثاني طالبه بالاحتفاظ بما يخص والده فقط وارجاع ما كان للقربلاط دواد للامبراطورية . وعندما رفض جورج الأول طلبه ، توجه باسيل الثاني بجيش قوى سنة ١٠٠٨م/٣٩٩هـ لأيبيريا لانتزاعها بالقوة ، والجدير بالذكر أن الأرمن ساعدوا بقراط الثالث عندما ضم هذه الممتلكات اليه . انظر للمزيد :

Arist. de Last. (Canard), pp. 7-8, 12-18, 21-24, Grousset, l'Arménie, pp. 538-539, 547-558; Toumanoff, Arm. Geor., p. 618.

(٧٣) عن معارك باسيل الثاني ضد البلغار ، انظر :

Runciman, Bulgarian, 240 ff; Browning, Balagaria, p. 75; Jenkins, Byzantium, p. 326 ff.

(٧٤) وسام عبد العزيز دراسات ص ٣١٩ .

لبعض الثائرين عليه[٧٥] . وكان شرط القربلاط الوحيد هو أن يظل حاكما لبلاده طوال حياته فقط ، على ان تؤول ممتلكاته الى الامبراطورية بعد وفاته وكان هذا التنازل بداية لتنازلات عدة اعقبته من جانب الأمراء الأرمن والأيبيريين فكان بمثابة الباب الذي فتح الطريق اليها ومهد السبيل لها[٧٦] .

ويمكن القول إن الموقف الذي تعرض له كل من الأمراء الأرمن والأيبيريين على حد سواء كان في غاية السوء ، عندما اصطفوا أمام الامبراطور البيزنطى باسيل الثاني في قلعة هفجيج Havacic في ابريل سنة ١٠٠٠ م / ٣٩١ هـ[٧٧] ، وهو يحدد الأقاليم والقلاع التي ينوى ضمها اليه ، وما كان بوسعهم سوى الرضوخ ، وازاء تسليمهم بما أراد ، ورضاهم بما قرر ، أغدق عليهم الألقاب ، والرتب كل حسب مكانته وغمرهم بالهدايا الثمينة » وعادوا الى بلادهم تغمرهم الفرحة »[٧٨] .

وبطبيعة الحال كان ما أظهروه أمام امبراطور بيزنطة القوى غير ما أبطنوه ، فهم وان كانوا قد أبدوا له رضاهم وتسليمهم بما ضمه اليه من أراضيهم وممتلكاتهم وقلاعهم الا انهم كانوا يتحينون الفرصة لاسترجاع ما انتزع منهم قسرا وكرها ، وكان أجرأهم في اظهار مكنونات نفسه ملك جيورجيا جورج الأول[٧٩] ، عندما

(٧٥) كان القربلاط دواد قد ساعد برداس فوقاس في أثناء ثورته على باسيل الثاني سنة ٩٨٧ م /٣٧٧ هـ وكان قد أرسل اليه الفين من المشاه المسلحين بقيادة الأميرين الطارونيين ابنى بقراط : انظر : يحى الانطاكى : تاريخه ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ، وأيضا :

Asolik, Univ. (Macler), pp. 160-165.

Grousset, l'Arménie, p. 513.

(٧٦) عن تنازل القربلاط داود عن ممتلكاته لباسيل الثاني انظر :

Asolik, Univ. (Macler), 160-165; Rambaud, Empire, Grece, p. 519; Schlumberger, Epopee, II, p. 166; Toumanoff, Background, p. 14.

وانظر : الباز العريني : الدولة البيزنطية ص ٦٩٢ .

(٧٧) قلعة هفجيج Havacic هى قلعة تقع في السهل المجاور لمدينة فالارشاكرت Valarchakert في مقاطعة بجريفاند .

(٧٨) انظر :

Asolik, Univ. (Macler), p. 165.

Arist de Last (Canard), p. 14.

(٧٩) استطاع جورج الأول هذا أن يكون مملكة قوية شملت أيبيريا وابخازيا ، وذلك بعد أن ورث أباه الذي كان يحكم أيبيريا ، وبذلك أصبحت مملكة جيورجيا الموحدة أقوى كيان سياسي في القوقاز ، وكان والده بقراط الثالث قد أذعن لسيطرة باسيل الثاني عليه ولم تجر أية مشكلات بينه وبين بيزنطة بسبب ذلك . ولقد حكم جورج الأول من سنة ١٠١٤ الى سنة ١٠٢٧م (٤٠٥ - ٤١٨ هـ) وخلفه ابنه بقراط الرابع (١٠٢٧ - ١٠٧٢ م / ٤١٨ م ٤٦٥ هـ) للمزيد انظر :

Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 44; Toumanoff, Arm. Geor. p. 618; Schlumberger, Epopée, II, p.166; Grousset, l'Armenie, pp. 532-533.

وانظر : يحى الأنطاكي : تاريخه ، ص ١٨٤ الباز العريني : الدولة البيزنطية ص ٦٩٢ .

رفض طلب باسيل الثاني برد الممتلكات التي كانت بحوزة والده بقراط الثالث ، والتي آلت اليه بعد وفاته ، وكانت هذه الممتلكات اصلا للقربلاط داود[80] ومهما يكن من شيء ، فان موقف ملك جيورجيا هذا ، كان بمثابة الحجة التي كان الأرمن ينشدونها متحفزين لانتهاز أية فرصة ليتمردوا على النفوذ البيزنطي الذي فرض عليهم بالقوة . لهذا فهم وجدوا انفسهم في موقف ملك جيورجيا الجريء ، فوضعوا كل ثقلهم وراءه ، معلنين ليس عن تأييدهم له فقط ، بل ومشاركتهم العسكرية معه[81] .

وتمثل رد الفعل البيزنطي ازاء هذا الموقف من الأرمن والأيبيريين في قيام الامبراطور باسيل الثاني بحملتين كبيرتين كانتا على التوالي في سنتي ١٠٢١ و ١٠٢٢ م[82] . (في سنتي ٤١٢ و ٤١٣ هـ) هزم فيهما الملك الجيورجي وحلفاءه الأرمن ، وانتهى الأمر بعقد اتفاق سلام بين الطرفين تنازل فيه ذلك الملك البائس للامبراطورية البيزنطية عن المزيد من القلاع الهامة في بلاده[83] .

(٨٠) كانت هذه الممتلكات قد تنازلت عنها الامبراطورية البيزنطية للقربلاط داود نظير مساعدته لباسيل الثاني في أثناء ثورة برداس سكليروس (٩٧٦ - ٩٨٩م / ٣٦٦ - ٣٧٩هـ) وكان لتلك المساعدة الأثر الفعال في هزيمة برداس انظر :

Scylitzes, Synopsis, p. 326; Schlumberger, Epopée, I, pp. 416-417; Seibt. Skleroi, Gp. 44; Badridze, Contribution, p. 163.

ويذكر أرستاكيس ، أن الامبراطور باسيل كتب اليه بطريقة ودية قائلا له : « انسحب عن الأملاك التي لا تدخل ضمن أملاكك الموروثة ، وابق في اقطاعك في سلام .

Arist. de Lazst. (Canard), p. 7.

(٨١) Arist. de Lazst. (Canard), pp. 7-8; Grousset, l'Arménie, pp. 538-539; Schlumburger, Epopée, II, p. 166.

(٨٢) عن حملات باسيل الثاني ضد الملك جورج الأول وحلفائه من الأرمن ، انظر :

Arist. de Lazst. (Canard), pp. 7-17; Schlumburger, Epopee, pp. 511-512.

وانظر : يحى الانطاكى : تاريخه ،ص ٢٤٠ ، الباز العريني ، الدولة البيزنطية ص ٦٩٩ - ٧٠١ ، ويروى يحى الأنطاكى ، أن الملك الجيورجي جورج الأول ارسل الى الحاكم بأمر الله خليفة مصر الفاطمى ، ليشتركا معا ضد باسيل فيقصده كل منهما من جهته تاريخه ص ٢٣٩ .

(٨٣) ويروى يحى الأنطاكى ، أن الملك جورج الأول ويسميه جرجس أرسل رسولا يستعطفه أى (الامبراطور البيزنطى) ويعتذر اليه مما كان فعله ويبذل أن يسلم اليه الحصون ، وسائر البلاد التي كانت لعمه داوود القربلاط وأن يعطيه ولده بقراط رهينة على ذلك ، ولا يحول ولا يتغير ما لقى من العمر عن العبودية له والموالاة ، فأجابه باسيل الملك الى ما التمسه وقبل منه ما بذله تاريخه ، صـ ٢٤٠ . وانظر :

Arist. de Last. (Canard), pp. 12-13, 21-24; Grousset, l'Arménie, pp. 547, 558; Schlumberger, Epopée, pp. 511-512.

وعلى هذا ، يمكن القول إن انتهاج الأمراء الأرمن في هذه الفترة لسياسة التنازلات عن ممتلكاتهم التي ورثوها عن آبائهم جيلا بعد جيل لبيزنطة ، سواء منها التي تمت عن طيب خاطر منهم ، او تلك التي تمت عن طريق القوة والاكراه كان لها مسوغاتها فقد بدأ يلوح في الأفق خطر موجات الجماعات التركية والتي بالفعل هاجمت مملكة فاسبوراكان في مطلع عام ١٠٢١ م / ٤١٢ هـ[84] .

هذا ، وكانت أرمينية قد نعمت في عهد ملكها أشوط الثالث بالهدوء والاستقرار ، كما نعمت به أيضا في عهدي ملكيها سمباد الثاني (٩٧٧ - ٩٨٩ م / ٣٦٧ - ٣٧٩ هـ) وجاجيك الأول (٩٩٠ - ١٠١٨ م / ٣٨٠ - ٤٠٩ هـ) وقد حرص هذان الملكان على توثيق علاقاتهما بالامبراطورية البيزنطية ، وخاصة في عهد الأخير منهما[85] . ولكن بعد وفاة جاجيك الأول في سنة ١٠١٨ م / ٤٠٩ هـ ، شهدت أرمينية فتنا وحروبا عديدة بين ولديه يوحنا سمباد الذي حكم بعد أبيه بطريقة شرعية ، وتسمى بـ سمباد الثالث (١٠١٨ - ١٠٤٢ م / ٤٠٩ - ٤٣٤ هـ)

(٨٤) هذه الجماعات التركية : من الأتراك السلاجقة ، وهؤلاء كانوا فرعا من الأتراك الغز ، وينتسبون الى زعيمهم سلجوق بن دقاق ، وكانوا يقطنون « الربع الشمالي من المعمور ما بين الصين الى التركستان » ابن خلدون : العبر ، جـ٣ ، صـ ٤٥٠ - ٤٥٣ . . ولقد دخل هؤلاء الاسلام على مذهب أهل السنة ، الراوندي صـ ١٤٥ ، فليب حتى : العرب، جـ٢، صـ ٥٦٩ . وقد زحف هؤلاء من موطنهم الأصلى الى منطقة ما وراء النهر ، وهنا جرت بينهم وبين الغزنويين معارك كثيرة ، واستطاع السلطان محمود الغزنوى أن يقلم أظافرهم ، ويسجن زعيمهم اسرائيل ابن سلجوق الذي خلف أباه في زعامتهم . ولكنهم استطاعوا في ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م أن يحققوا انتصارا هاماً على والى خراسان الغزنوى ، دخل على اثره زعيمهم طغرلبك نيسابور عاصمة الغزنويين . وفي سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م تمت لهم السيطرة على خراسان بعد ان أوقعوا بالسلطان الغزنوى ، مسعود هزيمة ثقيلة بعد ذلك استمر طغرلبك يحقق النصر تلو الآخر حتى دخل بغداد سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م في النهاية ، وخطب له على منابرها بعد اسم الخليفة العباسي القائم (٤٢٢ - ٤٦٧ / ١٠٣١ - ١٠٧٥ م) للمزيد انظر : ابن الاثير الكامل ، جـ ٨ ، ص ٥٢ وما بعدها وص ٩٥ وما بعدها ، ابن الجوزي : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ١٣٧ وما بعدها وص ١٧٣ وما بعدها ، الاصفهاني : دولة آل سلجوق ، ص ٧ ، احمد كمال : السلاجقة ، ص ٢١ - ٢٣ .

Cont. Thom. Ardz., pp. 243-248; Asolik, Univ. (Macler), pp. 71-73; Grousset, Levant, p. 159; Turan, Anatolia, p. 232; Taeschner, Turks, pp. 737, 738.

(٨٥) Asolik, Univ. (Macler) p. 138.

وأشوط الرابع[86] ، مما أتاح لأمير أذربيجان مملان الفرصة لمهاجمة أرمينية[87] .

وعلى أثر تردي الأحوال في أرمينية ، وتعرضها للفتن والحروب الأهلية ، إلى جانب الضغط الخارجي الذي تمثل في إغارات أمراء أذربيجان ، وتهديدات الجماعات التركية ، آثر ملك فاسبوراكان سنحاريب يوحنا Sennacharil john التنازل عن مملكته إلى الامبراطور باسيل الثاني في سنة ١٠٢١ م / ٤١٢ هـ . وفي مقابل ذلك منحه الامبراطور البيزنطي سيواس Sebasteia والأقاليم المحيطة بها ، كما منحه لقب ماجستر Magistros[88] . ثم قام الامبراطور بتحويل اقليم فاسبوراكان

---

(٨٦) نشب صراع بين الملك الشرعي يوحنا سمباد وشقيقه أشوط ، أثر وفاة والدهما أشوط الثالث سنة ٩٧٧ م / ٣٦٧ هـ . ويروي متى الرهاوي أن وفاة أشوط الثالث كانت « ايذانا باندلاع الانشقاق والعداء بين ولديه يوحنا ، واشوط . . . . . . Matthieu d'Edesse' Chronique p . 6 وبعد مصادمات عديدة بين الشقيقين اتفقا على تقسيم المملكة بينهما ، واتخذ أشوط من قارص عاصمة للقسم الذي كان من نصيبه ، وتسمى بأشوط الرابع ، أما شقيقه يوحنا سمباد فظلت آني عاصمة له . انظر :

Arist. de Last. (Canard), p. 9; Grousset, l'Arménie, 541.

(٨٧) كان مملان بن هسوذان بن محمد الراوندي ، أمير أذربيجان في هذه الفترة ، وقد اقره طغرلبك مكان والده سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٨٧ . هذا ويسميه المؤرخون الأرمن بـ« ماملان » Mamlan ، انظر : Asolik' Univ. (macler)' p . 71 وأما المؤرخون البيزنطيون فيطلقون عليه « مامليون » ، ولقد اطلق عليه اسوليك كذلك « أبو الحدج » ويشير الى انه قام بعدة اغارات على فاسبوراكان ، وبقية انحاء أرمينية ، وأنه استطاع في احدى اغاراته أن يستولى على مدينة دوين ، مما دفع الملك البقراطي سمباد الثاني أن يدفع له جزية عدة سنوات ، وهذا يعني أن الملوك الأرمن ظلوا يدفعون الجزية لأمراء أذربيجان حتى عهد هذا الملك .

Asolik, Univ. (Macler), pp. 71-72; Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 30-31.

هذا ، وقد أشار اليه ابن الأثير : بأنه خلف أباه في ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م ، وكان والده هسوذان قد دخل تحت طاعة طغرلبك وخطب له على منابر أذربيجان في سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٤٦ م . وكان هسوذان آخر الأمراء المستقلين من بني سالار أو بني مسافر ، التي حكمت أذربيجان منذ سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١م . انظر للمزيد : ابن الأثير: الكامل، جـ٨ ، ص ٦٧ ، ٨٧ ؛ ناصري خسرو : سفرنامة ، ص ٥ وانظر :

Asolik, Univ. (Macler) p. 138.

(٨٨) لقب ماجستر Magistros : ظهر هذا اللقب منذ القرن الثامن الميلادي كلقب شرفي ثم اختفي الا انه عاد للظهور في عهد الامبراطور ميخائيل الثالث والشخصيات التي تحمل هذا اللقب تشكل طبقة ودرجة في المجتمع البيزنطي ، وكان يمنح لكبار قادة الجيش ، وخاصة قائد سلاح الفرسان والمشاة . انظر :

Bury, Administrative, pp. 29-33.

الى ثيم عسكري عرف بثيم فاسبوراكانيا Vaspourakania[89] .

المتنازل عنه هذا ، وقد حذا الملك البقراطي يوحنا سمباد حذو ملك فاسبوراكان اذ تنازل في سنة ١٠٢٢ م / ٤١٣ هـ عن مملكته ، وعاصمتها آني الى الامبراطورية البيزنطية ، ولكنه اشترط ان يتم ذلك بعد وفاته . وبالطبع لقي العرض الذي عرضه الملك الأرميني قبولا حسنا لدى الامبراطور باسيل الثاني ، الذي سارع بالموافقة على تنازله ، ومنحه لقب ماجستر مكافأة له[90] . ولكن لم يقدر للامبراطور البيزنطي أن ينعم طويلا بما تم على يديه من تنازلات ، كما لم يمتد العمر به ليحقق حلمه الكبير ، الا وهو الاستيلاء على كل أراضي وممتلكات جيرانه الأرمن ، إذ توفى سنة ١٠٢٥ م / ٤١٦ هـ ، تاركا خلفه امبراطورية قوية وغنية مرهوبة الجانب ، وخلفه شقيقه قسطنطين الثامن على عرش الامبراطورية في السنة نفسها[91] .

والجدير بالذكر ، أن قسطنطين الثامن لم يكن متطلعا لضم ممتلكات الأرمن وأقاليمهم إلى امبراطوريته ، بدليل أنه سلم الوثيقة التي تنازل بموجبها الملك الأرميني يوحنا سمباد لشقيقه باسيل الثاني الى احد القساوسة الأرمن ويدعى سرياك Syriaque ، ليردها الى يوحنا سمباد[92] . ولكن هذا القسيس لم ينفذ ما عهد ..

---

(٨٩) عن تحويل اقليم فاسبوراكان الى ثيم بيزنطي يعرف باسم فاسبوراكانيا Vaspourkania انظر :

Arist. de Last. (Prud'homm), p. xxii and p. 19 n. 1; Grousset, l'Arménie, p. 541 ff; Bayens and Moss, Byzantium, p. 295; Ensslin, Administration, p. 20.

(٩٠) لقد فعل يوحنا سمباد هذا خوفا من باسيل الثاني ، وذلك لأنه قام بمساعدة الملك الجيورجي جورج الأول في أثناء تمرده على الامبراطور البيزنطي . ويذكر ارستاكس : أن وثيقة تنازله عن آني كانت سببا في فناء أرمينية وعلل تنازله هذا بأنه لم يكن له وريث بعد موت ابنه يركات Erkat ، هذا وكان شقيقه أشوط الرابع ملك قارص قد مات قبله . ولكن كان لأشوط الرابع ابن هو عباس ، وكان يمكن أن يرث عمه ، ولكن يبدو أن خوفه هو الذي دفعه لتنازله لباسيل الثاني . انظر :

Arist de Last. (Canard), p. 16; Cedrenus, Historiarum II, p. 477; Schlumberger, Epopée, p. 500.

(٩١) يصفه بسللوس ، وهو مؤرخ معاصر لعصره ، بأنه شخص غير نشط بطبعه وليس لديه طموح ، وعلى الرغم من أنه قوي الجسم الا انه ليس بشجاع ، بالاضافة الى أنه كبير في السن في ذلك الوقت . انظر :

Psellus, Chronographia, p. 3, Arist de Last. (Canard), p. 40.

(٩٢) يروى أرستاكس ان قسطنطين الثامن قال للقسيس الأرميني سرياك « احمل هذا الكتاب الامبراطوري وسلمه الى الملك الأرميني وقل له : فلتكن مملكتك ورثة لابنك ولأبنائه من بعده ، ولتستمر هكذا إلى الأبد »

Arist de Last. (Canard), p. 60; Thorossian, Hist. Arm. Prep. 93.

اليه ، وأخفى الوثيقة عنده حتى اعتلاء ميخائيل الرابع العرش (١٠٣٤ - ١٠٤١ م / ٤٢٦ - ٤٣٣ هـ) ، فسلمه اياها ، فقام الامبراطور البيزنطي بمنحه مكافأة سخية مقابل ذلك(٩٣) . وهكذا ظهرت على السطح مرة أخرى مسألة ضم أرمينية الى الكيان الامبراطوري .

على كل حال ، لقد توفى يوحنا سمباد سنة ١٠٤٠ م / ٤٣٢ هـ ، دون أن يترك وراءه وريثا ، كما أن شقيقه أشوط الرابع قد توفى بعده بفترة قصيرة(٩٤) ، وأصبح وريث عرش المملكة الأرمينية شاب صغير لا يتجاوز عمره الخمسة عشر عاما . وهو جاجيك الثاني ابن أشوط الرابع (١٠٤٢ - ١٠٤٥م / ٤٣٤ - ٤٣٧ هـ)(٩٥) . ولكن بيزنطة التي كانت بالطبع ملمة بأمور جيرانها الأرمن ، وجدت في حداثة سن الملك الأرميني الجديد فرصة لتجدد مطالبها بتنفيذ ماورد في وثيقة التنازل التي وقعها يوحنا سمباد قبل موته لامبراطورها باسيل الثاني ، ووضح الاصرار البيزنطي على تنفيذ مضمون هذه الوثيقة في عهدي الامبراطورين ميخائيل الرابع (١٠٣٤ - ١٠٤١م / ٣٢٦ - ٤٣٣ هـ) ، ومخائيل الخامس (١٠٤١ - ١٠٤٢ م / ٤٣٣ - ٤٣٤ هـ) .(٩٦)

والواقع أن بيزنطة كانت محظوظة ، اذ صادفت مطالبها بتنفيذ وثيقة التنازل في وقت وصلت فيه الاضطرابات والفتن الداخلية في أرمينية حدا كبيرا ، وذلك

---

(٩٣) ويروي ارستاكيس أن سرياك ، باع له (ميخائيل الرابع) هذا المرسوم الامبراطوري بمبلغ طائل من المال ،
Arist de Last. (Canard), p. 60; Schlumberger, Epopée, pp. 449-500.

(٩٤) يرى تشامتشيان أن وفاة أشوط الرابع التي تمت في مارس ١٠٤٢ م / رجب ٤٣٤ هـ وشقيقه يوحنا سمباد في مارس ١٠٤٠ م / شعبان ٤٣٢ هـ ، كانت تعدّ فعلا بمثابة نهاية لكيان المملكة الأرمينية .
Tchamtichean, Arménie, II, p. 4038, Grousset, Lavent, p. 156.
حول وفاة الشقيقين أشوط الرابع ، ويوحنا سمباد ، انظر :
Schlumberger, Epopée, II, pp.
Vartan, Hist. Univ., pp. 433; Sempad, Royaume, p. 54 et 46;
493-494; Tourribize, Religieuse, p. 126.

(٩٥) جاء في مجموعة مؤرخي الأرمن جمع بروسيه BRROSSES ، أن جاجيك الثاني هذا كان لا يملك من الصفات التي تؤهله لأن يكون ملكا ، وخاصة في فترة عصيبة كهذه التي تمر فيها أرمينية ، مما أتاح للبيزنطين الفرصة للانقضاض على أرمينية .
Tournebize, Religieuse, pp.
Brosset, Historiens, p. 445; Schlumberger, Epopée, II, pp. 493-494;
126-127.

(٩٦) عن مطامع بيزنطة في هذه الفترة في أرمينية انظر :
Arist de Last. (Canard), p. 60; Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 69; Brêhier, Vie, p. 205.

لانقسام أرمائها ، وتفرق كلمتهم وعدم اتفاقهم على الاعتراف بملكهم الشاب جاجيك الثاني(٩٧) . ووصل الأمر الى حد تفكير أحدهم ، ويدعي فست سركيس Vest Sarkis ، بتنصيب نفسه ملكا على آني بدلا من ملكها الحدث السن(٩٨) . وبالطبع شجعت هذه الفتن البيزنطيين على ضم أرمينية اليهم مستندين الى وثيقة التنازل عنها لهم ، ولكن كان موقف الأرمن جميعهم بدون استثناء ، رغم تفرق كلمتهم واضطراب أحوالهم ، هو الرفض القاطع للمطالب البيزنطية(٩٩) .

وكان من الطبيعي أن تلجأ الامبراطورية البيزنطية الى استعمال العنف لتحقيق مآربها ، بعد أن أخفقت مساعيها الودية في ذلك وبالفعل أرسل الامبراطور ميخائيل الخامس قوة عسكرية لتنفيذ ما جاء في وثيقة التنازل تلك(١٠٠) ، الا أن الأرمن نهضوا ووحدوا قواهم بقيادة أحد قادتهم ، وهو فهرام بهلا فوني Vahram Bahlavouni واستطاعوا الحاق هزيمة ساحقة بالجيش البيزنطى(١٠١) وأعقبت هذه

---

(٩٧) على الرغم من أن أرمينية كانت تتعرض لفتن داخلية سببها انقسام أمراء الأرمن على انفسهم ، تعرضت أيضا الى اغارات خارجية هددتها ، ومن هذه الاغارات اغارة ملك الألبان داود الذي ينتمي أيضا الى أحد فروع الأسرة البقراطية ، فقد نشر هذا الملك في أثناء هجومه على أرمينية الخراب والدمار في كل مكان . والجدير بالذكر ، أن الأرمن يطلقون على ألبانيا اسم أجاهوني Agh'ooane ، انظر :
Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 69; Nansen Arm. Pro. Ori, p. 293.

(٩٨) لقد طمع هذا الأمير الأرميني سركيس في حكم آنى وطمع في ملكها الشاب جاجيك الثاني ، فنهب مع أتباعه الخزائن الملكية المودعة في احدى القلاع ، وأودعها عند الملك الجيورجي الذي حالفه وساعده على تحقيق اطماعه ، الا أنه أخفق في خطته لتكاتف بقية أمراء الأرمن حول الملك الشاب .
Arist. de Last. (Canard), p. 62; Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 69; Issaverdens, Hist. Arm., p. 264; Morgan, Peuple, p. 150.

Arist. de Last. (Canard), p. 62; Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 69; Morgan, Peuple, (99) p. 150; Issaverdens, Hist. Arm., p. 265.

(١٠٠) ويروى متى الرهاوى أن الامبراطور البيزنطى أرسل حملة لضم آنى بالقوة ، ولما كانت أرمينية تفتقد في ذلك الوقت الى قائد محنك يستطيع الوقوف في وجههم ، لهذا استطاع البيزنطيون ضم العديد من المدن الأرمينية ، انظر :
Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 69.
Arist. de Last. (Canard), pp. 62-63; Gatteyrias, Arm. Armeniens, p. 101; Bréhier, Vie. p. 212.

(١٠١) يروى متى الرهاوى ان عدد الجيش البيزنطي الذي هزم امام الأرمن بلغ ١٠٠,٠٠٠ جندى وانهم استطاعوا قبل هزيمة الأرمن لهم محاصرة آنى ، وأن الأرمن انتصروا عليهم على الرغم من أن عددهم لا يتعدى ٣٠,٠٠٠ ، ونسب انتصارهم هذا الى شجاعة الأرمن وبسالتهم ، وبالطبع هذه مبالغة لا نستطيع تصديقها حيث لا يمكن لـ ٣٠,٠٠٠ هزيمة ودحر ١٠٠,٠٠٠ خاصة أنهم كانوا قد حاصروا المدينة قبل هزيمتهم ، انظر :
Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 69-70.
وانظر أيضا :
Arist. de Last. (Canard), p. 63; Thorossian, Hist. Arm. Peup. p. 93.

الحملة البيزنطية حملات أخرى مسعورة على آنى لضمها بالقوة الى الكيان الامبراطورى ، وكانت النتيجة الحتمية لها أن عم الدمار والخراب أرجاء أرمينية . وتحطمت قصور الملوك ، وأصبحت خاوية ، « أما البلد فبعد أن كانت مزدحمة بالسكان أصبحت اليوم خالية منهم »(١٠٢) .

وبينما كانت أرمينية غارقة الى أذنيها في مشكلاتها الداخلية والوقوف ضد أطماع الامبراطورية البيزنطية فيها ، داهمها خطر تدفق الأتراك السلاجقة ، الذين أخذت إغاراتهم الجديدة هذه تشكل خطورة جدية لم تعرفها أرمينية من قبل(١٠٣) . وعلى الرغم من ذلك لم تتخل بيزنطة عن أطماعها ، وعلى الرغم من معرفتها بما تواجهه أرمينية من خطر السلاجقة وغزواتهم المتلاحقة عليها ، بل بالعكس من ذلك فهى جعلت الأخطار وسيلة لها لتحقق أطماعها في بلاد الأرمن ، وخاصة في عهد الامبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس (١٠٤٢ - ١٠٥٤ م / ٤٤٣ - ٤٤٧ هـ) الذي جدد المطالب البيزنطية الواردة في وصية يوحنا سمباد ، التي تنص على ضم آنى وتوابعها الى الامبراطورية(١٠٤) . وعندما رفض الأرمن التسليم بمطالبه وديا ، أرسل حملة بيزنطية كبيرة الى أرمينية كى تنفذ ما جاء في تلك الوثيقة بالقوة ولكن هذه الحملة منيت بهزيمة كبيرة كما منيت اختها من قبل(١٠٥) . ويبدو أن الهزائم المتكررة

---

(١٠٢) Arist. de Last. (Canard), p. 764.

وانظر :

Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 71; Thorossian, Hist. Arm. Peup., p. 93; Bréhier, Vie, p. 212; Gatteyrias, Arm. Armeniens, p. 101.

(١٠٣) Arist. de Last. (Canard), p. 72; Issaverdens, Hist. Arménie, pp. 264- 265.

(١٠٤) لقد أخر متى الرهاوى اعتلاء الامبراطور البيزنطى مونوماخوس ٩ شهور . انظر :

Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 75.

وانظر عن مطالبته بضم ارمينية :

Grousset, Levant, p. 156; Issaverdens, Hist. Arménie, pp. 264-265.

(١٠٥) يشير متى الرهاوى الى العنف البيزنطى الذي مارسه البيزنطيون لضم آنى بالقوة بقولة « انقضت (بيزنطة) على ارمينية بلا رحمة او هوادة وقتلت العديد وحولت بعضهم الآخر إلى أسرى ، ونشرت الموت في كل مكان » .

Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 72; Nansen, Arm. pro. Ori. p. 293; Chirikdjian, Eglise, p. 48; Grousset, Levant, p. 157.

ويروى متى الرهاوى أن الامبراطور البيزنطى مونوماخوس عندما أخفق فى الاستيلاء على آنى بالقوة اتفق مع أميردوين العربي أبو الأسود أن يهاجم آنى من ناحيته ، بينما هو يقوم ويهاجمها في نفسه .

= Matthieu, d'Edesse, Chronique, p. 75.

التي لحقت بالدولة البيزنطية في هذه الفترة بالذات ترجع الى الضعف الذي دب في اوصالها في اواخر عهد الاسرة المقدونية فيما عرف باسم حكم النساء نسبة الى الاختين زوى وأزواجها المتعاقبين وثيودورا .

وأمام الاخفاق البيزنطي المتكرر في مجال المواجهة العسكرية ، نجد أن الامبراطور البيزنطى يلجأ الى استعمال الدبلوماسية ليحقق ما عجز عنه بالقوة العسكرية مع الأرمن ، وذلك بدعوة جاجيك الثاني الى العاصمة البيزنطية ، ولكن هذا الأخير يوافق على الذهاب الى القسطنطينية بعد تردد كبير وتحذير متكرر من جانب خلصائه(١٠٦) . ولكن المقدر لا بد أن يكون ، فما أن وصل هذا الملك البائس الى عاصمة الامبراطورية البيزنطية ، حتى وجد نفسه مرغما على اختيارين لا ثالث لهما وهما : اما التنازل عن مملكته لبيزنطة في مقابل منحة اقاليم بيزنطية بدلا منها ، وأما النفي في جزيرة مغمورة في البسفور ، ولكن الملك الأرميني اختار النفي على الرغم مما فيه من مهانة وذلة(١٠٧) .

هذا ويلاحظ ان الأمراء الأرمن انقسموا في الفترة التي كان فيها الملك جاجيك الثاني في العاصمة البيزنطية الى قسمين : قسم يؤيد ضم بيزنطية لبلادهم وآخر يعارض ذلك الضم بشدة . ولكن في النهاية انتصر الحزب المؤيد للضم ، وعلى

= ويبد أن هذا الاتفاق لم ينفذ ، لأن المؤرخ نفسه يشير الى أن الامبراطور مونوماخوس قام على الرغم من الاتفاق بينه وبين ابي الاسود بمهاجمة دوين ، ولكن أبو الأسود استطاع هزيمته وصده عن مدينته . انظر :

Matthieu, d'Edesse, Chronique, p. 80 n. I, Tournebize, Religieuse, p. 127.

أما عن أمير دوين أبي الأسود ، فهو ينتمي الى أسرة بنى شداد ، وهذه الأسرة من قبيلة رواديس Rewadis الكردية انظر :

Arist de Last. (Canard), p. 69 n. I.

(١٠٦) حول الذي أوحى بخدعة جذب الملك جاجيك الثاني الى العاصمة البيزنطية ثم ارغامه هناك على التنازل عن مملكته الأمير الأرميني فست سركيس ، انظر :

Matthieu, d'Edesse, Chronique, p. 76; St. Nerses, Elégie, p. 236; Grousset, Levant, p. 157; Tourne- bize, Religieuse, p. 128.

(١٠٧) ويشير بسللوس ، Chronographia p 190 الى ان جاجيك الثاني قد أرغم على التنازل ، وعلى الاعتراف بالهيمنة البيزنطية عليه . ولكن من الثابت أنه لم يتنازل مباشرة عن مملكته بل أصر في البداية على الرفض مما دعا الامبراط مونوماخوس الى سجنه في العاصمة بعض الوقت ، انظر :

Arist de Last. (Canard), p. 68; Tschamischean, Arménie, II, p. 932; Grousset, Levant, p. 157, Issaverdens, Hist. Arménie, p. 275.

رأسه فست سركيس[١٠٨] ، وارسل خطابا الى الامبراطور البيزنطى يدعوه الى استلام المدينة ، طبقا لما جاء في وثيقة التنازل سابقة الذكر . وتأكيدا لموقفهم هذا أرسلوا مفاتيح المدينة مع حامل ذلك الخطاب ، وقد تم بعد ذلك تسليم آنى والأقاليم التابعة لها بالفعل سنة ١٠٤٥ م / ٤٣٧ هـ[١٠٩] .

بعد ذلك استدعى الامبراطور قسطنطين مونوماخوس الملك الأرمني جاجيك الثاني وأطلعه على ما تم ، وأراه مفاتيح عاصمته ، وخطاب التنازل عنها اليه عندئذ وجد الملك الأرمني نفسه وحيدا بعد أن خانه أتباعه وسلموا مدينته الى البيزنطيين - وعرف انه راح ضحية خيانة ، فتنهد وانذرفت الدموع من عينيه ، وصاح : «فليكن الله قاضيا بيني وبين الذين خدعوني»[١١٠] لذا لم يجد مفرا من التنازل عن آني وتوابعها الى الامبراطور البيزنطى ، وفي مقابل ذلك - منحه الامبراطور البيزنطى بعض الأماكن التي اختارها ، وهى ليست ذات قيمة بمقارنتها بآنى وبقية الأقاليم[١١١] . ولم يسمح له بالعودة مرة ثانية الى آنى[١١٢] . وتقع هذه

---

(١٠٨) أيد فست سركيس الجاثيليق بير الأول أو بدروس أو بطروس ، وكان هذا جاثيليق أرمينية في ذلك الوقت وهو الذي سلم مفاتيح مدينة آنى الى الحاكم البيزنطى في ثيم فاسبوراكانيا ليسلمها بدوره الى مونوماخوس ، وفي مقابل خيانته هذه اعطاه الامبراطور البيزنطي مبالغ ضخمة من الأموال .
Arist de Last (Canard) p . 69 . ويروى ارستاكيس ان الامبراطور البيزنطي استدعاه الى القسطنطينية ومنعه من مغادرتها وذلك خوفا من أن ينتزع آنى منه .
وانظر : Arist de Last. (Canard), pp. 86-88, n. 2.
Tschamischian, Arménie, II, p. LVi; Guirogs, Extr. Hist., Arm. p. 414 n. 2.

(١٠٩) Arist. de Last (Canard), p. 69; Cedreuns, Historiarum II, p. 559; Issaverdens, Hist. Arménie, p. 275; Grousset, Levant, p. 157.

(١١٠) Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 77-78; Sempad Royaume, p. 64; Grousset, Levant, pp. 157-158; Tournebize, Religieuse, p. 128.

(١١١) Arist. de Last (Canard), pp. 69-70;
هذا ، ويذكر سدرينوس انه اسبغ عليه لقب ماتير Maitre ويعني رئيس الجنود ، انظر .
Cedrenus, Historiarum, II, p. 559; Vahram d'Edesse, RHC, Doc. Arm., p. 496.

(١١٢) Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 78.
ويذكر متى الرهاوى ان الامبراطور البيزنطى منح الملك الأرمني عوضا عن آنى مدن جالون بجهاد Calonbeghad وبيزو وهذه تقع في قبدوقيه , Matthieu d , Edesse , **Chronique** , p . 78 انظر للمزيد عن تنازل جاجيك الثاني للامبراطور مونوخوس عن آنى .
St. Nersés de Lampron, RHC. Doc. Arm., p. 576, n. 2; Cont. Thom. Ardz., p. 248; Hethoum, Historiarum, p. 471, Dedeyen, Cappadoce, pp. 67-68; Grousset, Levant, p. 157.

الأقاليم البيزنطية في آسيا الصغرى ضمن اراضي ثيمات قبدوقية وخرشنه ، وهكذا أصبحت كل بلاد الأرمن باستثناء قارص ، وسيوف وليكاندوس . ولورى . Lori ضمن ممتلكات الامبراطورية البيزنطية[١١٣] .

وثمة سؤال يفرض نفسه في هذا المجال : لماذا أقدم أمراء الأرمن على تسليم مملكة آنى للامبراطور البيزنطي ، في الوقت الذي رفض فيه ملكهم ذلك ؟ ربما كانت الاجابة هي تهديد الخطر السلجوقي الذي أخذ يزداد يوما بعد الآخر[١١٤] ، ووجد الأمراء الأرمن أنهم أصبحوا يواجهون عدوين في آن واحد وهما : البيزنطيين الذين يحاولون باستماتة ضم أراضيهم الى امبراطوريتهم ، والسلاجقة الأتراك الذين أصبحت اغاراتهم تأخذ شكلا خطيراً لم تكن عليه منذ أن بدأوا يغيرون على الأراضي الأرمينية . هذا الى جانب أنهم في أثناء غزواتهم هذه كانوا يحطمون الأخضر واليابس ، ويستولون على ثروات بلادهم ومواردها ، وكان هذا هو الدافع الذي جعل الملك سنحاريب ملك فاسبورا كان يتنازل عن بلاده الى باسيل الثاني مقابل أقاليم بيزنطية أكثر أمنا وأيسر عيشا[١١٥] .

---

(١١٣) وضع الامبراطور البيزنطي مونوماخوس بارغامه جاجيك الثاني على التنازل عن مملكته له نهاية للأسرة الملكية البقراطية في آنى ، وقد توالى على حكم هذه الأسرة الملكية عشرة ملوك حكموا فترة تصل الى ١٦٠ سنة ومع ذلك ظلت فروع لهذه الأسرة تحكم في أيبريا وفي مناطق اخرى .
Psellus, Chronographia, p. 190; Mkhithar, Chronolog. p. 91.
ويرى بروسية في مجموعة تواريخ الأرمن انه بوفاة الملك الأرميني جاجيك الثاني انتهى امر ملوك الأسرة البقراطية الملكية، واستمرت السيادة البيزنطية على ارمينية بعد ذلك حتى سقوط مدينة آنى في يد الأتراك السلاجقة .
أما عن مملكتي قارص وسيوف ، فقد تنازل ملك قارص جاجيك بن عباس بن أشوط الرابع عن مملكته لبيزنطة ١٠٦٤ م ٤٥٧ هـ ولكنها ما لبثت أن وقعت في قبضة السلاجقة بعد قليل ، وأما مملكتي سيوني ولورا LORI فقد تقبلتا سيادة السلاجقة عليها ، ودخلتا تحت نفوذهم واستمرتا كذلك حتى ١٠٩٠ ك ٤٨٢ هـ وثم انقرضتا تماما عام ١١٦٦ م / ٥٦٢ هـ بعد تحول ممتلكاتها الى امارات صغيرة انظر :
Toumanoff, Arm. Geor, p. 620; Grousset, Levant, p. 162.

(١١٤) ويعبر ارستاكيس عن خطر السلاجقة بقوله « لقد انصب غضب الله على بلادنا فخرجت جيوش هائلة من تركستان . . انقضوا كذئاب مفترسة يدفعها الجوع للافتراس . . وقلبوا رأسا على عقب ٢٤ اقليما بالحديد والنار ، وأخضعوا أهلها للعبودية والأسر . . . »
Arist de Last. (Canard), p. 72.

(١١٥) انظر عن تنازل هذا الملك عن مملكته لبيزنطة :
Cont. Thom. Ardz, p. 248, Arist de Last. (Canard), p. 19; Grousset, Levant, pp. 153-154; Toumanoff, Arm. Geor. p. 619.

وهناك سؤال آخر ، وهو : لماذا أصرت بيزنطة في عهد قسطنطين التاسع على ضم مملكة آني ، خاصة وأن الخطر السلجوقي قد بدأت بوادره في الظهور وأخذ يهدد بالاضافة الى أرمينية الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى ؟ لا شك أن الادارة البيزنطية قد أساءت تقدير حجم هذا الخطر ، على الرغم من وضوحه في العقد الرابع من القرن الحادي عشر الميلادي (العقد الرابع من القرن الخامس الهجري) . هذا بجانب الاغراء الذي لا يقاوم لضم أرمينية ، وما تتمتع به من ثروات وامكانات تجارية كبيرة ، حيث تمر عبر أراضيها طرق تجارية هامة تربط الشرق بالغرب[116] .

ومهما كان الأمر ، فقد فقدت أسرة بقراط عرشها ، كما سبق أن فقدته أسرة أردزروني قبلها بعشرين عاما . وسرعان ما توالى ضم مملكتي قارص وسيوني الى الكيان الامبراطوري مع المدن والأقاليم التي ضمتها بيزنطة في أعالي الفرات عام ١٠٥٢ م/ ٤٤٤هـ . ويستحق رد الفعل الأرميني لسياسة الضم البيزنطية التي بدأت مع ، وفي أعقاب سياسة التوسع شرقا ، وبالتحديد في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي (النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) وقفة قصيرة . ويمكن أن نجمله في ضوء العناصر الآتية :

أولا : على الرغم من أن أرمينية فقدت كيانها السياسي المستقل ، إلا أنها لم تفقد هويتها ، أو شخصيتها الأرمينية ، فلم يستتبع ضياع استقلالها السياسي تبعية كنيستها الى الكنيسة البيزنطية ، على الرغم من المحاولات التي بذلها رجال الدين البيزنطيين وأحيانا بعض الأباطرة في هذا الشأن[117] ، واذا كانت مملكة آني ، والامارات الأرمينية الأخرى قد فقدت دورها الحاجز بفقدانها لاستقلالها السياسي ،

(١١٦) عن أهمية هذه الطرق التجارية ، انظر :
Hayton, Estoires, p. 128; Manadian, Trade, p. 145; Canard, Arm. Califate, p. 401; Lang, Gradle, pp. 38-39.

(١١٧) ويشير متى الرهاوي الى محاولات رجال الدين البيزنطيين في هذا المجال بقوله « نصبوا (رجال الدين البيزنطيين) جهودهم على ابعاد الأرمن عن معتقداتهم السليمة » Matthieu d'Edesse, Chronique,p. 113. كما يشير الى محاولات بيزنطية لتذويب شخصية الأرمن ، حيث وجهوا اهتمامهم الى افساد الشباب الأرميني الناشيء بقوله « حولوا الشبان الى خصيان ، وبدلا من اعطائهم تروس الحرب اعطوهم ملابس ذات ثنيات واسعة ترفرف ، وبدلا من الخوذات الفولاذية غطوا رؤوسهم بأغطية رأس من الأقمشة المزركشة ، وبذلك أصبحوا كالنساء بتصرفاتهم وطباعهم » .
Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 114.

فيجب ألا ننسى أن أرمينية ، فقدت دورها هذا منذ سنوات طويلة مضت قبل أن تفقد استقلالها وضمها إلى الكيان الإمبراطوري[118] ، ومنذ أن بدأت الجيوش البيزنطية تعبر أراضيها لتبسط نفوذ الامبراطورية على الثغور الاسلامية في اقليم الجزيرة وشمال الشام .

ثانيا : ان الأقاليم الأرمينية التي تم ضمها الى الكيان الامبراطوري خصصت للادارة البيزنطية . وقامت هذه الادارة بتغيير موظفين متعسفين لادارة تلك الأقاليم ، كما وضعت جندا مرتزقة في القلاع الواقعة على الحدود لحمايتها[119] . هذا ، بالاضافة الى تعيين أساقفة متغطرسين ينتمون الى الكنيسة البيزنطية ، كثيراً ما أرغموا الأرمن على اتباع مذهبهم ، بل ووصل بهم الأمر الى تخريب الكنائس الأرمينية في تلك الأقاليم[120] ، وكانت هذه الكنائس بالنسبة للأرمن هي الرمز الذي يمثل ذاتهم القومي ، الأمر الذي أدى الى تزايد الشعور بالنفور والكراهية في نفوس الأرمن[121] ، ولقد عبر متى الرهاوي عن وجهة النظر الارمينية بهذا الخصوص وبصدق ، حين اتهم البيزنطين بأنهم سلموا أرمينية الى الاتراك السلاجقة[122] ، كما اتهمهم بأنهم قاموا بعزل أمراء الأرمن وملوكهم ، وأهملوا في الدفاع

(١١٨) ويشير متى الرهاوي الى اهمية أن تظل أرمينية قوية مستقلة لتقوم بحماية نفسها والامبراطورية البيزنطية عند الخطر :
Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 113.
وترى الدكتورة نرسيسيان أن ضم الامبراطورية البيزنطية لأرمينية سهل للأتراك السلاجقة الاستيلاء على آسيا الصغرى بعد ذلك وتهديد العاصمة البيزنطية .
Nersessian, Études, p. 307.
وانظر عبد الغني عبد العاطي : **الامبراطور اسحق كومنين** ، ص ٢١ .

(١١٩) وفي هذا المعنى يشير متى الرهاوي الى أن البيزنطيين تركوا أرمينية « بلا زعيم وبلا دفاع وذلك لأنهم (الروم) كانوا قد أخذوا منها : كل المقاتلين الشجعان ، ولم يرسلوا مكانهم الا الخصيان »
Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 83, 113; Charanis, Arm. Byz. Emp., p. 51; Morgan, Peuple, p. 154.

(١٢٠) ويذكر أسوليك أن القساوسة الأرمن تعرضوا لأبشع ألوان التعذيب على يد رجال الدين البيزنطيين في مقاطعة سيواس.Sebaste التابعة لمذهب كنيسة القسطنطينية .
Asolik, Univ. (Macler), 74; Laurent, Origines, 48.
وعن تعيين أساقفة بيزنطيين في الأراضي الأرمينية ، انظر :
Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 113-115; Laurent, Origines, 48; Nersessian, Arm. Byz. pp. 10-11; Issaverdens, Hist. Armenie, p. 279.

(١٢١) عن شعور الكراهية والنفور بين الأرمن والبيزنطيين انظر :
Mkhithar, Chronolog. p. 53; Dardel, Chron. Arm. Ch. 5, p. 5; Samuel d'Ani. p. 25; Brosset, Siounie, p. 20; St. Martin, Mémories I, p. 254.

(١٢٢) Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 112-113.

عن أرمينية بأن أرسلوا الخصيان والجبناء ليقوموا بهذه المهمة التي تتطلب رجالا شجعانا مدربين ، » وكانت النتيجة أن مصائب أخرى انهالت علينا (الأرمن) من الفرس يقصد (الأتراك) «[١٢٣] .

ولم تكن مشاعر الفتور بين البيزنطيين والأرمن ، وكراهية الأرمن على وجه الخصوص للبيزنطيين بالجديدة ، ولكنها تزايدت في القرن الحادي عشر من الميلاد (القرن الخامس من الهجرة) ، وبلغت مداها بعد ضم العاصمة البقراطية آني الى كيان الامبراطورية البيزنطية[١٢٤] . ولكن الحقيقة التي سوف تظل باقية هي ان هذه الكراهية كانت متبادلة بين الطرفين ، فقد كن البيزنطيون بدورهم الشعور نفسه بالبغض والكراهية تجاه الأرمن .

ثالثا : حين تم ضم ارمينية في الفترة الممتدة من سنة **٩٦٨** وحتى سنة **١٠٤٥** م (الفترة الممتدة من **٣٥٨** وحتى **٤٣٧** هـ) ، تمثل رد الفعل الأرميني ايضا في شكل هجرات ارمينية في اتجاه الغرب . سعيا وراء المزيد من الحظ ، وبحثا عن الأمن والأمان والاستقرار بعيدا عن منطقة بدأت تتعرض لاخطار خارجية عديدة[١٢٥] . وهكذا بدأت حركة اللاجئين والمهجرين الأرمن الى قليقية وقبدوقيه[١٢٦] ، كما واصل بعضهم رحلته الى سيواس وطرابيزون ، وأكمل بعضهم الآخر طريقه عبر نهر الدانوب الى المجر بعد ذلك بوقت طويل[١٢٧] . وهذا لا يعني

---

(١٢٣) ولعل في كلمات متى الرهاوي الآتية أصدق تعبير عما يجيش في صدور الأرمن من شعور الكراهية نحو البيزنطيين ، » في لحظة ما فقدت مملكتنا حكامها الشرعيين ، وجيء بدلا منهم بمدافعين خونة من قبل أمة الروم الدنيئة الخسيسة ، التي شتّت أشجع أبناء أرمينية ، بعد أن استولت على أوطانهم وأملاكهم ، فقد حطموا امتنا ، وحطموا ذلك الحائط الأمامي الذي كان يشكله جنودنا الشجعان البواسل ، هؤلاء الروم الذين لم يستريحوا الا بعد أن قلبوا أسوار أرمينية ، وحطموا صدور أبنائها الأبطال « .

Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 113.

(١٢٤) Arist. de Last. (Canard), p. 69; Cedrenus, Historiarum, II, p. 559; Grousset, l'Arménie, p. 157; Nansen, Arm. pro. Ori., p. 289.

(١٢٥) Arist. de Last. (Canard), pp. 58-59; Matthieu d'Edesse, Chronique, p. V; Charanis, Arm. Greeks, p. 51; Diehl, Byzance p. 76; Nersessian, Arm. Byz. 44.

(١٢٦) اصبح عدد الأرمن المهاجرين الى هذه الأقاليم كبيرا لدرجة جعلت الادارة البيزنطية توافق على تنصيب اسقف خاص لهم . انظر :

Nersessian, Arm. Byz. 44; Charanis, Arm. Greeks, pp. 51-52.

(١٢٧) Laurent, Origines, pp. 45-46; Charanis, Arm. Greeks, p. 52.

ان معظم الأرمن هاجروا وتركوا ديارهم التي نشأوا فيها ، بل بقى قسم كبير منهم متشبثا بأرضه على الرغم من معاناتهم من ظلم البيزنطيين وتعسفهم ، ومن بعدهم الاتراك السلاجقة[١٢٨] .

والجدير بالذكر ، ان الادارة البيزنطية فتحت باب الهجرة الجماعية للأمراء الأرمن ورعاياهم ، سواء باختيارهم او بارغامهم على مغادرة ممتلكاتهم في ارمينية الى الأراضي الجديدة التي منحتها لهم داخل اقاليم الامبراطورية[١٢٩] ، مما ولد الشعور بالعداء بين السكان البيزنطيين الذين كانوا يقيمون اصلا في تلك الاقاليم ، وبين الوافدين من الأرمن ، وذلك نتيجة للاختلاف المذهبي بين العنصرين[١٣٠] . وقد بلغت كراهية الأرمن للبيزنطيين حدا جعلهم يرحبون بالسلاجقة الاتراك ويساعدونهم في حروبهم ضد القوات البيزنطية . وكان من نتيجة وقوف الارمن بجانب الأتراك اثره الكبير في نجاح السلاجقة ، واخفاق البيزنطيين في مواجهتهم[١٣١] ، وان كانت نتيجة الصراع بين الطرفين هي ضياع استقلال ارمينية بالكامل .

والحقيقة ان ضم ارمينية لم يلبث ان اصبح عبئا ثقيلا على كاهل الامبراطورية البيزنطية ، لان المسألة ليست ضم ارض وانما الدفاع عن هذه الارض وسط اعداء من مختلف الاتجاهات وبخاصة السلاجقة ، ثم حكم هذه الارض التي اعتاد زعماؤها ورؤساء بيوتها حياة الاستقلال وانفوا الخضوع لسلطة مركزية .

على اية حال لقد رأينا كيف قامت الامبراطورية البيزنطية في مطلع القرن العاشر الميلادي (مطلع القرن الرابع الهجري) ، وقد جددت شبابها ، وانتهزت ضعف الخلافة العباسية فقامت بالتوسع شرقا وغربا ، وبلغ عصر التوسع هذا ذروته في العقد الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي (العقد الثاني من القرن الخامس الهجري) ، حين امتدت حدود الدولة البيزنطية في اتجاه الشمال الشرقي على

---

(١٢٨) Grousset, Levant, p. 163; Tournebize, Religieuse, p. 128.

(١٢٩) Arist. de Last. (Canard), p. 64; Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 9; Charanis, Arm. Greeks, pp. 51-52.

(١٣٠) Charanis, Arm. Greeks, pp. 51-52. Nersessian, Études., p. 327; Grousset, Levant, p. 155;

(١٣١) Grousset, Levant, pp. 163-165; Vryionis Social Decline, p. 91; Dedeyan, Cappadoce, p. 87.

حساب جيورجيا وارمينية ، وفي جهة البلقان حين ضمت مملكة البلغار[١٣٢] . كما تركها امبراطورها القوي باسيل الثاني سنة ١٠٢٥ م / ٤١٦ هـ بوفاته ، قوية غنية مرهوبة الجانب[١٣٣] . ولكن ، وبعد اقل من ثلاثة عقود ، اصبح على هذه الامبراطورية ان تتصدى لخطر اسلامي جديد ، حيث استعاد الاسلام مجده حين رفع راياته عنصر تركي يتمثل في الاتراك السلاجقة . وهؤلاء فرع من قبيلة الغز التركية ، وينتسبون الى سلجوق بن دقاق ، وقد اعتنقوا الاسلام على مذهب اهل السنة . وبعد حروب طويلة مع الغزنويين استطاعوا الاستيلاء على عاصمتهم نيسابور بقيادة زعيمهم طغرلبك في رمضان ٤٢٩ هـ / يونيو ١٠٣٧ واشتدت منعتهم وقويت شوكتهم ، واستولوا على خراسان ، وتجاوزوها الى العراق[١٣٤] ، وطبقت شهرة القائد السلجوقي طغرلبك الآفاق بدخوله بغداد سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ، والخطبة له على منابرها بعد الخليفة العباسي ، واصبح طغرلبك السلطان السلجوقي سيدا على ايران ومهيمنا على الخلافة العباسية[١٣٥] .

على اية حال ، لم يكن في نية السلاجقة في بداية توسعهم مهاجمة الامبراطورية البيزنطية ، وكان اقصى ما يطمعون فيه هو اثبات قوتهم وتأكيد ما ينشدونه من زعامة على العالم الاسلامي عن طريق الجهاد الديني . ولقد تحقق لهم هذا جزئيا بسيطرتهم

(١٣٢)
Runciman, Bulgarian , p. 240 ff; Obolensky, Commonwealth, p. 178; Browning, Balgaria, p. 75; Grousset, l'Arménie pp. 553-556; Blondal, Varangians, p. 49.

(١٣٣) وصلت حدود الامبراطورية البيزنطية الى اقصى اتساع لها في عهد الاسرة المقدونية بصفة عامة وفي عهد الامبراطور باسيل الثاني بصفة خاصة ، حيث امتدت حدودها شمالا ، ليضم جزءا كبيرا من الاراضي القوقازية ، وارمينية ، ووصلت جيوشها في الجنوب الى تخوم بيت المقدس ، واخضعت لسلطانها في الغرب المملكة البلغارية التي اصبحت ولاية بيزنطية . كما حطمت سطوة كبار الملاك في آسيا الصغرى ، وبذلك اصبحت مرهوبة الجانب عند كل جيرانها . انظر : رأفت عبدالحميد : **بسللوس** ، ص ١٥١ ، وسام عبدالعزيز : **دراسات** ، ص ٣٠٢ - ٣٢٨ .

(١٣٤) الأصفهاني : **تاريخ آل سلجوق** ، ص ١٠ .

(١٣٥) عن السلاجقة انظر : ص ٢١٧ هامش ٨٤ ، وانظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢١ - ٢٦ ، ٣٠ ، وما بعدها ، الاصفهاني : تاريخ آل سلجوق ، ٧ - ١١ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٣ ، ص ٤٥٠ - ٤٥٣ وانظر :
Michel le Syrien, p. 320; Mkhithar d'Ani Setjugs, pp. 337-344; Cahen, Campagne pp. 17-20; Cahen, Qutlumush, pp. 19-27; Cahen, Iran, pp. 1-7.

على الخلافة العباسية بعد نجاح طغرلبك في دخول بغداد[١٣٦] . ولكن ظهور الخطر السلجوقي ادى الى متغيرات هامة في العلاقات الدولية في منطقة الشرق الادنى بصفة عامة[١٣٧] . فقد تأكد البيزنطيون من حجم خطرهم على مصالحهم في ارمينية ، بعد ان ضمت ارمينية بالكامل اليهم [١٣٨] ، وان كانت مقدمات هذا الخطر والتي تمثلت باغارات جماعات التركمان قد بدأت بالفعل قبل ذلك بقليل[١٣٩] . وكان ظهور هذا الخطر السلجوقي في منتصف القرن الحادي عشر (منتصف القرن الخامس الهجري) سببا في قلق وازعاج ليس للامبراطورية البيزنطية فقط بل للخلافة الفاطمية في مصر ايضا ، حيث هدد السلاجقة ممتلكات الفاطميين في الشام ، عندما تطلعوا لضم هذه الممتلكات اليهم منذ عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م[١٤٠] . وكان طبيعيا ان يستغل السلاجقة فرصة الضعف الذي وصل اليه الشرق الادنى الاسلامي

(١٣٦) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٧٠ - ٧١ ، ابن الجوزي : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ١٧٩ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٣ ، ص ١٤٥٩ .

(١٣٧) لقد جاء في مؤلف « اعمال روبرت » ان هجوم الأتراك السلاجقة على الأراضي البيزنطية احدث رعبا وهلعا شديدين بين السكان والرعايا البيزنطيين ، حيث استولوا على المدن واخضعوها لنفوذهم ، وارغموا سكانها على دفع الضرائب لهم .
Gesta Roberti, pp. 90-91.

(١٣٨) وذلك لأن وجود الأرمن في ممتلكاتهم وارضهم التي توارثوها جيلا بعد جيل يجعلهم يستميتون في الدفاع عنها ضد اي خطر خارجي . لهذا عندما غزا السلاجقة تلك الأقاليم ، لم يكن هناك من يدافع عنها الحماسة نفسها والروح التي كان اهلها من الارمن يقاتلون بها . انظر :
Charanis, Arm. Greeks, pp. 51-52; Nersessian, Etudes., p. 327.

(١٣٩) وذلك عندما هاجمت جماعات من الأتراك الغز مملكة فاسبوراكان الاردزرونية سنة ١٠٢١ م / ٤١٢ هـ ، مما دفع بملكها سنحاريب الى التنازل عن مملكته الى الامبراطور البيزنطي باسيل الثاني . انظر : **ص ٢٠٥ هامش ٨٤ ، وص ٢٠٧ ، هامش ٨٩ من الكتاب** .

(١٤٠) حيث توغل احد القادة الأتراك ، واسمه صندق ، مع فرقته في شمال الشام ، وقام بالاغارة على حلب وحماة وحمص ورفانية . واغارته هذه تعدّ اول هجوم قام به الأتراك على الشام . وكان السلطان الب ارسلان يعد حملة ضد الفاطميين في هذا الوقت وكان من نتيجة نشاط السلاجقة في شمال الشام ان انحاز محمود بن نصر امير حلب الى حماية السلاجقة تاركا الدعوة والانتماء للفاطميين ، حيث دعا للخليفة العباسي على منابر حلب ومن بعده السلطان الب ارسلان . الا ان امير حلب لم يدخل في فلك نفوذ السلاجقة تماما الا في سنة ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م انظر ابن الاثير : **الكامل** ، جـ ٨ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، ابن خلدون : **العبر** ، جـ ٣ ، ص ٤٧٠ ، السيوطي : **تاريخ الخلفاء** ، ص ٤٢٤ ، وايضا : محمد سرور : **سياسة الفاطميين الخارجية** ، ص ٢٠٨ ، ابراهيم العدوي : **الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم** ، ص ١٢٨ ، الباز العريني : **الدولة البيزنطية** ، ص ٨٥٢ .

آنذاك . فقد بلغت الانقسامات والاختلافات السياسية والمذهبية مداها في الخلافة الفاطمية في مصر والشام والخلافة العباسية في بغداد .

وأيا كان الأمر ، فقد تأكدت بيزنطة ، أنها مقبلة على مواجهة عدو فتي لا يستهان بأمره . فمنذ عام ١٠٤٨ م/٤٤٠ هـ كان على حاكم آني البيزنطي واستراتيجوس فاسبوراكانيا أن يقوما بدفع خطر هؤلاء السلاجقة والتصدى لهم [١٤١] وفي عام ١٠٤٨ م/٤٤٠ هـ قامت قوات من الأتراك السلاجقة بقيادة ابراهيم ينال بتخريب ثيم فاسبوراكانيا ونهبه[١٤٢] ، واقليم باسيان ، كما هاجموا مدينة أرزن الروم[١٤٣] . كذلك توغلت هذه القوات شمالا وغربا حتى وصلت إلى الجزء الغربي من أيبيريا ، وواصلت زحفها حتى اقليم طارون ، كما استولت أيضا على مدينة آرزن وهي غير آرزن الروم[١٤٤] . وفي عام ١٠٤٩ م/٤٤١ هـ حقق السلاجقة نصرا كبيرا على البيزنطيين في اقليم باسيان[١٤٥] . هذا ، وقد أدى التهديد السلجوقي إلى تقارب وجهات النظر بين الإمارات القوقازية ، والامبراطورية البيزنطية على ضرورة التصدى للسلاجقة ، وايقافهم عند حدهم . وبالفعل استعانت بيزنطة بالأمير الجيورجي ليباريد الثالث Libarid III ، وكان ذا نفوذ واسع في بلاده ، ويملك امكانات كبيرة من الأموال والعتاد حيث بسط نفوذه على نصف بلاد جيورجيا جنوب

(١٤١) Arist. de Last. (Canard), pp. 73-78; Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 83; Cahen, Qutlumush, pp. 14-27; Grousset, l'Arménie, p. 159.

(١٤٢) Arist. de Last. (Canard), p. 73; Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 83-84; Cahen, Qutlumush, p. 18; Grousset, Levant, p. 159.

(١٤٣) Arist. de Last. (Canard), pp. 79-83; Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 83-84.
وجدير بالذكر أن أرستاكيس كان شاهد عيان لهجوم السلاجقة على آرزن وذلك لقوله « من يستطيع ان يصف الالام والمآسى التي عانت منها مدينتنا فقد انقضت جموع غفيرة من الاعداء على آرزن كالكلاب الجائعة (وهذا حسب تعبيره) ونشروا القتل في كل أرجائها » . Arist. de Last. (Canard), p. 82.
ومدينة آرزن تقع في اقليم رشتونيك ، ويقول ياقوت « انها مدينة مشهورة تقع بالقرب من خلاط » معجم ج ١ ، ص ١٥٠ - ١٥١ .
ويذكر سيدرينوس « أنها كانت قضبة هائلة تحتوى على جمع غفير من السكان وثرواتها هائلة » .
Cedrenus, Historiarum, II, p. 577.

(١٤٤) Arist. de Last. (Canard), pp. 83-85; Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 87-89; Grousset, Levant, p. 160; Cahen, Qutlumush, p. 18.
انظر عن اقليم باسيان : Honigmann, Ostgrenze, p. 180, Grousset, Levant, p. 160.

(١٤٥) Arist de Last. (Canard, pp. 83-85; Cahen, Qutlumush, p. 19.

نهر الكور[١٤٦] . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، أدى ظهور هذا الخطر إلى تبادل السفارات أيضا بين بيزنطة والخلافة الفاطمية في مصر للعمل معا على صده[١٤٧] . ولم تكتف الامبراطورية البيزنطية بهذا ، بل حاولت اجراء مفاوضات منفردة مع السلاجقة الأتراك فيما بين عامي ١٠٤٨ و١٠٤٩ م (ما بين عامي ٤٤٠ و٤٤١ هـ) . وذلك عندما قام الامبراطور مونوماخوس بالتفاوض مع الزعيم السلجوقى طغرلبك[١٤٨] .

على أية حال ، لم تؤد تلك الجهود الدبلوماسية التي بذلها البيزنطيون لوقف خطر الأتراك السلاجقة الذين أخذوا يتدفقون بأعداد ضخمة على الأقاليم الأرمينية التي أصبحت تحت النفوذ البيزنطي إلى أى نتيجة . وصحب تدفق السلاجقة هذا عمليات تخريب ونهب واسعة النطاق قاموا بها عام ١٠٥٠ م/٤٤٢ هـ ، عندما

(١٤٦) الأمير ليباريد من أسرة أوربليان الشهيرة ، وكان ليباريد حفيد الأمير راد Rad الذي توفي في معركة ضد باسيل الثاني عام ١٠٢١ هـ ، وليباريد كان من أقوى الأمراء الجيورجيين نفوذا في جنوب نهر الكوربل وكان سيدا على نصف جيورجيا . انظر :
Arist. de Last. (Canard), p. 84, n. 1, Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 87; Grousset, Levant, p. 160.
هذا ، ومما دفع بيزنطة إلى البحث عن حليف قوى يساندها في صد الخطر السلجوقى ، ظروفها الداخلية المضطربة ، حيث كان الامبراطور مونوماخوس في هذا الوقت يواجه ثورة ضده قام بها القائد تورينكوس Leo Toronikios ، كما قامت بيزنطة بسحب قواتها التي وضعتها في هذه الأقاليم لحمايتها ، وذلك لسحق ثورة تورنيكوس ، مما اضعف هذه الجبهة وسهل على السلاجقة مهمة الهجوم عليها . انظر :
Psellus Chronographia, p. 155, Glycase, Annales, pp. 596-597; Hussey, Latter Macedonians, p. 303, Cahen, Turkey, p. 14.

(١٤٧) وكانت العلاقات بينهما قد أصبحت ودية لدرجة تبادل الهدايا بينهما ، محمد سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٤٥

(١٤٨) يشير ارستاكيس إلى تحسن العلاقات بين الامبراطور البيزنطي وطغرلبك ، بأن الاخير أطلق سراح ليباريد « فاستقبله الخليفة أعظم استقبال وأعاده إلى بلاده بسلام » Arist. de Last (canard(, p. 85. ، إلا أن ابن الأثير يشير في هذا الموضوع إلى أن طغرلبك رفض اطلاق سراحه على الرغم من أنه « بذل في نفسه ثلثمائة ألف دينار وهدايا بمائة ألف ، فلم يجبه إلى ذلك » ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٤٨ . وبالطبع كان ارستاكيس أقرب للأحداث ، حيث كتب بعدها بأقل من ٣٠ سنة بينما وضع ابن الاثير كتابه خلال حياته التي عاشها في أواخر القرن الثاني عشر حيث مات عام ٦٣٠ هـ /١٢٣٢ م .
ويستأنس كلودكاهن Ciaude Cahen برأى ارستاكيس .Cahen, Turkey p. 15 ؛ وكذلك جروسيه Grousset, Levant, p. 160 كما استأنس به الدارس .

هاجموا قارص بقيادة قطلمش أحد القادة الأتراك[١٤٩] ، كما أغاروا على بركري ، وأرجيش بقيادة طغرلبك نفسه سنتي ١٠٥٤ - ١٠٥٥ م/ ٤٤٦ - ٤٤٧ هـ[١٥٠] هذا ، وألقوا الحصار على منزكرت سنة ١٠٥٤ م/ ٤٤٠ هـ ، ولكنهم اخفقوا في الاستيلاء عليها[١٥١] ، فواصلوا زحفهم المدمر حتى أيبيريا ، وقاموا بنهب اقليم باسيان Basean وتدميره[١٥٢] . وبعد ذلك هاجم قسم منهم مملكة الملك البقراطي جاجيك بن عباس ملك قارص ، وأوقعوا بجيشه هزيمة شنيعة[١٥٣] ، وقد دفعت انتصارات السلاجقة المتلاحقة هذه أمير دوين المسلم أبا الأسود إلى التحالف معهم ، بل ومشاركتهم في الهجوم على الأراضي الأرمينية في سنتي ١٠٥٥ و١٠٥٦ م/٤٤٧ - ٤٥٠ هـ[١٥٤] . وفي سنة ١٠٥٧ م/٤٤٩ هـ هاجم السلاجقة مدينة ملطية . ولقد وصف متى الرهاوى في مؤلفه مشاهد العنف التي ارتكبها السلاجقة في هذه المدينة[١٥٥] . كما عادوا يهاجمون طارون مرة أخرى في عام ١٠٥٨ م/٤٥٠ هـ[١٥٦] .

---

(١٤٩) Arist. de Last. (Canard), p. 90, Cahen, Qutlumush, p. 18.

(١٥٠) Cont. Thom. Ards., p. 250; Arst. de Last. (Canard), pp. 49-51.
وانظر عن هذه الحملة التي تمت بقيادة طغرلبك : ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٦٧ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٣ ، ص ٤٦٩ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ١ ، ص ٥٣٥ .

(١٥١) Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 60; Michel le Syrien, p. 324; Canard, Deilamites, p. 466.

(١٥٢) Arist. de Last. (Canard), p. 89; Cahen, Turkey , p. 14.

(١٥٣) Arist. de Last. (Canard), p. 89; Grousset, Levant, pp. 160-161.

(١٥٤) Gesta Roberti, p. 90.
ابو الأسور هو امير كردى من بني شداد ، وهؤلاء ينحدرون من قبيلة روادس الكردية ، ولقد استقل بنو شداد عن الخلافة العباسية بآران بين عامي ٩٥١ و١٠٧٦ م/٢٤٠ و٤٦٩ هـ ، كما استولوا على مدينة كنزاك Kantzag ، إلا أن القائد السلجوقى بوزون Bouzon أخذها منهم سنة ١٠٨٨ م/٤٨١ هـ في عهد ملك شاه ، كما أخذ منهم مدينة آنى في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي (أواخر القرن السادس الهجرى) ، انظر :
Arist. de Last. (Canard), p. 103; Brosset, Hist. Georgie, p. 344; Tchamtschian, Armenie, III, p. 13.

(١٥٥) Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 109-110.
ويذكر ميخائيل السريانى أن السلاجقة احرقوا المدينة قبل انسحابهم منها . انظر :
Michel le Syrien, p. 320, n. 2; 321, n. 2; Gesta Roberti, p. 90.

(١٥٦) Arist. de Last. (Canard), pp. 119-120; Grousset, l'Armenie, p. 160; Tournebize, Religieuse, p. 130.

ولكن السلاجقة لم يكتفوا بمهاجمة الأقاليم الأرمينية فقط ، بل هاجموا الأقاليم البيزنطية نفسها . ففي سنتي ١٠٥٩ - ١٠٦٧م/ ٤٥١ - ٤٦٠هـ ، اندفع هؤلاء إلى قبدوقية بآسيا الصغرى ونهبوا سيواس[١٥٧] . وكان تولى السلطان ألب أرسلان (١٠٦٧-١٠٧٢م/ ٤٥٥ - ٤٦٥هـ) حكم السلاجقة مؤشرا على زيادة العنف السلجوقي[١٥٨] ، وذلك لقيامه بعد توليه بعام واحد أى في سنة ١٠٦٤م/ ٤٥٧هـ بمهاجمة مدينة آني بجيش جرار . فألقى عليها الحصار ، وعلى الرغم من صمود المدينة طويلا حتى كاد اليأس يتطرق إلى قلب السلطان ألب أرسلان ، إلا أن السلاجقة استطاعوا الاستيلاء عليها عنوة في ١٦ أغسطس ١٠٦٤م/ ١ شوال ٤٥٧هـ[١٥٩] . وبعد ذلك بعام أو أقل ، استولى السلاجقة على قارص ، وتروي الروايات الأرمينية على حسب زعمها أن السلطان السلجوقي دمر كنائس هذه المدينة ، وقصورها وقتل الآلاف من سكانها[١٦٠] .

---

(١٥٧) ويذكر متى الرهاوي أن هذه المدينة كانت لأبني سنحاريب ملك فاسبوراكان الذي تنازل عن مملكته لباسيل الثاني ، وهما : أدوم ، وابوسهل .
Matthieu d'Edesse, Chronique, p. III.
وأنظر :
Brosset, Historiens , p. 449; Gesta, Roberti, p. 90.

(١٥٨) يشير ارستاكيس إلى اشتراك فرق من النورمان مع البيزنطين والأرمن في مقاومة السلاجقة ،
Arist. de Last. (Canard), pp. 95-96.
كما يشير ميخائيل السرياني إلى هجوم الب أرسلان هذا بقوله «توفى السلطان السلجوقي (طغرلبك) وخلفه الب أرسلان الذي زحف بنفسه على أرمينية وأخضعها لسيادته» . Michel le Syrien, pp. 322-323.
ويذكر متي الرهاوي أن ألب أرسلان هاجم البانيا ، وبعد انتصاره على ملكها الأرميني جورج افهوجين Gorgue Anhoghlin تزوج ابنة الملك الألباني «وعقد معه اتفاق سلام ، وصداقة إلى الأبد»
Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 121.

(١٥٩) هناك اختلاف حول تاريخ سقوط هذه المدينة ، فبعض المؤرخين يذكر أنها سقطت في ٦ يونيو عام ١٠٦٠/ ٣ جماد آخر ٤٥٢هـ ومنهم
Tchamtchian, Armenie, 11, p. 942.
وفريق آخر يرى أنها سقطت في ١٦ أغسطس ١٠٦٤م/ ١٠ شوال ٤٥٧هـ ، ومن هؤلاء :
Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 122-126; Cont. Thom. Ardz., p. 249.
وابن الأثير الذي يذكر سنة سقوطها في ٤٥٦هـ (١٠٦٣م) والاحتمال الأصوب هو سقوطها في ١٠٦٤م/ ٤٥٧هـ وذلك لقرب المصادر الأرمينية زمنيا من الأحداث . ولقد ذكر فارتان وهو مؤرخ أرميني ، وأن ألب أرسلان أعطى هذه المدينة لأمير كردي يدعى «فضلون وينتسب لبني شداد .
Vartain, Hist. Univ., p. 435.

(١٦٠) Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 125-126, Grousset, Levant, p. 162.

وبعد أن أتم السلاجقة سيطرتهم على كل أرمينية أخذوا يدعمون مركزهم فيها .

ولقد كان لتلك الكوارث التي حلت بأطراف الامبراطورية البيزنطية[١٦١]، أثر كبير في ازدياد قوة المعارضة في القسطنطينية للأسلوب الذى تدار به الدولة ، وازدياد الحاجة الى قيام حكومة عسكرية . وكانت النتيجة الطبيعية لهذا هو زواج الامبراطورة ايدوسيا Eudocia أرملة قسطنطين دوقاس من القائد رومانوس ديوجين الذي اعتلى العرش البيزنطي وتوج امبراطورا في يناير سنة ١٠٦٨م/ ٤٦١هـ باسم رومانوس الرابع[١٦٢]، وعدّ اعتلاء رومانوس الرابع (١٠٦٨ - ١٠٧١م/٤٦١ - ٤٦٤هـ) العرش البيزنطي انتصارا لطبقة الأرستقراطية العسكرية[١٦٣]، وكان رومانوس قائدا بارعا أثبت وجوده في الحرب ضد البجناك في البلقان[١٦٤]، مما أكسبه شهرة واسعة .

هذا ، وكانت أولى واجبات رومانوس ديوجين هى أن يسرع بوضع حد للموقف المتدهور على الجبهة الشرقية ، وهذا يحتم عليه مواجهة الأتراك السلاجقة ودار اللقاء بينه وبينهم شمال بحيرة فان بالقرب من منزكرت سنة ١٠٧١م/

---

(١٦١) من هذه الكوارث ماحل بثيمات الامبراطورية الشرقية التي أصبحت على جانب كبير من الفوضى والاضطراب لعدم حصول الجند على رواتبهم بانتظام ، مما أدى بهم إلى عدم الخروج لملاقاة السلاجقة والتصدي لهم

Scylitzes, Synopsis, pp. 660-661; Vryonis, Dec. Med. Hell. p. 90.

ونتيجة لذلك تعرضت أقاليم الامبراطورية حول انطاكية لغارات القبائل العربية والسلاجقة .

Ostrogorsky, Hist. Byz. St. p. 304; Jenkins, Byzantium, p. 368.

أنظر : عبد الغني عبد العاطي : الكسيوس كومنين ، ص٣١ - ٣٢ .

(١٦٢) فيما يتعلق بوصول هذا الامبراطور الى الحكم عن طريق زواجه بأرملة مونوماخوس الامبراطورة ايدوسيا انظر : Gesta Roberti,p.9 وأنظر : رأفت عبد الحميد : بسللوس، ص١٧٧ ، عبد الحميد عبد العاطي : اسحق كومنين ص٣٢ ،وعن وصف رومانوس ديوجين وكفاءاته العسكرية التي اهلته لأن يكون الرجل المنقذ للامبراطورية وان لم يستطع ان يفعل لها شيئا لأن السوس كان قد نخر في أساسها ووصل الى الأعماق ، فكان مجيء رومانوس أو غيره من الكفاءات العسكرية الممتازة غير مجد في ظروف الامبراطورية هذه ، أنظر :

Psellus, Chronographia, p. 268; Vryonis, Troubles, p. 390; Rice, Byzantium, p. 89.

(١٦٤) Rice, Byzantium, p. 89.

وانظر : الباز العريني : **الدولة البيزنطية** ص٨٣٢ ، عبد الغني عبد العاطي ، **اسحق كومنين** ، ص٣٢ .

٤٦٤هـ ، وانتهى بهزيمة كبيرة للامبراطورية البيزنطية[١٦٥] .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا ، ماهي الأسباب التى ادت إلى انهيار الامبراطورية البيزنطية ، ذلك الانهيار الكلي والفجائي في النصف الثاني من القرن الحادي عشر (النصف الثاني من القرن الخامس الهجري) الذي تجسد في هزيمة منزكرت ، خاصة وأن هذه الامبراطورية نفسها كانت منذ أقل من ٥٠ عاما امبراطورية قوية مرهوبة الجانب[١٦٦]، فكيف انهارت ، وبهذا الشكل المفاجيء أمام الأتراك السلاجقة في معركة منزكرت ؟ وماهو سر حدوث هذا الانهيار ؟ وما هو سر فقدها وللمرة الأولى حيوتها وقدرتها في التغلب على الأخطار الجسيمة التي تهددها بالفناء ؟ فلقد استطاعت بيزنطة أن تتشبث ببقائها على مر القرون وعلى كثرة ما واجهته من محن وأزمات ، كما استطاعت أن تثبت وجودها في صراعها الطويل مع الفرس ، وأن تكسب في نهاية ذلك الصراع الجولة لصالحها عندما حقق هرقل انتصاره الأسطوري على أمة الفرس في عقر دارهم[١٦٧]، كما صمدت امبراطورية هرقل من بعده ، وعلى مدى ثلاثة قرون أمام محاولات العرب المسلمين الذين فرضوا خلالها ولأكثر من مرة الحصار على عاصمة الامبراطورية[١٦٨]، وتمكنت في النهاية من

---

(١٦٥) ويذكر ميخائيل السرياني أن رومانوس استطاع في البداية أن يطرد ألب أرسلان من منزكرت ويحرر المدينة منه ، وأن ألب أرسلان أرسل له نتيجة لذلك أحد أتباعه ويدعى سواتكين Sautckin يطلب عقد صلح بينهما ، إلا أن رومانوس رفض بعجرفة واستعلاء مما أدى إلى الحرب بينهما ، بين خلاط ومنزكرت ، وكان النصر فيها للسلاجقة ، ويرى أن سبب هزيمة البيزنطيين فيها يرجع إلى الأرمن لأنهم أول من لاذ بالهرب .

Michel le Syrien, p. 323; Scylitzes, Sypnosis, p. 696; Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 168, cf. also. Brosset, Histoires, p. 449; Bryennius, Historiens, pp. 487-491,

وانظر عن معركة منزكرت عموما : Anna Commene. Alexiad, p. 32,

Scylitzes, Sypnosis, 692- 693; 696, 702; Zonaras, Historarium, III, p. 704; Franzius, Byz. Empire, p. 291.

وانظر : ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦٠ - ٢٦٣ ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، جـ٨ ، ص١٠٩ - ١١٠ ؛ الذهبي : **دول الاسلام** ، ص٢٧٢ - ٢٧ ؛ الاصفهاني : **تاريخ آل سلجوق** ص٣٨ ؛ عبد الغني عبد العاطى : **اسحق كومنين** ، ص٣٤ - ٤٧ .

(١٦٦) Psellus, Chronographia, p. 116.

(١٦٧) Sebeos, Hist. Heraclius, pp. 65, 77-84, 86 n. I; Muralt, Chrono, Byz., I, p. 284.

(١٦٨) أنظر : ص ٨٠ من الكتاب .

امتصاص طاقاتهم المتدفقة في أعماق آسيا الصغرى ، وصد حملاتهم العديدة على أطرافها . صمدت بيزنطة لهذا كله في الماضي ، وتعلمت على الرغم من تلك المحن كيف تحافظ على حيويتها وشبابها ، ولكن الموقف في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي (منتصف القرن الخامس الهجري) كان يختلف عن المواقف السابقة التي المت بالامبراطورية والتي استطاعت أن تتكيف معها ولصالحها[١٦٩] .

ويرى الباحث أن الأسباب التي أدت بالامبراطورية الى هذا التدهور الكلي والفجائي يمكن اجمالها في عدة عوامل هي : العامل الأول : الافتقار الى القيادة الرشيدة[١٧٠] ، اذ من المعروف أن بيزنطة عانت بعد وفاة باسيل الثاني سنة ١٠٢٥ م/ ٤١٦ هـ من عدم توفر أباطرة يتمتعون بالكفاءة والمقدرة في الناحية الادارية والعسكرية . فلم تشهد بيزنطة في الفترة التي اشتدت فيها غزوات السلاجقة عليها ، أباطرة يتمتعون بالصفات ، والكفاءات التي توفرت لدى أباطرتها العظام مثل: جستنيان الأول، وهرقل، وباسيل الثاني . فأباطرتها الذين أداروا دفة الأمور فيها في هذه الفترة كانوا مجموعة من الأباطرة الضعاف تنقصهم الصفات التي تمتع بها أسلافهم[١٧١] ، فكانت النتيجة أن الامبراطورية فقدت بسبب سوء ادارتهم الاتجاه الصحيح[١٧٢] .

(١٦٩) يصف بسللوس موقف الامبراطورية البيزنطية في هذا الوقت بقوله «كانت (بيزنطة) مشرفة على الموت ، وان كانت أنفاسها مازالت تتردد ، وترك الداء حتى استفحل واستشرى ولم يشغل الامبراطور نفسه كثيرا بهذه المسألة ، بل أخذ يبحث عن اعادة احياء الامبراطورية بالاغراق في المسرات ، لقد كان يعد جسم الامبراطورية لآلاف الأمراض التي كانت حتما مقضيا أن تفتك بها في سنوات آتية» .

Psellus, Chronographia, pp. 268-269.

وانظر : رأفت عبد الحميد : **بسللوس** ، ص١٥٩ .

(١٧٠) ويرى د. رأفت عبد الحميد أن الامبراطورية البيزنطية حرمت من القادة العسكريين الأكفاء الذين حكموا كأباطرة شركاء أغلب فترات العصر المقدوني ، مما نتج عنه اهمال الجيش البيزنطي ، وانتهز أعداؤها فرصة هذا الضعف المفاجيء فأخذوا يهددونها من كل جانب . **بسللوس** ، ص ١٥١ .

(١٧١) ومن الأباطرة العظام الذين حققوا للامبراطورية أمجادا كبيرة نقفور فوقاس ، ويوحنا تزيمسكس ، وباسيل الثاني ، للمزيد عن بيزنطة في فترة القوة هذه انظر : ص ٢٣٠ هامش ١٣٣ .

(١٧٢) بعد وفاة باسيل الثاني ، اعتلى عرش الامبراطورية البيزنطية ما بين عامي ١٠٢٥ و١٠٨١ م أربعة عشر امبراطورا ، فقد معظمهم المقدرة العسكرية والكفاية الادارية وقوة الشخصية التي تمتع بها المقدونيين أو الأيزوريون من قبل . انظر : رأفت عبد المجيد : **بسللوس** ، ص ١٥١ ، ويصف أمور الامبراطورية بأنها « وصلت في الشرق والغرب الى الحضيض » ص ٢١٨ ، وانظر :

Psellus, Chronographia, p. 269.

العامل الثاني ، هو الصراع بين طبقة الأرستقراطية العسكرية ، والبيروقراطية المدنية . فالمعروف أنه بعد وفاة باسيل الثاني ، استطاع أبناء طبقة البيروقراطية المدنية في القسطنطينية أن يستولوا على زمام الحكم لبعض الوقت ، وكانوا في تنافس تقليدي مع الطبقة الأرستقراطية العسكرية في آسيا الصغرى[١٧٣] . وهذه الطبقة قدمت للامبراطورية العديد من الانتصارات المدوية ، ورفعت اسم بيزنطة عاليا في السماء خلال القرن العاشر الميلادي (القرن الرابع الهجري)[١٧٤] ، وكانت نتيجة المنافسة بين هاتين الطبقتين هي اهمال الجيش على يد البيروقراطيين المدنيين الذين اتبعوا سياسة تخفيض الانفاق العسكري ، ونتج عن هذا ضعف القوة العسكرية ، ورأوا أن هناك أموراً أخرى تستحق الأولوية في الانفاق عليها وببذخ كبير[١٧٥] .

العامل الثالث : وهو اختفاء طبقة صغار المزارعين الأحرار ، وكان آخر امبراطور بيزنطي عمل على حماية هذه الطبقة هو باسيل الثاني ، وكانت هذه الطبقة تشكل أهمية عسكرية ومالية بالنسبة للدولة البيزنطية[١٧٦] ، حيث كانت تشكل غالبية السكان البيزنطيين في آسيا الصغرى ، ومنها تستمد الخزانة الامبراطورية

(١٧٣) Vryonis, Dec. Med. Hell. p. 163.

هذا ، ولقد حاول الأباطرة المتأخرون أن يوطدوا حكمهم باستمالة هذه الطبقة اليهم باكتساب رضاء أعضائها بمنحهم الامتيازات ، وذلك ضمانا لكسبهم لصفهم . انظر : Psellus, Chronographia, p. 209.

وانظر : الباز العريني : **الدولة البيزنطية** ، ص ٧١٦ ؛ عبد الغني عبد العاطي : **اسحق كومنين** ، ص ٤ - ٥ .

(١٧٤) وذلك من خلال الانتصارات التي حققها رومانوس ليكابينوس ، ونقفور فوقاس ، ويوحنا تزيمسكس . انظر :

Runciman, Lecapenus, p. 159; Adontz, Taronites, p. 544; Jenkins, Byzantium, pp. 275-279; Franzius, Byz. Empire, pp. 240-241; Vasiliev, Empire, p. 310.

(١٧٥) وانظر رأفت عبد الحميد : **بسللوس** ، ص ٢١٧ .

(١٧٦) Franzius, Byz. Empire, p. 287; Ostrogorsky, Hist. Byz. St. p. 283; Hussey, Byzantine, p. 51.

عن المرسوم الذي أصدره باسيل الثاني لحماية صغار المزارعين ، انظر :

JGR (Ezepos), I, p. 262, 272; Dölger, Regresten, I. no. 783; Morris, Tenth-Century, 13; Toynbee, Constantine, 167 ff; Ostrogorsky, Hist. Byz. St., p. 307.

وانظر : وسام عبد العزيز : **دراسات** ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ؛ عبد الغني عبد العاطي : **اسحق كومنين** ، ص ١ - ٢ .

مواردها الثابتة على شكل ضرائب زراعية تدفع بنظام الدفع الجماعي ، كما كانت هذه الطبقة عصب جند الثيمات في الأقاليم البيزنطية التي تتولى مهمة الدفاع عن ثيمات آسيا الصغرى(١٧٧) . وعندما تخلت الادارة البيزنطية عن حماية هذه الطبقة وتركتها فريسة سهلة لجشع كبار ملاك طبقة الأرستقراطيين العسكريين ، التي أخذت تضع يدها على أراضي طبقة صغار المزارعين هذه ، كانت النتيجة أن انهارت دفاعات بيزنطة بانهيار فرق الثيمات فيها . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قلت السيولة النقدية التي تدخل الخزانة الامبراطورية(١٧٨) .

العامل الرابع : فهو اعتماد الامبراطورية البيزنطية على الجند المرتزقة ، حيث زاد الاعتماد على هؤلاء بعد أن انهارت فرق الثيمات البيزنطية ، وكان هؤلاء المرتزقة من عدة عناصر منها البجناك ، والغز ، والنورمان ، والفرنج ، والروس ، ولكن عندما أصبحت خزانة الامبراطورية تعاني من قلة السيولة النقدية ، أنقصت معيار المعدن الثمين في الرواتب التي كانت تدفعها لجنودها المرتزقة هؤلاء(١٧٩) ، الأمر الذي ترتب عليه سخط هؤلاء الجند .

العامل الخامس والأخير : نمو النظام الاقطاعي في صورته البيزنطية وفي ظل مثل هذه الظروف المتدهورة ، حيث قامت الادارة البيزنطية بالتنازل عن أقاليم ، واقطاعات لبعض القادة ، وكبار الموظفين مكافأة لهم على أعمال قدموها ، أو سيقدمونها ، وعرف هذا الاقطاع البيزنطي باسم برونيا Proneia(١٨٠) ، ولقد تنازلت الدولة عن بعض وظائفها لمن منحتهم تلك الاقطاعات مثل حق جمع

---

(١٧٧) Ostrgorsky, Hist. Byz. St., pp. 306-307; Hussey, Byzantine, p. 51; Shlumberger, Epopée, II, p. 328.
وانظر : الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٦٣٥ - ٦٣٦ ؛ نيه عاقل : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢١٣ .

(١٧٨) Ostrogorsky, Hist. Byz. St., pp. 322-323; Döler, Das Fortbestehen, p. 3 ff; Hussey, Byzantine, pp. 322-323.

(١٧٩) Vryonis, Dec. Med. Hell, p. 75;
ويرى الدكتور رأفت عبد الحميد أن الامبراطور مونوماخوس أراد أن يعالج الاقتصاد البيزنطي المتدهور ، فقام بتخفيض قيمة العملة النوميسما، Nomisma. بصورة واضحة ، وذلك بالاضافة الى نقص ايرادات الضرائب . رأفت عبد الحميد : بسللوس ، ص ١٦٠ .

(١٨٠) Ostrogorsky, Hist. Byz. St., pp. 322-323; Hussey, Later Macedonians, p. 207.
وانظر : الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٧٢٤ - ٧٢٥ .

الضرائب ، وكان هذا تطورا خطيرا ، وبداية لظهور نظام الاقطاع في صورته البيزنطية ، والذي كان مظهرا من مظاهر الانهيار السياسي والاقتصادي وانهيار النظم البيزنطية التقليدية(١٨١) . ولكن يجب ألا ننسى ، أن نظام الاقطاع في صورته البيزنطية لم يصل أبدا الى تلك الدرجة التي وصل اليها في الغرب الأوروبي(١٨٢) .

وأيا كان الأمر ، فلقد تجمعت أسباب ذلك الانهيار الذي أدى الى الكارثة التي ألمت بالامبراطورية في موقعة منزكرت ، وكان رومانوس ديوجين عندما قاد جيشه لمواجهة الأتراك السلاجقة في عام ١٠٦٨ م/ ٤٦١ هـ يدرك تماما بحدسه العسكري أنه سيواجه عدوا قويا بامكاناته المتواضعة(١٨٣) ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد حقق في بادىء الأمر انتصارين على السلاجقة في سنتي ١٠٦٨ و١٠٦٩ م (سنتي ٤٦١ و٤٦٢ هـ)(١٨٤) ، غير أنه خسر اللقاء الثالث والحاسم ، الذي دار بين الطرفين بالقرب من منزكرت ، والذي انتهى بهزيمة ساحقة منى بها الجيش البيزنطي في ١٩

---

(١٨١) Hussey, Later Macedonians, p. 207; Ostrogorsky, Hist. Byz. St., p. 322.
وأيضا الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٧٢٦ ؛ عبد الغني عبد العاطي : اسحق كومنين ، ص ١٣ .

(١٨٢) وانظر : نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٣٠ . Runciman, Byzantine, pp. 103-104.

(١٨٣) تمثلت امكانات رومانوس ديوجين المتواضعة في عدة أسباب منها : أنه كان لا يثق في جنوده من الروس والاسكندنافيين على الرغم من كفائتهم القتالية حيث كان استقرار ولائهم له مشكوكا فيه ، كما كان جنوده من الوطنيين غير مدربين ، أرهقهم الفقر ، ولا يملكون السلاح ، وغيره من عدة الحرب ، كما كان جنوده من ذوي الخبره ، يفتقرون الى عدة الحرب أيضا . والفرق الجديدة التي كونها كانت تفتقر الى الخبرة والممارسة العسكرية ، وهو يواجه عدوا جسورا محنكا بأمور القتال . « وكان من ينظر الى جنوده يحس أنه لا يمكن لهؤلاء أن يتصدوا لهجوم السلاجقة ، وأن الامبراطورية ستلاقي حتفها » عبد الغني عبد العاطي » : اسحق كومنين ، ص ٣٣ . وانظر :
Scylitzes, Synopsis, pp. 668-669; Franzius, Byz. Empire, p. 228; Charanis, Structure, pp. 55-56; Grousset, Levant p. 164.

(١٨٤) لقد حقق عدة انتصارات على السلاجقة ، حيث أجبر قوات السلاجقة على ترك ما غنمته ، وتقدم الى مرعش ، واستولى على منبج ، ووضع حامية في أرتاج الى الشرق من انطاكية . انظر :
Scylitzes, Synopsis, pp. 670-667; Le Bas, Asie, p. 512 Cahen, Penetration, pp. 26-27; Hamdani, Fatimid, p. 176.
كما ذكرت المصادر الاسلامية اغارات رومانوس هذه ، انظر : ابن الجوزي : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ٢٥٦ ؛ ابن كثير : البداية ، جـ ١٢ ، ص ٩٩ ؛ الأصفهاني : تاريخ آل سلجوق ، ص ٣٥ ؛ الذهبي : دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ٢٧٠ .
هذا ، كما قام بمطاردة السلاجقة في ضواحي قيصرية في ثيم قبدوقية ، انظر :
Scylitzes, Synopsis, pp. 681-684; Charanis, Byz. Emp. p. 199; Cahen, Penetration, p. 27.

أغسطس ١٠٧١ م/ أول ذي الحجة ٤٦٤ هـ ، والتي تمكن فيها السلاجقة بقيادة ألب أرسلان من أسر الامبراطور البيزنطي نفس[١٨٥] .

وتروي الروايات أن السلطان السلجوقي عامل أسيره الكبير معاملة حسنة لم يكن هو شخصيا يتوقعها[١٨٦] . وكان من نتيجتها أن توصل الطرفان إلى عقد معاهدة صلح بينهما ، عامل فيها السلطان الامبراطور ديوجين معاملة الند للند ، ولم يضع باعتباره أنه يستطيع أن يملي مايراه من شروط على أسيره . وكانت شروط تلك المعاهدة تقضي باطلاق سراح الامبراطور البيزنطي ، على أن يدفع جزية سنوية للسلطان بعد أن يسدد الفدية عن شخصه ، وأن يتعهد باطلاق سراح الأسرى الأتراك ، ويقوم بمساعدة السلاجقة عسكريا عندما يطلب منه ذلك[١٨٧] .

على كل حال ، تم اطلاق سراح رومانوس ديوجين[١٨٨] ، الذي توجه الى

---

(١٨٥) لقد ذكرت المصادر أن ألب أرسلان سعى في طلب الهدنة من الامبراطور البيزنطي وأن هذا الأخير رفض قائلا « لا هدنة إلا بالرى » ابن الاثير : الكامل ز جـ٨ ، ص ١٠٩ . وانظر عن هذه المعركة .

Psellus, Chronographia, pp. 273-274, Attaliates و Historia, p. 198; Scylitzes, Synopsis, pp. 696; Mattheiu, d'Edesse, Chronique, p. 168.

وانظر : ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ ، الأصفهاني : **تاريخ آل سلجوق** ، ص ٣٧ ـ ٣٩ ، ابن القلانسي : **تاريخ دمشق ٩٩** ، الفارقي : **تاريخ الفارقي** ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠ ، ابن العبري : **مختصر الدول** ، ١٨٥ ، اليافعي : مرآة الجنان ، جـ٣ ، ص ٨٦ ـ ٨٧ ، ابن كثير : **البداية** ، جـ١٢ ، ص ١٠١ ، الذهبي : **دول الاسلام** ، جـ١ ، ص ٢٧٢ .

(١٨٦) تكاد المصادر البيزنطية تجمع على أن ألب أرسلان أحسن معاملة أسيره رومانوس ديوجين عندما وقع أسيرا في يده في أثناء معركة منزكرت سنة ١٠٧١ م / ٤٦٤ هـ ، انظر :

Attaliates, Historia, pp. 164-166; Scylitzes, Synopsis, pp. 700 sqq; Gesta. و Roberti, p. 92; Bryennios و Histoires, p. 494.

(١٨٧) عن معاهدة الصلح هذه انظر :

Bryennios, و Histoires, p. 494; Psellus, و Chronographia, p. 273; Glycas, Annales, p. 611; Ephraemius, Imperatorum, p. 146; Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 169.

وانظر : ابن الجوزي : **المنتظم** ، جـ٨ ، ص ٢٦٣ ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، جـ٨ ، ص ١١٠ ؛ ابن كثير : **البداية** ، جـ١٢ ، ص ١٠١ ؛ اليافعي : **مرآة الجنان** ، جـ٣ ، ص ٨٧ . وانظر الوصف التفصيلي لهذه المعركة : عبد الغني عبد العاطي : **اسحق كومنين** ، ص ٣٢ ـ ٤٩ .

(١٨٨) بعد أن تم التوصل الى معاهدة الصلح بين ألب أرسلان ورومانوس ديوجين ، اعطاه السلطان السلجوقي مبلغ عشرة آلاف دينار ليجهز نفسه للرحيل ، « واطلق له جماعة من بطارقته ، وخلع عليه وعليهم ، وسير معه عسكرا يوصلونه الى مأمنه ؛ وشيعه السلطان فرسخا » .

ابن الأثير : **الكامل** ، جـ٨ ، ص ١١٠ ؛ وانظر : ابن الجوزي : **المنتظم** ، جـ٨ ، ص ٢٦٣ ، ابن كثير : **البداية** ، جـ١٢ ، ص ١٠١ ؛ ابن العبري : **مختصر الدول** ، ص ١٨٥ ؛ اليافعي : **مرآة الجنان** ، جـ٣ ، ص ٨٧ .

العاصمة الامبراطورية حاملا معه معاهدة الصلح التي تم التوصل اليها بينه وبين السلطان السلجوقي ألب أرسلان ، ولكنه فوجيء بأن الأمور تغيرت ؛ وبأنه عزل عن منصبه وجيء بامبراطور آخر بدلا منه[١٨٩] ، حيث قامت البيروقراطية المدنية بعزله في أثناء أسره لدى السلاجقة ، وتوجت بدلا منه امبراطورا صنيعة لها هو ميخائيل السابع (١٠٧١ ـ ١٠٧٨ م / ٤٦٤ ـ ٤٧١ هـ) وكانت نتيجة ذلك أن اندلعت الحرب الأهلية ، حيث قرر رومانوس ديوجين عدم الاستسلام لما تم بشأن خلعه وجمع حوله عددا كبيرا من الجند ، ونشبت بينه وبين قوات الامبراطور الجديد بقيادة قسطنطين دوقاس معركة عند مدينة أماسيا ، دارت الدائرة فيها على رومانوس الذي تمكن من النجاة بنفسه . ولكنه افلح في تكوين جيش آخر له ، وللمرة الثانية تدور الدائرة عليه أمام القائد أندرونيكوس دوقاس . وهنا فكر في الاتصال بحليفه ألب أرسلان ، ولكن أصحابه قاموا بتسليمه الى القائد البيزنطي ، فتم اعتقاله ، واجباره على ارتداء ثياب الرهبان ، ومات نتيجة استخدام الوحشية في تعذيبه[١٩٠] .

هذا ولم يدر بخلد انصار طبقة الارستقراطية العسكرية أنهم برفضهم معاهدة الصلح مع السلطان السلجوقي ، قد أوقعوا الامبراطورية بين براثن الخطر السلجوقي ، فما أن علم ألب أرسلان بما تم لحليفه رومانوس ديوجين من سمل عينيه ونفيه ، حتى قرر أن يحقق بالقوة ما أراد تحقيقه بالود والمحالفة . ولكنه مات قبل أن يحقق ما أراد ، ومن بعده اندفع السلاجقة بدءا من عام ١٠٧٣ / ٤٦٦ هـ مستولين على كل المرتفعات الشرقية وهضبة الأناضول فيما بين الفترة من سنة ١٠٧١ إلى سنة

---

(١٨٩) عندما وصلت أنباء الهزيمة الى القسطنطينية ، واطلاق سراح رومانوس ، وأنه في الطريق الى العاصمة ، اجتمع كبار رجال الدولة ، واستقر رأيهم على أن تعود السلطة للامبراطورة وابنها ، وتم خلع رومانوس رسميا عن العرش الامبراطوري :

Bryennios, Histoires, pp. 46-47; Psellus, Chronographia, pp. 275-290; Scylitzes, Synopsis, pp. 702-703, Glycas, Annales, p. 612; Laurent, Khatchatour, p. 160; Laurent, Grecs, p. 76.

(١٩٠) انظر عن نهاية رومانوس ديوجين :

Bryennios, Histoires, pp. 46-47, 52-54; Psellus, Chronographia, pp. 275-291; Scylitzes, Synopsis, pp. 702-704, Glycas, Annales, p. 612; Laurent, Khatchatour, p. 160; Laurent, Grecs, pp. 76-77.

١٠٨١ م (٤٦٤ - ٤٧٤ هـ)[١٩١]. ولم يبق في أيدي الادارة البيزنطية سوى الشريط الساحلي الشمالي والغربي والجنوبي ، واستقر السلاجقة الأتراك بذلك في قلب آسيا الصغرى لفترة طويلة ، واتخذوا من قونيه مركزا لسلطتهم[١٩٢] .

ومايهم في الأمر ، هو أن ضم بيزنطة لأرمينية كان من أهم الأسباب التي أدت الى ذلك الانهيار الذي تعرضت له بيزنطة على يد سلاجقة الأتراك ، حيث كانت النتيجة الحتمية لضمها الى الكيان الامبراطوري ، هي حرمان الامبراطورية من كيان سياسي كان يشكل بالنسبة لبيزنطة دولة حاجزة بينها وبين القوى الأخرى المجهولة التي تقع الى الخلف منها[١٩٣]. وكانت نتيجة ذلك الضم هي حرمان أرمينية من مدافعيها المتحمسين لأبناء جلدتها ، والذين كانوا وهم يدافعون عنها لا يبخلون عليها بالغالي والنفيس ، واحلال جنود مرتزقة من عناصر شتى بدلا منهم ، لا يهمهم من أمر أرمينية أكثر من كم يكسبون وكيف يتعمون بخيراتها[١٩٤]. ولهذا عندما طرق خطر الأتراك السلاجقة أبواب أرمينية بعنف ، لم يكن هناك من يدافع عنها من أبنائها المخلصين لترابها . بل دافع عنها أولئك الجنود البيزنطيون من المرتزقة ، وكانت النتيجة الحتمية هي استيلاء السلاجقة على مدينة آني قلب أرمينية النابض ، وعاصمة ملوكها البقراطيين الذين شهدت أرمينية في عهودهم أزهى أيامها[١٩٥] .

(١٩١) تمت غزوات السلاجقة هذه في عهود خلفاء ألب ارسلان مثل : أرتق ، وتتش ، وسليمان وغيرهم ، ولقد استطاع هؤلاء التوغل في قلب آسيا الصغرى . انظر :

Cahen, Turkey, 73; Turan, Anatolia, p. 233.

وانظر : رنسمان : الحروب ، جـ ١ ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(١٩٢) Vryonis, Dec. Med. Hell, p. 112; Finaly, Grece, III, p. 45.

وانظر : عبد الغني عبد العاطي : اسحق كومنين ، ص ٧٢ - ٧٣ .

(١٩٣) عن ارمينية كدولة حاجزة ، انظر : ص ١٩٨ ، وانظر :

Thorossian, Hist. Arm. Peup., p. 88; Morgan, Peuple, p. 154; Laurent, Érudes, p. 6; Tournebize, Religieuse, p. 134; Nersessian, Etudes, p. 307.

(١٩٤) Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 83, 113; Morgan, Peuple, p. 154.

(١٩٥) عن استيلاء السلاجقة على آني ، انظر : ص ٢٣٥ .

Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 121-126; Cont. Thom. Ardz., p. 249.

وأيا كان الأمر ، فقد كان السلاجقة الأتراك هم المستفيدون من ضعف الخلافة العباسية ، بعد أن كانت فرصة الاستفادة من ضعفها متاحة على مصراعيها للامبراطورية البيزنطية ، ولكن الطبقة البيروقراطية أبت الا أن تضيعها عندما رفضت المعاهدة التي حملها معه رومانوس ديوجين ، وهو عائد الى القسطنطينية بعد أسره بيد السلاجقة ، ولم يقتصر الأمر على الاستفادة من ضعف الخلافة العباسية من عدمه ، ولكن كان على بيزنطة أيضا أن تدفع ثمن ضمها لأرمينية ، واستهانتها بقوة السلاجقة الأتراك ، وكان ثمنا فادحا ، وذلك عندما ترنح جنودها صرعى ، وسقط امبراطورها أسيرا في موقعة منزكرت . وهكذا دفعت الامبراطورية البيزنطية الثمن مضاعفا نتيجة ضمها لأرمينية ، ذلك لأنها حرمت نفسها من ذلك الدرع الواقي الذي كان يعطيها عمقا اقليميا ، وبعد أن عملت على تشجيع الأرمن أحيانا ، وإجبارهم أحايين أخرى على الهجرة من موطنهم الى مواطن بعيدة عن بلادهم[١٩٦] ، وقضت بذلك على استقلال أرمينية ، ولم تدرك أنها بقيامها بهذا العمل ستدفع الثمن باهظا ، وكان حقا باهظا .

(١٩٦) Charanis, Arm. Byz. Emp. pp. 50-52, Grousset, l'Armenie, pp. 615-616; Dedeyan, Capadoce, pp. 77-78; Nersessian, Arm. Byz., pp. 44, 76-78.

خاتمة

كانت أرمينية بمثابة مرآة حساسة انعكست على سطحها ردود أفعال سياسات الكيانات السياسية المختلفة المحيطة بها ، حيث كانت مسرحا لمعظم ما يدور من الأحداث الهامة في منطقة القوقاز . فقد حتم عليها موقعها الجغرافي والاستراتيجي أن تظل دائما منذ نشأة أول كيان سياسي على أرضها ، وحتى سقوط آخر عاصمة ملكية كبيرة لها ، مطمعالقوتين كبيرتين - شرقية وغربية .

وعلى الرغم من تبدل الأنظمة الحاكمة في تلك الكيانات السياسية المجاورة لها على امتداد العصور ، إلا أن الطمع في الاستيلاء عليها أصبح سياسة تقليدية متوارثة للحكومات المتعاقبة على الحكم في تلك الأنظمة السياسية . فأرمينية بحكم موقعها ، تحتم عليها أن تعيش ، منذ أن أصبح لها كيان سياسي ، بين كيانين سياسين كبيرين ، ولم يكن بمقدورها أن تغير كثيرا من تلك الأوضاع السياسية من حولها . فقد حكمت عليها ظروفها الطبيعية ، والسكانية أن تجنى ثمار سياسة حكام جارتيها ، الذين كانوا دائما وأبدا في عداء تقليدى معا ، وكانت أرمينية دائما هي مسرح الصراع وهي كبش الفداء .

ولقد أملت طبيعة البلاد الجبلية على الأرمن منذ القدم أن يحتفظوا بشخصيتهم وهويتهم المستقلة بمنأى عن أى من الكيانات السياسية المجاورة لهم ، مهما كان نوع الارتباط الذي يربطهم بها ، حتى وان كان ارتباطا دينيا . فقد عرفوا جيدا أن في الاحتفاظ باستقلالهم السياسي ، والديني المتمثل في مذهبهم المخالف لمذهب كنيسة القسطنطينية قوة لهم ، وحفظا لبقاء عنصرهم . لذا ظلت شخصيتهم قائمة لها معالمها وسماتها الخاصة ، ولم تنصهر في يوم من الايام في بوتقة الشعوب التي فرضت عليها هيمنتها السياسية ردحا طويلا من الزمن مثل البارثيين ، والفرس الساسانيين ، ثم العرب المسلمين في الشرق ، والرومان ومن جاء بعدهم من البيزنطيين في الغرب .

ومع مرور الوقت سلمت الكيانات السياسية المجاورة لأرمينية والطامعة في فرض سيطرتها عليها ، بأنها تملك وضعا خاصا ، وهو وضع الدولة الجاهزة ، وهو أمر لم تسع أرمينية اليه ولم ترده ، وانما حتمته ظروف موقعها وتضاريسه ، وطبيعة شعبها ونظامه الاقطاعي . ولقد تقبل الأرمن وضعهم هذا ، وعرفوا أنه أفضل وضع يناسبهم ،حيث كانوا دائما لقمة سائغة تسعى أفواه الطامعين فيها إلى ابتلاعها . ولم

يكن في مقدورهم الخروج من الدائرة التي فرضتها عوامل قهرية كثيرة عليهم ، لذا سعوا إلى إرضاء جارتيهم القويتين وكسب ودهما طورا بالمهادنة ، وآخر بالهدايا ، لاتقاء خطرهما . وكان بمقدورهم تجنب اتباع سياسة المهادنة هذه ، لو أنهم وحدوا صفوفهم ، ونبذوا خلافاتهم ، واستغلوا مواردهم المتنوعة الكثيرة بتكوين كيان سياسي قوى لهم كبقية شعوب المنطقة المجاورة لهم ، ولكن خلافاتهم الكثيرة ، ونزعة أمرائهم الأنانية إلى الاستئثار بالحكم حالت دون ذلك .

ولم يكن يربط الأرمن بالشعوب المجاورة لهم سوى مصلحتهم الذاتية . فقد كانت علاقاتهم السياسية تتأرجح بين الولاء ، والعداء لكل من الامبراطورية البيزنطية ، والدولة الاسلامية . فهم تارة حلفاء لهذا الجانب ، وأخرى أعداء له ، حسب مقتضيات الظروف ومتطلباتها التي يعايشونها . وعلى الرغم ما يربطهم بالبيزنطيين من عقيدة دينية إلا أن الاختلاف المذهبي الكبير بينهم وبين البيزنطيين جعلهم يتساوون في نظرهم بالمسلمين . لذا فقد وضعوا مصلحتهم الشخصية فوق كل اهتمام . فكان منطق القرب أو البعد عندهم عن أى أمة ينطلق من اساس مصلحتهم أولا وآخرا ، وعلى هذا ، يمكننا وصف سياستهم الخارجية بأنها رد فعل مستمر للأحداث التي يواجهونها من قبل جيرانهم الذين كانوا يعاملونهم ايضا حسب منطلق حاجتهم اليهم ، ووفقا لمؤشرات القوة ، أو الضعف لديهم . فعندما كان المسلمون في أوج قوتهم عاملوا الأرمن كأتباع لهم ، وفرضوا عليهم الضرائب الباهظة ، وتعسف بعض ولاة المسلمين في جمعها منهم . وعندما ضعفت السلطة المركزية في بغداد ، وتسلط ولاة أذربيجان على شئون الحكم فيها ، احتاج الخلفاء العباسيون إلى مساعدة الأرمن ضد أولئك الولاة ، كما احتاجوا إلى عون كبار أمراء الأرمن لاقرار الأمور في أرمينية نفسها بعد ضعف الولاة العباسيين ، ولعدم اثارة مشاعر العداء ضد المسلمين فيها .

وقد دفعت حاجة الخلفاء المسلمين إلى جهود الأمراء الأرمن إلى اعتراف الخليفة المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ/ ٨٧٠ - ٨٩٢ م) بأشوط الأول ملكا على أرمينية عام ٨٨٥ م/٢٧٢ هـ ، واغداق الهدايا الثمينة عليه ،وعلى خلفائه من بعده . وكذلك كان موقف الامبراطورية البيزنطية من الأرمن أيضا ، فقد اعترف باسيل الأول بأشوط ملكا ، وأغدق عليه الهدايا الكثيرة ، وذلك عندما احتاج لمشاركة الأرمن معه في مشاريعه العسكرية مع اعدائه .

وقد ارتبط مصير أرمينية بالامبراطورية البيزنطية التي كانت تشكل وقتذاك

أحد مراكز الثقل . وقامت بيزنطة بدور كبير في مجريات الأمور في أرمينية ، ذلك لأنها عاملت الأرمن بالسياسة نفسها التي كانت تتبعها معهم الامبراطورية الرومانية من قبل ، ولم يختلف الأمر كثيرا على أرمينية ، فقد كان عليها مواجهة أطماع البيزنطيين فيها ، كما واجهت من قبل أطماع الرومان .

وقد عانت أرمينية كثيرا من الحروب الطويلة التي نشبت بين بيزنطة وفارس ، فقد كان عليها تحمل ويلاتها ، حيث كانت أرضها في أغلب الأحيان مسرحا لها . كما كان أبناؤها طعما سهلا في تلك الحروب ، ذلك لأن الفرس والبيزنطيين أرغموا الأرمن على امدادهم بفرق عسكرية لمساعدتهم فكان القسم الأرمني الخاضع لفارس يمد الفرس بفرق أرمينية ، كما كان على القسم الأرميني التابع لبيزنطة ان يفعل الشيء نفسه لهم .

ولم يقتصر الأمر على هذا ، بل كثيرا ما عانى الأرمن من الاضطهاد الديني على يد البيزنطيين أنفسهم ، حيث سعت كنيسة القسطنطينية مرارا إلى تحويل الأرمن الى عقيدتها الأرثوذكسية ، وكان الموت أهون على الأرمن من قبول ذلك . فقد كان مذهبهم الديني بمثابة الهوية الشخصية لهم في عصر سادت فيه الأفكار العالمية . لذا كانت محاولات البيزنطيين المستميتة لارغام الأرمن على ترك مذهبهم الديني من أهم اسباب مشاعر الكره والبغض التي كنها الأرمن للبيزنطيين كما كانت دافعا لهم للترحيب بالسيادة الاسلامية ، على الرغم من الاختلاف الديني بين الجانبين ، ونبذهم للسيادة البيزنطية عليهم . بل وأكثر من ذلك ، فقد دفعهم ذلك التعصب الى مساعدة المسلمين ضد البيزنطيين في أكثر من مواجهة عسكرية تمت بين الطرفين على أرضهم .

وجدير بالذكر ، لم يكن التعصب المذهبي البيزنطي وحده وراء تقبل الأرمن سيادة المسلمين عليهم ، بل كان تسامح المسلمين معهم من الناحية الدينية وادراك المسلمين منذ بداية تعاملهم مع شعب أرمينية صعوبة السيطرة الكاملة على بلادهم ، جعلهم يتخلون عن فكرة ضم أرمينية بالكامل إليهم ، كما فعلوا مع البلاد الاخرى التي قاموا بفتحها . وعلى هذا منحوا أهلها استقلالا ذاتيا في اتفاق عام ٦٥٣م/٣٣هـ .

وإذا تساءلنا عما إذا كان تقبل الأرمن لحكم المسلمين قد تم بسبب تعصب البيزنطيين الأعمي ضدهم ؟ أم أنهم خضعوا لمنطق القوة . الحقيقة أنهم أقروا بحكم المسلمين عليهم عندما كانت الدولة الاسلامية في عنف حركتها التوسعية .

وأن وقوفهم إلى جانب المسلمين ضد البيزنطيين لا يعني أنهم تقبلوا الحكم الاسلامي بسهولة وإنما يعني أنهم وقفوا إلى جانب الاقوى ، فضلا عن تخوفهم من مطامع البيزنطيين واحساسهم بالاضطهاد الذي أنزلوه بالمونوفيزيين في مصر والشام قبل الاسلام ، كما أن تسامح المسلمين معهم جعلهم يتقبلون السيادة الاسلامية على الرغم من تمسكهم التام بسيادتهم الوطنية طوال تاريخهم .

ورغم التناقض السياسي والديني بين الطرفين ، إلا أن الأرمن وجدوا في المسلمين صفات لم يجدوها في القوى التي فرضت عليهم نفوذها من قبل كالفرس والبيزنطيين . وعلى الرغم من توتر العلاقات بين المسلمين والأرمن أحيانا ، او بالأخص في الاوقات التي يتشدد فيها بعض الولاة المسلمين في جمع الضرائب ، أو فرض ضرائب باهظة عليهم أو في الفترات التي يمتنع الأرمن فيها عن دفع الجزية المفروضة عليهم من قبل المسلمين ، إلا أن الهدوء سرعان ما يستتب بين الطرفين .

وبمجمل القول كان الأرمن بصفة عامة أسعد حالا في ظل السيادة الاسلامية منهم في ظل السيادة البيزنطية ، تلك السيادة التي حاول المسلمون وعلى مدى قرنين من الزمان أن يزيلوها تماما عن أرمينية ، بل وهاجموا خلالها الامبراطورية البيزنطية نفسها أكثر من مرة . ولكن بيزنطة صمدت طويلا أمام المد الاسلامي ، واستطاعت بفضل حصانة ومناعة عاصمتها امتصاص قوة ذلك المد الفتي وجهوده العسكرية ، بل واحتواءه .

وعلى الرغم من تعرض بيزنطة لهذا المد الاسلامي ، فإنها لم تتخل عن سياسة بث روح الفرقة بين الأرمن ، والتدخل في شئونهم الداخلية ، وتشجيعهم على الثورة على الحكم الاسلامي لهم . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كانت تنتهز فرص المشكلات والفتن التي تنشب بين الحين والآخر في العالم الاسلامي كى تغير على الحدود الاسلامية المشتركة معها . وان دل هذا على شيء فإنما يعني أن القوى الثلاثة : الأرمن ، والبيزنطيين ، والمسلمين ، تداخلت في بعضها ، وتشابكت وتضاربت وتصارعت ، وكانت كل قوة منها تعمل لما فيه مصلحتها أولا وأخيراً . ومن هنا أتخذت كل منها السياسة التي ترى أنها انسب لها حيال الطرفين الآخرين ، مع مراعاة تكييف هذه السياسة وفقا لمتطلبات الظروف والأحوال المتغيرة ، ووفقا للتغير الذي يطرأ على موازين القوى ومراكز الثقل في الصراع بين هذه الأطراف الثلاثة .

فعندما تحول ميزان القوى لصالح بيزنطة في أوائل القرن العاشر الميلادي (أوائل القرن الرابع الهجري) ، نبذت سياسة الدفاع التي التزمت بها طوال قرنين

كاملين قبل ذلك ، وتبنت سياسة المبادرة بالهجوم على العالم الاسلامي . ولم يتسن لبيزنطة ذلك لولا بوادر الضعف والانحلال التي اصابت الشرق الأدنى الاسلامي ، والتي تمثلت في انحلال السلطة المركزية للخلافة العباسية ، وظهور الكيانات السياسية الصغيرة في أنحائها ، تلك الكيانات التي كانت أعجز من أن تدافع عن نفسها . وقد انتهزت بيزنطة هذه الفرصة ، فعمدت أولا الى فرض سلطانها على الثغور الاسلامية ، ثم تحولت الى الهجوم على قلب العالم الاسلامي بمد بيزنطي وصل ذروته في الفترة الممتدة من سنة ٩٢٦ م وحتى نهاية سنة ٩٧٥ م (من سنة ٣٠٤ وحتى نهاية سنة ٣٦٥ هـ) .

ولقد سعت بيزنطة خلال مدها العسكري هذا على المسلمين الى اتخاذ الأرمن حلفاء لها . وقد رحب هؤلاء بذلك ، وكانوا بالفعل خير حلفاء للامبراطورية البيزنطية في اثناء حملاتها على الشرق الاسلامي . ولم يكن موقف الأرمن بقبول التحالف مع البيزنطيين ضد المسلمين بالأمر الغريب ، فهم جريا على عادتهم يتخذون دائما الجانب الذي يحقق لهم مصالحهم الشخصية ، وليس ادل على هذا من مواقفهم السابقة مع المسلمين ، فقد كانوا حلفاء لهم ضد البيزنطيين انفسهم ، عندما كان المسلمون الجانب الاقوى .

وهكذا كان الأرمن دائما وابدا يتخذون من يرون فيه ومعه مصلحتهم ، بغض النظر عما كانت عليه مواقفهم السابقة من كلا الطرفين . ولقد نجحوا في تطبيق سياسة المصلحة هذه الى حد بعيد مما يدل على ذكائهم ودهائهم وبعد نظرهم . ويلاحظ ان تلك المواقف والسياسات التي اتخذتها مختلف القوى من أرمينية ، واسلامية ، وبيزنطية ، كانت تتلاقى ، وتتعارض ، وتتشابك ، وتتداخل وفقا لمقتضيات الظروف والأحوال إبّان الفترة موضوع البحث ، ووفقا للمصالح الخاصة لكل قوة من هذه القوى ، فهي التي كانت تملى على اي منها اتخاذ موقف التحالف ، او اتباع سياسة العداء ، او التزام سياسة الحياد .

وغنى عن القول اننا صادفنا في اثناء دراستنا هذه بعض المشكلات ، كما تعرضنا لعدة قضايا هامة مست جوهر علاقات الأرمن بكل من المسلمين والبيزنطيين . واستطعنا بعد جهد جهيد ان نتوصل من خلال تناولنا لها الى نتائج واستنتاجات طيبة . ومن اهم القضايا التي عالجناها ، ما لموقع ارمينية الجغرافي ، ونظامها الاقطاعي ، وتمسكها الشديد بمذهبها الديني من اثر على سياساتها تجاه الدول المجاورة لها .

كذلك ناقشنا اهمية موقعها التجاري ومواردها الطبيعية ، والمزايا الاقتصادية الممتازة التي عادت على الأرمن من وراء مرور الطرق التجارية العالمية الرئيسية عبر اراضيها ، مما جعلها مطمعا لجارتيها القوتين وبحثنا ايضا موضوع الحملات العربية الاسلامية على ارمينية الذي ثار حوله الكثير من الجدل والخلاف بين المؤرخين الحديثين ، ولم يتوصلوا فيه الى رأي نهائي . فقد تضاربت الاراء حول عدد الحملات التي قام بها العرب المسلمون على ارمينية ، كما اختلفت على تاريخ فتحهم لمدينة دوين عاصمة ارمينية انذاك . وقد اوضحنا ان المسلمين قاموا بثلاث حملات بدأت اولاها في عام ١٩ هـ / ٦٤٠ م ، ووقعت آخرتها في سنة ٣٠ هـ / ٦٥٠ م .

واوضحنا كذلك اهمية معاهدة سنة ٣٣ هـ / ٦٥٣ م التي وقعت بين المسلمين والأرمن ، والتي كان من اهم نتائجها حصول الأرمن على استقلالهم الذاتي ، واطلاق الحرية الدينية لهم ، مما جعلهم يفضلون السيادة الاموية على السيادة البيزنطية .

واهم ما يميز فترة الحكم الأموى على ارمينية ، تلك الثورات التي اشعلها الأرمن ضد هذا الحكم، بسبب تشدد بعض الولاة الأمويين معهم في جمع الضرائب، وزيادتها عليهم ، الأمر الذي ترتب عليه اثارة القلاقل امام النفوذ العربي في ارمينية، واستثمار الامبراطورية البيزنطية لذلك الوضع المتدهور لصالحها . ولكن ذلك جعل من ارمينية مسرحا للصراع بين الكيانين العظيمين ردحا طويلا من الزمن استعانت بيزنطة في اثناء مراحله بالخزر الذين مدوا يد العون ، والمساعدة لها ، فشكلوا خطورة كبيرة على حدود العالم الاسلامي المشتركة معهم ، واستطاعوا ان يمتصوا قسطا كبيرا من جهود المسلمين الحربية ، مما ادى الى عدم تمكنهم من تحقيق خططهم العسكرية ضد الامبراطورية البيزنطية .

وبعد ذلك تناولنا بالدراسة طبيعة العلاقات التي قامت بين العباسيين والأرمن ، وبيّنا ان وطأة الامويين كانت اخف كثيرا على الأرمن من وطأة العباسيين الذين كان جل اهتمامهم هو فرض تبعية كاملة على ارمينية ، ولو اقتضى الأمر استعمال الشدة والعنف مع شعبها . وقد نجح العباسيون في هدفهم ، ولكن بعد ان دمرت جيوشهم معظم المدن الارمينية وكان رد فعل الأرمن عنيفا للقسوة التي تعرضوا لها على يد الولاة العباسيين ،مثل يزيد بن اسيد السلمي ، والحسن بن قحطبة الطائي ، مما نتج عنه وقوع معركتين كبيرتين بين الطرفين ، وهما معركتا ارجيش في ١٥ ابريل عام ٧٧٥ م / ٢٠ جمادى الآخرة ١٥٩ هـ ، وبجريفاند في ٢٥ ابريل من السنة

نفسها ، واللتان كان من اهم نتائجها خضوع معظم ارمينية التام لنفوذ العباسيين وهيمنتهم واختفاء عدد من الأسر الأرمينية ذات النفوذ وظهور بعض الأسر الأخرى الى سطح الأحداث ومنها : اسرة اردزروني واسرة بقراط اللتان اخذتا تلعبان دورا بارزا في سماء السياسة الأرمينية .

بعد ذلك اوضحنا اثر السياسة الدينية المتعصبة التي اتبعتها الامبراطورية البيزنطية تجاه الأرمن ، والتي كان من اهم نتائجها ارتماء الأرمن في احضان المسلمين على الرغم من الاختلاف الديني بينهما . وكما سعت بيزنطة الى فرض مذهبها الارثوذكسي على الأرمن ، سعت ايضا الى تحطيم نظامهم الاقطاعي ، والذي كان من اهم سمات المجتمع الارميني . وقد كان هذا النظام يمثل مع المذهب الديني بالنسبة للأرمن اهم دعامتين اساسيتين لهم ، بل كانا بمثابة السمة الخاصة ، والهوية الشخصية التي يعتز بها الأرمن ايما اعتزاز .

ومن الأحداث الهامة التي ناقشناها ثورة بابك الخرمي التي كان من اهم نتائجها المباشرة زعزعة النفوذ العباسي في ارمينية ، واعطاء الفرصة لبيزنطة لضرب مدن الثغور الاسلامية في اثناء انشغالها في اخماد هذه الثورة. اما نتائجها غير المباشرة فمنها محاولة العباسيين اعادة فرض نفوذهم في ارمينية الذي كاد ان يتلاشى بسبب الاضطرابات التي خلفتها ثورة بابك الخرمي وقد وضح ذلك في عهد الخليفة العباسي المتوكل الذي حرص كل الحرص على تحقيق هذا الهدف ، فأخذ يرسل الجيش تلو الآخر حتى تحقق له ما اراد على يد قائده المحنك بغا الكبير ، الذي استطاع اخضاع ارمينية بالكامل للنفوذ العباسي . ولكن بعد ان سرى الضعف في اوصال الدولة العباسية ، حيث فقدت ضمن ما فقدت قسما كبيرا من نفوذها القوي على ارمينية ، لذا سارع خلفاؤها باغداق الالقاب والهدايا الثمينة على الأمراء الأرمن للمحافظة على ما تبقى لهم من نفوذ في البلاد .

وفي الوقت الذي كانت فيه الخلافة العباسية تعاني من ضعف وتدهور ، سرت خلاله في عروق الامبراطورية البيزنطية دماء فتية نقلتها من سبات الضعف الذي عانت منه طوال قرنين من الزمان ، ووضعتها على اعتاب عصر جديد حافل بالانتصارات العديدة . وقد استطاعت بيزنطة خلال تلك الصحوة ان تضم معظم مدن الثغور الاسلامية اليها .

وكان موقف الأرمن من هذه الأحداث الجديدة معروفا سلفا ، حيث كانوا دائما مع المنتصر ليتمكنوا من تحقيق مصالحهم في ركابه . لذا تحولت سياسة ارمينية

من الحياد بين الطرفين المتصارعين الى الانحياز الكامل نحو الامبراطورية البيزنطية ، الامر الذي دفع بالأمراء الساجيين ولاة اذربيجان الى شن اكثر من حملة على ارمينية نشرت الخراب والدمار في مدنها .

كذلك ناقشنا الآثار التي ترتبت على قيام المملكة البقراطية بعد غياب طال اربعة قرون منذ سقوط آخر ملكية ارساكيديه في ارمينية ، وكان من اهم آثار قيام تلك الملكية هي : اتباع مؤسسها الملك اشوط الأول سياسة محايدة بين المسلمين والبيزنطيين مكنته من ارساء دعائم مملكته الفتية . ولم يتبع ابنه الملك سمباد الاول خطا والده اشوط ، فانحاز تماما الى جانب الامبراطورية البيزنطية مما عرض نفسه ومملكته لخطر حملات امراء اذربيجان الساجيين .

ومن القضايا الهامة التي عالجناها ، قضية المد البيزنطي نحو الشرق على حساب المسلمين وبينا كيف كان الارمن غير مرحبين به لان بلادهم نتيجة لذلك سوف تكون عرضة للدمار والخراب لوقوع المعارك بين الطرفين على ارضهم .

ولقد تمثل رد الفعل الاسلامي ازاء ذلك المد البيزنطي في حروب سيف الدولة الحمداني ضد اقاليم الحدود البيزنطية . فذكرنا الاتفاقيات التي عقدها سيف الدولة مع الأمراء الأرمن ، والتي تعهدوا له فيها بمساعدته في حروبه ضد البيزنطيين .

واخيرا ناقشنا دور ارمينية كدولة حاجزة بين الشرق والغرب بصفة عامة ، وبين المسلمين والبيزنطيين بصفة خاصة ، وكيف ان موقعهافرض عليها ان تؤدي هذا الدور دون ان يكون لها دخل في ذلك وتوصلنا الى نتيجة هامة ، وهي ان ارمينية ، وهي تؤدي دور الدولة الحاجزة كانت تحمي نفسها من الاستيلاء الكامل عليها من قبل احدى القوتين الكبيرتين اللتين تحيطان بها . وليس ادل على ذلك من ان بيزنطة سعت لضم ارمينية اليها بالكامل عندما فقدت ارمينية ، في نظرها ، اهميتها كدولة حاجزة ، وقد تم لها ذلك في عهد الامبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس .

واوضحنا ، ايضا ، ان الأمراء الأرمن سعوا بأنفسهم للتنازل عن ممتلكاتهم وأقاليمهم لبيزنطة ، وذلك لأنهم وجدوا انفسهم بين خطرين كبيرين هما : الامبراطورية البيزنطية من ناحية ، والاتراك السلاجقة من ناحية اخرى . ففضلوا التنازل عن املاكهم لبيزنطة مقابل الحصول على املاك اخرى تقع بعيدا عن اى تهديد خارجي وعلى الرغم من ان هؤلاء الأمراء تنازلوا بارادتهم عن املاكهم لبيزنطة ، الا ان هذه بالقطع لم تكن رغبتهم الحقيقية ، ذلك انهم اضطروا الى ذلك التنازل للنجاة بأنفسهم من الأخطار المحدقة بهم ، وكانت المحصلة النهائية هي

اشتداد حنقهم وازدياد كراهيتهم للبيزنطيين اكثر من اي وقت مضى .

وقد استدعى ذلك الاشارة الى ظهور الأتراك السلاجقة كقوة جديدة في الميدان ، وحملهم لواء الدفاع عن العقيدة الاسلامية ، باحياء حركة الجهاد بالحد من اطماع الامبراطورية البيزنطية ، والتلاحم العسكري معها ، مما ادى بالتالي الى استيلائهم على معظم الأرمينية ، وتحطيم الجيش البيزنطي في معركة منزكرت المشهورة سنة ١٠٧١ م / ٤٥٧هـ ، وما تبع ذلك من استيلاء الأتراك السلاجقة على معظم آسيا الصغرى .

والله ولي النعمة والتوفيق

